ملف
ثقافة النخبة - ثقافة الناس

إبراهيم سعدي ص 16
ثقافة الحوار: الفريضة الغائبة

خزعل الماجدي ص 11
النزعة الدينية دمرت الثقافة الشعبية

هيثم الزبيدي ص 11
ما بعد الصمت: نحو مثقف عربي جديد

إبراهيم الجبين ص 12
النخبة لم تهبط على الناس بالمظلات

خطار أبودياب ص 13
المشروع النهضوي العربي مرهون بالشباب

خالد قطب ص 15
المثقف عاجز والنخبوية تزيف الوعي

وجوه

نصير شمة ص 10
زرياب العراق وبيت الأوتار الثمانية

صبري موسى ص 9
صاحب حادثة النصف متر وفساد الأمكنة

محمود الجوابرة ص 8
شرارة الانتفاضة السورية الدامية

محمد الماضي ص 7
رأس الصناعات العسكرية السعودية

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2015/03/22 – 02 جمادى الثانية 1436
السنة 37 العدد 9864
Sunday 22/03/2015
37th Year, Issue 9864

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

مصري يتابع كسوفا جزئيا للشمس من أمام تمثال أبو الهول بمنطقة أهرامات الجيزة

داعش غطاء لتسهيل التمدد الإيراني في المنطقة

«الدولة الإسلامية» تظهر بشكل مفاجئ في اليمن لاستدعاء تدخل طهران

❑ **عدن** – أثار تبني تنظيم "الدولة الإسلامية" سلسلة التفجيرات التي أودت بحياة أكثر من 140 يمنيا الجمعة الكثير من التساؤلات حول توقيته وارتباطه بخروج الدعم العسكري الإيراني للحوثيين إلى العلن، تماما مثلما يجري في العراق وسوريا حيث اتخذت طهران من "فزاعة" داعش مسوغا لتدخل عسكري مكشوف.

وقال متابعون للشأن اليمني إن الظهور المفاجئ لداعش جاء بعد أن وجد الحوثيون أنفسهم في ظل اتساع دائرة الرفض الشعبي في صنعاء وتلويح القبائل بالتصدي العسكري لأيّ محاولة حوثية لدخول المحافظات التي لم يسيطروا عليها بعد.

ويبدو صعود داعش في دولة كانت فيها القاعدة الحاضن الأبرز للمتشددين الجهاديين بمثابة عملية استدعاء قسرية توفر الغطاء اللازم لتدخل إيراني بغاية تثبيت الانقلاب الحوثي في اليمن مثلما نجحت طهران في تثبيت أذرعها في لبنان والعراق وسوريا.

ومنذ أيام قليلة، كشفت تقارير مختلفة عن وصول سفينة عسكرية إيرانية إلى ميناء الصليف شمال غربي الحديدة (على البحر الأحمر) الواقعة تحت سيطرة جماعة الحوثي، وأنها كانت محملة بأكثر من 180 طنا من الأسلحة والمعدات العسكرية.

ونشطت حركة الطائرات من إيران باتجاه صنعاء في ظل غموض عما تحمله تلك الطائرات، وبالتوازي مع تصريحات إيرانية تؤكد الاستعداد لتوفير دعم اقتصادي للحوثيين لتسهيل إدارة المناطق الواقعة تحت سيطرتهم.

ولم يعد منطق الصدفة يقنع الكثيرين بخصوص التلازم بين ظهور داعش والتمدد الإيراني، خاصة أن المشهد الذي يعيشه اليمن بخصوص صعود "الدولة الإسلامية" إلى واجهة الأحداث كانت عرفته سوريا ثم العراق وإنْ اختلفت التفاصيل.

ففي السنتين الأوليين للثورة، حققت المعارضة السورية المعتدلة نجاحات عسكرية ودبلوماسية ووضعت نظام بشار الأسد في الزاوية، فخرجت داعش من جلباب القاعدة وبسرعة كبيرة سيطرت على مناطق تابعة للثوار وبدأت بتنفيذ عمليات متوحشة ضد الخصوم (من المعارضة) والمدنيين وخاصة لاعتبارات طائفية.

وهنا تداعى الإعلام الموالي لطهران إلى التحريض على التدخل العسكري لحماية "المراقد" في سوريا، وبدأ حزب الله اللبناني وميليشيات طائفية عراقية في إرسال المئات من المقاتلين، وأرسلت إيران عناصر من الحرس الثوري لقيادة العلميات.

والأمر ذاته جرى في العراق، حيث سقطت مناطق عراقية واسعة وبشكل متسارع بأيدي تنظيم داعش في مشهد لم يكن ليصدقه أحد، وارتفعت أصوات قيادات الأحزاب الدينية المسيطرة على الحكومة، وأصوات إيرانية داعية إلى تفعيل دور الميليشيات التي شاركت بقوة في معارك التطهير الطائفي بين 2005 و2006.

وفي أسابيع قليلة، تشكل "الحشد الشعبي" (تجمع للميليشيات المرتبطة بإيران)، وظهر قاسم سليماني القائد في الحرس الثوري الإيراني ليدير العمليات ضد داعش، وأصبح الوجود العسكري الإيراني أمرا واقعا في العراق ولم يعترض عليه الأميركيون وإنْ كانوا يعترفون بأن هذا الوجود يقلقهم.

وهو ما جاء على لسان ديفيد بترايوس القائد السابق للقوات الأميركية في العراق الذي أكد في تصريحات لواشنطن بوست (الجمعة) أن الوجود الإيراني في العراق أخطر من داعش.

واتخذ الحوثيون من التفجيرات التي استهدفت مساجدهم مدخلا لمهاجمة المحافظات التي ما تزال عصيّة على سيطرتهم.

وبدأوا أمس هجوما على تعز، التي تقطنها أغلبية سنية، ما اعتبر مقدمة لتوسيع دائرة سيطرتهم على القبائل التي تعرف بالسد الشافعي.

لكن خبراء عسكريين يحذرون من أن استهداف هذه القبائل يمكن أن يقود اليمن إلى حرب طائفية طويلة الأمد.

وتعهد الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي أمس بمواجهة النفوذ الايراني في بلاده، متهما الحوثيين بالعمل على نقل "التجربة الايرانية الاثني عشرية" إلى اليمن، ومعتبرا أن الميليشيات الحوثية وتنظيم القاعدة "وجهان لعملة واحدة".

وقال هادي في أول خطاب له منذ انتقاله لعدن "لن تثنينا تلك الممارسات المجنونة واللامسؤولة عن تحمل المسؤولية حتى نصل بالبلاد إلى بر الامان ويرتفع علم الجمهورية اليمنية على جبل مران في صعدة بدلا عن العلم الإيراني، لأني أؤمن ان التجربة الايرانية الإثني عشرية التي تم الاتفاق عليها بين الحوثية ومن يساندها لن يقبلها الشعب اليمني زيدي وشافعي".

السعودية وعرب 48

أحمد عدنان

ص 6

شبكات التجنيد تسهل التحاق مئات الجزائريين بتنظيمات متشددة في سوريا

صابر بليدي

❑ **الجزائر**– انضمت الجزائر إلى قائمة الدول التي تموّل تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا بالمقاتلين المتشددين، وكشفت السلطات مؤخرا عن بعض الشبكات التي تتولى تجنيد شبان جزائريين بينهم فتيات وترسل بهم إلى التنظيم في سوريا.

وكشفت مصادر لـ"العرب" أن مئات من الشباب انتقلوا إلى سوريا سواء عبر تونس باتجاه تركيا، أو عبر عواصم أوروبية باتجاه تركيا التي تعتبر البوابة الوحيدة لتهريب مقاتلي التنظيم المتشدد.

يأتي هذا فيما تقلل السلطات من وجود داعش خاصة بين المجموعات السلفية التي تنشط بحرية في الجزائر.

وأوقفت قوات الأمن في محافظة عنابة القريبة من تونس في الآونة الأخيرة شابا (23 سنة) كان متجها إلى تركيا بغاية الالتحاق بتنظيم داعش في سوريا.

وقالت مصادر محلية إن العملية تمت في مطار عنابة (600 كلم شرقي العاصمة)، بعد أسابيع من تعقب تحركات الشاب الذي اعترف أثناء التحقيق برغبته في السفر إلى تركيا من أجل الالتحاق بالتنظيم، كاشفا عن أن له شقيقا قياديا في التنظيم بسوريا.

وكشفت المصادر عن أن العديد من محافظات الشرق الجزائري، على غرار عنابة، الطارف، الوادي، خنشلة وأم البواقي، صارت محطة لالتحاق مئات الشبان الجزائريين نحو سوريا وليبيا ثم القتال في صفوف تنظيم داعش.

وتعقبت مصالح الأمن منذ أسابيع عددا من خلايا التجنيد التي تعكف على تعبئة شباب لا يتعدون العقد الثالث من أعمارهم، وصارت الرحلات الجوية التي تربط الجزائر بتركيا أو الجزائر بتونس ثم تركيا من أجل الدخول إلى سوريا والعراق الخط المفضل لدى شبكات التجنيد.

وتجري مصالح الأمن بمحافظتي خنشلة وأم البواقي، منذ أسابيع تحقيقات مكثفة وعميقة، بعد توصلها لمعلومات تفيد بالتحاق أكثر من عشرين شابا من بلدات تابعة للمحافظتين، قد اختفوا منذ مدة ولا يستبعد التحاقهم بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، عبر دول أوروبية ثم تركيا، ليتم الاتجاه بعدها نحو سوريا والعراق، وأن من بين المختفين شبانا مقيمين بأوروبا ومنهم فتيات.

وتابعت المصادر أن فتيات مبحوث عنهن وتتراوح أعمارهن بين (19 و25 سنة) يرجح أنّهن التحقن بتنظيم داعش تحت عنوان "جهاد النكاح"، مبرزة أن الفتيات المعنيات ترجع أصولهن إلى عائلات جزائرية مقيمة في مدن فرنسية مثل تولوز وغرنوبل وسانت إيتيان، وأنهن لا يدرسن ولا يعملن.

ويبدو أن خلايا التجنيد تفطنت لأمر المراقبة الدقيقة لرحلات الجزائر نحو تركيا لذلك تكون قد اتخذت وجهات أخرى إلى عدة عواصم أوروبية كروما وباريس قبل التحول إلى إسطنبول، وذلك للتمويه وتعقيد مهمة مصالح الأمن في مراقبة أنشطة هذه الخلايا.

وعزت المصادر تركيز خلايا التجنيد على المناطق الشرقية للبلاد، لقربها الجغرافي من تونس وليبيا اللتين تعدان مصدرا مهما للتجنيد والتعبئة، لا سيما وأن ولاية تنظيم داعش في درنة الليبية تعد من أنشط الولايات التي أعلنت ولاءها للتنظيم، في ظل انهيار الدولة في طرابلس والانتشار الكبير لفوضى السلاح.

واعتبر خبراء أمنيون أن الخلايا النائمة لمختلف التنظيمات المسلحة، المنتشرة في مختلف الدول العربية والأوروبية، تشكل تحديات كبيرة للمنظومات الأمنية والعسكرية للدول المحاربة للإرهاب.

وقال الضابط السابق والخبير الأمني رمضان حملات في تصريح لـ"العرب" إن تفكيك شبكات الدعم والتجنيد السرية من حين إلى آخر، ينمّ عن نجاح، لكن يبقى التكيف مع الأساليب المبتكرة واجبا.

وأكد أن الأحداث تكشف أن التوظيف الجغرافي لداعش صار قائما على محور شرق الجزائر والغرب التونسي والجنوب الليبي، كقاعدة خلفية قبل التوجه إلى سوريا والعراق انطلاقا من تركيا.

تونس تقود حملة واسعة على المتشددين

❑ **تونس** – قالت السلطات التونسية إنها اعتقلت أكثر من 20 شخصا على خلفية هجوم نفذه مسلحان على متحف باردو الأربعاء فقتلا 20 سائحا أجنبيا، وذلك ضمن حملة واسعة على المتشددين ووسط إجراءات أمنية مشددة حول العاصمة تونس.

وذكر محمد علي العروي المتحدث باسم وزارة الداخلية أن السلطات اعتقلت أكثر من 20 شخصا يشتبه أنهم متشددون بينهم عشرة أشخاص ضالعون بشكل مباشر في الهجوم.

وأضاف أن هناك حملة واسعة النطاق على المتشددين.

وقالت وزارة الداخلية في بيان إنها تبحث عن متورط آخر في هجوم باردو. ونشرت صورة لملتح اسمه ماهر بن المولدي القايدي وناشدت التونسيين الإبلاغ عنه تحسبا لهجمات أخرى محتملة.

وأشار سفيان السليطي الناطق الرسمي باسم النيابة العامة إلى وجود تقدّم في التحقيق القضائي قائلا إن "هناك تطورات لكننا نفضل عدم إعطاء تفاصيل لسرية ونجاعة التحقيق".

وقالت مصادر مطّلعة عن الحملة على المتشددين لن تقف عند الجانب الأمني، وأن هناك اتجاها لبدء مراقبة مشددة على الأماكن التي يتحركون فيها وخاصة بالمساجد، فضلا عن إغلاق المساجد الخارجة عن سيطرة وزارة الشؤون الدينية.

وكان رئيس الحكومة التونسية، الحبيب الصيد، أعلن الخميس أن حكومته ستقوم بإجراء عمليات مراقبة مكثفة على كامل أنحاء البلاد للبحث عن المتورطين في العملية الإرهابية.

وأضاف الصيد خلال مؤتمر صحفي، أنه سيتم تكثيف الرقابة والحماية على معظم المنشآت السياحية في تونس، كما سيتم تأمين العاصمة من خلال قوات الأمن والجيش الوطني، من خلال تعاون أمني كامل.

وأوضح أن الحكومة ستقوم بغلق مواقع مؤيدة للإرهاب على الإنترنت، مشيرًا إلى أن الإجراءات الأمنية التي تم اتخاذها هي وقائية لمنع أيّ هجوم في المستقبل.

وما تزال الثغرات الأمنية التي رافقت الهجوم تثير الكثير من التساؤلات في ظل تكاثر الروايات التي تؤكد وجود قصور أمني.

وقال سائح فرنسي كان ضمن ركاب إحدى سفينتي الرحلات البحرية التي زار ركّابهما الأربعاء متحف باردو بالعاصمة التونسية حيث وقع الهجوم الدامي، في مرسيليا إنه "لم يكن هناك وجود للأمن" في المتحف.

وذكر تييري "خرجنا من المتحف قبل 25 دقيقة من الهجوم"، مضيفا "لقد كان حظنا جيدا (..) لم يكن هناك أيّ وجود لعناصر الأمن (..) كان هناك فقط شخص مسلح برشاش عند مدخل المرآب".

تونس.. والتخلص من عقدة الأجهزة الأمنية

خيرالله خيرالله

ص 5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWETZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الجيش الليبي يواصل معركة تحرير طرابلس

المبعوث الدولي يقر بصعوبة التوصل إلى اتفاق بين الفرقاء الليبيين

تواجه المحادثات بين الأطراف الليبية مصير الفشل، في ظل انحياز المبعوث الأممي برناردينو ليون إلى معسكر الإسلاميين، وسعيه إلى فرض حل هو بمثابة انقلاب على البرلمان المنتخب والمعترف به دوليا، وإزاء هذا الوضع تجد السلطة الشرعية نفسها مضطرة لخوض معركة حل الأزمة عسكريا وبمفردها، بعيدا عن الأهداف المشبوهة التي يسعى ليون إلى تمريرها عبر ما يسمى الحوار.

نيران الأزمة تلهب ليبيا ولا حل في الأفق القريب

طرابلس – اعتبر المبعوث الدولي إلى ليبيا برناردينو ليون أن التوصل إلى اتفاق بين طرفي النزاع في ليبيا سيكون صعبا، لكنه أعرب عن الأمل في أن يتحدا لمواجهة تنظيم "الدولة الإسلامية".

يأتي ذلك في وقت يخوض فيه الجيش الليبي معركة تحرير طرابلس من ميليشيات فجر ليبيا الإسلامية التي تسيطر بقوة السلاح على العاصمة منذ أغسطس الماضي، وذلك بالتزامن مع استئناف المفاوضات بالمغرب.

وقال ليون في مقابلة مع صحيفة البايس نشرت السبت في ثاني أيام المفاوضات الليبية بالصخيرات في المغرب "الاتفاق سيكون صعبا، ونحن لا نزال بعيدين عنه".

وألمح إلى أن المعركة الدائرة اليوم لاسترجاع طرابلس من يد الميليشيات لها علاقة مباشرة بالمفاوضات في المغرب.

وأشار "في كل معسكر هناك متشددون ومعتدلون، المعتدلون يرغبون في التوصل إلى اتفاق في حين يفضل المتشددون الحل العسكري، يريدون فرض أنفسهم عسكريا على المعسكر الآخر"، مضيفا "لا يمكن أن يقبل المجتمع الدولي هذا الحل (..) وفي حال التوصل إلى اتفاق يجب أن يعود (المجتمع الدولي) إلى البلد".

تصريحات المبعوث الأممي إلى ليبيا وإيحاءاته بشأن وجود متشددين في كلا المعسكرين تعكس عدم اعترافه بالحكومة الليبية والبرلمان المنتخب ومقره طبرق، وهذا يثير عديد الشكوك لدى السلطة الشرعية في هذا البلد.

> المبعوث الدولي لم يشر في طرحه لحل الأزمة في ليبيا إلى مجلس النواب، باعتباره السلطة الشرعية الوحيدة في البلاد، ومنح الحكومة المقترحة كل الصلاحيات التشريعية والتنفيذية

وتتعزز هذه الشكوك بالنظر إلى المقترحات التي طرحها المبعوث الدولي على طاولة المفاوضات بين الليبيين.

ومن بين هذه المقترحات دعوته إلى وقف إطلاق النار بشكل عام، ما يعني أنه ينطبق أيضا حتى على الجيش في مواجهته مع الإرهابيين.

كذلك مطالبته بانسحاب التشكيلات من المدن، وعدم تطرقه إلى ضرورة نزع سلاح هذه التشكيلات، بمعنى أن هذا المطلب لم يتعدّ مجرد حديث عن تجميد جميع القوات الأخرى في مواقعها دون تحديد من هي هذه القوات.

ومن ضمن النقاط التي أوردها ليون في ورقة وزعها على المتحاورين الليبيين والتي استعرض مدى خطورتها عضو البرلمان يونس عمر فنوش في صفحته على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، هو عدم إشارته (المبعوث الدولي) مطلقا إلى مجلس النواب، باعتباره السلطة الشرعية الوحيدة في البلاد، ومنح الحكومة المقترحة كل الصلاحيات التشريعية والتنفيذية.

كما عمد إلى اختزال الجيش الليبي في اعتباره مجرد تشكيل مسلح ينطبق عليه ما ينطبق على سائر المجموعات المسلحة الأخرى.

واعتبر فنوش أن طرح ليون "يبين انحيازه وتلاعبه بما يسمّى الحوار، فما جاء به ينسف مفهوم الشرعية ويؤصل لمفهوم الدولة الفاشلة التي يسعون لتكوينها في ليبيا بالتعاون مع الإسلاميين والميليشيات التابعة لهم".

ويتفق العديد من الخبراء مع عضو البرلمان الليبي بشأن وجود نوايا مشبوهة خلف أطروحات المبعوث الدولي، تقوم بالأساس على تأبيد الصراع في هذا البلد.

ويرى عضو البرلمان الليبي أن الحل الوحيد لنزع فتيل الأزمة في ليبيا هو الإقرار المسبق والموثق كتابيا من قبل الأمم المتحدة بأن السلطة الشرعية الوحيدة في البلاد هي مجلس النواب المنتخب وعدم الاعتراف، بأيّ شكل من الأشكال، بأيّ مسمّى آخر هذا أولا.

ثانيا حصر صلاحية تشكيل الحكومة ومنحها الثقة لمجلس النواب وحده، مع التزام الأخير بإشراك أو تمثيل أيّ طرف يقرر التوقف عن الحرب والقتال، ويتعهد بتسليم ما لديه من سلاح ثقيل ومتوسط إلى الجيش.

النقطة الثالثة هي الاعتراف بالجيش الليبي المشكّل، والتسليم بحق الدولة الليبية في البحث عن سبل لتسليحه وتزويده بما يلزمه من أدوات لمواصلة الحرب ضد الإرهاب.

هذه النقاط الثلاث هي الطريق الوحيد، وفق فنوش، لتركيز أسس سليمة للحل في ليبيا، ولكن تبقى أهداف القوى الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة لا تتفق مع ذلك.

ومن هذا المنطق يرى المتابعون أن السلطة الليبية المعترف بها دوليا لم يعد لها من حلّ سوى فرض ذلك على أرض الواقع من خلال التسريع في تحرير المناطق الليبية من سيطرة الجماعات الإسلامية.

وفي هذا الإطار يندرج إعلان الجيش الليبي عن معركة تحرير العاصمة طرابلس.

وشنت طائرات الجيش غارات جوية على معسكر تابع لميليشيات فجر ليبيا، أمس السبت وحاولت قصف مطار معيتيقة الذي يوجد تحت أيدي هذه الميليشيات.

وقال صقر الجروشي وهو قيادي في سلاح الجو بشرق ليبيا إن طائراته قصفت مطار معيتيقة في طرابلس ومعسكرا يستخدمه فجر ليبيا قرب مطار آخر بالعاصمة.

وذكر مصدر أمني في طرابلس أن المعسكر قُصف فيما يبدو لكن الطائرات أخطأت هدفها ولم تقصف المطار.

وقالت قناة النبأ التلفزيونية ومقرها طرابلس إن طائرات حربية قصفت أيضا مطار زوارة غرب البلاد لكن لم يرد تأكيد فوري على هذا.

إلى ذلك اندلعت صباح أمس اشتباكات بين الجيش وفجر ليبيا في منطقة العجيلات تبعد بنحو 100 كم من غرب العاصمة طرابلس.

واعتبر محمد الصائم، مساعد آمر الفرقة 166 التابعة للجيش، أن الاشتباكات التي تدور رحاها بالعجيلات منفصلة عن "مخطط تحرير العاصمة".

هيئة جديدة في المغرب لمواجهة الإرهاب

الرباط – أعلنت السلطات المغربية افتتاح مقرات هيئة أمنية جديدة أوكلت إليها مهمة مواجهة التحديات الأمنية وعلى رأسها الإرهاب، وتحمل هذه الهيئة اسم "المكتب المركزي للتحقيقات القضائية".

وقال محمد حصاد، وزير الداخلية المغربي، الذي أشرف مع وزير العدل ومدير مكافحة التجسس الداخلي على افتتاح مقرات هذه الهيئة الجديدة، إنها "تأتي لتعزز الجهود المبذولة من قبل المغرب لمواجهة كافة أشكال التطرف، وتهريب الأسلحة والمخدرات".

من جهته أوضح عبداللطيف الحموشي، المدير العام للمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (جهاز مكافحة التجسس الداخلي)، أن هذه البنية الجديدة "تأتي في ظرفية يطبعها تصاعد الأعمال الإرهابية عبر العالم، وتنبع من انشغال المملكة الدائم بإعادة هيكلة وتأهيل مؤسساتها الأمنية".

وبحسب ما أوضح عبدالحق الخيام، مدير هذه الهيئة الأمنية الجديدة التابعة لجهاز مكافحة التجسس الداخلي، فإنها "ستقوم بتحقيقات على كامل التراب الوطني تحت إشراف النيابة العامة"، طبقا لما تنص عليه المادة 108 من مدونة المسطرة الجنائية.

وتنص هذه المادة على الترخيص بالتنصت على المكالمات الهاتفية عبر عدة إجراءات "إذا كانت الجريمة موضوع البحث تمس بأمن الدولة أو جريمة إرهابية، وتتعلق بالعصابات الإجرامية أو بالقتل والتسميم، أو بالاختطاف وأخذ الرهائن... او بالأسلحة والذخيرة والمتفجرات".

وبلغ عدد قضايا الإرهاب المسجلة خلال 2014 في المغرب 147 بزيادة نحو 130 في المئة مقارنة مع 2013 التي سجلت 64 قضية فقط، فيما بلغ عدد الاشخاص الذين تم تقديمهم أمام النيابة العامة 323 شخصا مقابل 138 فقط خلال عام 2013، حسب الأرقام الرسمية للقضاء المغربي.

ويعتبر المغرب نفسه مهددا مباشرة من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، كما ورد في شريط فيديو بث السنة الماضية، كما لا تخفي المملكة قلقها من عودة المغاربة المجندين إلى جانب تنظيم الدولة الإسلامية المنتشر في العراق وسوريا وليبيا.

وكان وزير الداخلية المغربي محمد حصاد أشار الصيف الماضي إلى مجموعتين من المغاربة الذين التحقوا بالجماعات الإسلامية المتطرفة "واحدة ضمت 1122 شخصا توجهوا مباشرة من المغرب، والثانية بين 1500 إلى 2000 مقيم في الدول الأوروبية" بينها أسبانيا وفرنسا خصوصا.

وقد حققت السياسات التي اتبعتها المملكةالمغربية لمكافحة الإرهاب نتائج ملموسة. وقد أقرت الرباط في أكتوبر الماضي تعديلات قانونية جديدة تعاقب بالسجن حتى عشر سنوات كل من التحق أو حاول الالتحاق ببؤر التوتر أو قام بالتجنيد أو التدريب لصالح التنظيمات الإرهابية، إضافة إلى غرامات قد تصل إلى 224 ألف يورو.

الجزائر مطالبة بالعودة إلى الصف العربي

الجزائر – يزور، اليوم الأحد، الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي الجزائر، حيث سيلتقي الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة ومسؤولين جزائريين.

ويتوقع المتابعون أن يكون موضوع تشكيل القوة العربية المشتركة لمواجهة الجماعات المتطرفة على رأس هذه المحادثات.

وقد أكد، أمس السبت، نبيل العربي أن زيارته للجزائر تأتي بهدف معرفة وجهة نظر قادة هذا البلد فيما يتعلق بالتهديدات المحيطة بالمنطقة، وما يمكن القيام به لحماية الأمن القومي العربي.

وكان نائب الأمين العام للجامعة الدول العربية أحمد بن حلي قد أكد في وقت سابق أن موضوع مواجهة الإرهاب الذي تغوّل في المنطقة والذي يهدد عددا من الدول العربية وآخرها الاعتداء الإرهابي الذي ضرب تونس سيكون محورا رئيسيا في محادثاته مع بوتفليقة.

وأوضح أن موضوع الأمن العربي المشترك وكيفية تفعيل المرجعيات الأمنية العربية مثل اتفاقية الدفاع العربي المشترك والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب سيكون ضمن أهداف هذا اللقاء.

وتشكيل قوة عربية مشتركة هو مسعى مصري مدعوم من عدة دول عربية، بالنظر إلى التهديدات الكبيرة الناجمة عن تمدد الجماعات المتطرفة في عدد من الدول العربية التي تعاني من غياب الاستقرار السياسي والأمني على غرار ليبيا وسوريا واليمن.

كما تعتبر مصر أن تشكيل هذه القوة ضرورة حتمية للحيلولة دون تدخل قوات غير عربية بالمنطقة، بالنظر إلى التداعيات الخطيرة لذلك على الأمن القومي العربي ككل مستندة في ذلك إلى ما حل بالعراق وليبيا من دمار حينما تدخلت الولايات المتحدة الأميركية فيهما، وهي تتبنى في ذلك مقولة "على الدول العربية نزع أشواكها بأيديها".

وسيكون لهذا الطرح الأولوية في نقاشات القمة العربية المقرر انعقادها يومي 28 و29 من الشهر الجاري في شرم الشيخ المصرية.

ويرى مراقبون أن الجزائر كما هي الحال بالنسبة إلى الجارة تونس غير مقتنعة بفكرة تشكيل هذه القوة، رغم أنها لم تعلن عن ذلك صراحة.

وترفض الجزائر بشكل قاطع أن يكون لها أيّ قوات تحارب خارج الحدود الجزائرية، بذريعة أن الدستور لا يقر بذلك، فضلا عن رفضها لوجود أيّ قوات أجنبية على حدودها.

نقطة أخرى من المتوقع أن يتطرق لها كل من الرئيس الجزائري والأمين العام لجامعة الدول العربية، وهو الموقف الجزائري من الأزمة الليبية.

وتملك الجزائر موقفا مختلفا عن معظم دول المنطقة فيما يتعلق بهذا البلد، فهي تصر على رفض أيّ نوع من التدخل الخارجي (حتى وإن كان عربي) للتصدي للمجاميع الإرهابية التي تغلغلت في هذا البلد، وتصر على ضرورة الحوار مع الجماعات الإسلامية للوصول إلى حل سياسي.

وكشفت مصادر عدة، أن الجزائر أجرت على مر الأشهر الماضية لقاءات مع قيادات بارزة في الجماعات الإسلامية وفي مقدمتهم إخوان ليبيا، الذين يتحملون النصيب الأكبر فيما وصلت إليه البلاد من فوضى.

وإلى جانب رفضها لأيّ تدخل أجنبي بذريعة ما وصل إليه الحال عقب تدخل حلف شمال الأطلسي في 2011 للإطاحة بالعقيد معمر القذافي، فهي ترفض أيضا الموقف القائل بضرورة تسليح الحكومة الليبية المعترف بها دوليا، للتصدي لتنظيم الدولة الإسلامية وغيره من الجماعات المتطرفة.

وفي هذا الصدد يقول نبيل العربي في تصريحاته الأخيرة إن هناك خلافا مع الجزائر بشأن تسليح الحكومة الليبية المؤقتة، حيث أن للجزائر تحفظات على هذا الأمر.

ويستغرب العديد من المتابعين الموقف الجزائري حيال ذلك، خاصة وأن الوضع في ليبيا وتمدد الإرهاب سيرتد عاجلا أم آجلا عليها، وبالتالي لا بد من الإسراع في اتخاذ خطوات عاجلة لمنع ذلك.

وللإشارة هنا فإن عديد التقارير الاستخباراتية قد كشفت أن مئات من المتطرفين قد عادوا من كل من سوريا والعراق، فضلا أن العشرات من التونسيين والجزائريين يستمرون في التدفق باتجاه هذا البلد للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية.

وفضلا عن الأزمة الليبية التي ستكون حاضرة بامتياز في لقاء بوتفليقة والعربي، هناك الصراع السوري، حيث تبدي الجزائر موقفا نوعا ما مواليا للرئيس السوري بشار الأسد، وهي من أكثر الرافضين لحصول الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية لمقعد سوريا في الجماعة العربية.

وهذه المسألة تعد أحد النقاط الخلافية الكبرى بينها وبين عدد من الدول الخليجية.

العربي، مهمة مستحيلة في الجزائر

خطر الحشد الشعبي يتجاوز تنظيم داعش

رئيس سابق للـ«سي آي إيه» يستبعد تحالف واشنطن مع طهران في العراق

حذر الجنرال الأميركي ديفيد بتريوس من خطر ميليشيات الحشد الشعبي في العراق، معتبرا أن ممارسات الأخيرة وتجاوزاتها بحق الطائفة السنية من شأنها أن تثير النعرات الطائفية في هذا البلد، مستبعدا أن يكون هناك تعاون بين بلده وطهران في العراق، وهو ما يتنافى وواقع الحال.

□ **واشنطن** – أكد الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية "سي آي إيه"، ديفيد بتريوس أن الخطر الحقيقي على استقرار العراق والمنطقة ككل على المدى الطويل يأتي من ميليشيات الحشد الشعبي المدعومة من طهران، وليس من تنظيم الدولة الإسلامية.

واعتبر بتريوس في تصريحات لصحيفة واشنطن بوست الأميركية، أن هذه الميليشيات "تقوم بفظاعات ضد المدنيين السنّة".

وتثير ممارسات ميليشيات الحشد الشعبي التي شكلتها إيران عقب تمدد تنظيم الدولة الإسلامية في شمال العراق وغربها، العام الماضي، انتقادات المجتمع الدولي.

وقد وثقت منظمات حقوقية دولية عديد التجاوزات التي اقترفها عناصرها في عدة مناطق سنية تمّ تحريرها من تنظيم الدولة الإسلامية.

وشدد الجنرال الأميركي الذي كان أيضا قائدا لقوات بلاده في العراق، أن تجاوزات الميليشيات الشيعية باتت تشكل تهديدا لكل الجهود الرامية إلى جعل المكون السني جزء من الحل في العراق وليس عاملا للفشل.

وقال إن تنظيم داعش لا يمثل الخطر الأول بالنسبة إلى أمن العراق والمنطقة "لأنه في طريقه للهزيمة، لكن الخطر الأشد يأتي من الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران"، وفق تعبيره.

وحذر بتريوس من تنامي نفوذ هذه الميليشيات المدعومة إيرانيا حيث تصبح الحكومة العراقية عاجزة عن احتوائها.

وتحاول طهران، وفق الخبراء، وضع يدها على العراق عبر هذه الميليشيات التي تدين لها بالولاء.

وشدد بتريوس على أن مهمة دحر داعش في العراق يجب أن تنجز من خلال القوات العراقية المدعومة من التحالف الدولي، مشيرا إلى ضرورة خلق قوات سنية مناوئة لداعش.

وأضاف "كما ينبغي على القوات العراقية التي تنفذ العمليات العسكرية أن تولي رعاية قصوى لسلوكياتها، لافتا إلى قلقه المتعاظم إزاء التقارير التي تتحدث عن فظائع طائفية، ولا سيما من جانب الميليشيات الشيعية حال انتقالهم إلى المناطق السنية التي خرجت من سيطرة تنظيم داعش.

واعتبر بتريوس أن الولايات المتحدة الأميركية تتحمل المسؤولية نسبيا في ما يحدث حاليا للعراق من تنامي نفوذ إيران ومن خطر داعش، وذلك عندما أخرجت جميع قواتها من العراق، فضلا عن عدم الضغط على رئيس الحكومة السابق نوري المالكي للتخلي عن الحكم لدوره الكبير في تغذية الطائفية من خلال انتهاك حقوق الطائفة السنية وتهميشها.

وفي سياق التطرق إلى التدخل الإيراني في العراق أعرب الجنرال الأميركي عن دهشته من رؤية قاسم سليماني قائد فيلق القدس الجناح الخارجي للحرس الثوري الإيراني ينتقل من قائد عسكري يعمل في الخفاء إلى شخصية أكثر علانية.

واستبعد بتريوس التحالف بين واشنطن وطهران في العراق، متهما إيران بأنها جزء من المشكلة لا الحل، محذرا من أن تنامي نفوذها في الشرق الأوسط، سيؤدي إلى اتساع رقعة التطرف.

وبات خطر إيران يتجاوز الدائرة العراقية ليشمل كامل منطقة الشرق الأوسط بدءا بلبنان، حيث يسيطر ذراعها حزب الله على مختلف المناحي السياسية في هذا البلد، وهو ما يتجسد في تعطيله لعملية انتخاب رئيس للجمهورية رغم مرور 300 يوم.

التغول الإيراني أيضا امتد بصورة أكبر خلال السنتين الماضيتين إلى سوريا، وبات خلال الأشهر الماضية بصورة علنية، ويظهر ذلك بشكل بارز في الجنوب حيث تتولى قيادات من فيلق القدس إدارة المعارك هناك الأمر الذي يثير قلق الأردن باعتبار أن الحرس الثوري الإيراني بات على أعتابه على الناحيتين العراقية والسورية.

أما اليمن الذي يشهد فوضى لا متناهية فتعود المسؤولية غير المباشرة فيها إلى إيران التي موّلت ودعمت الحوثيين ماديا حتى اشتد عودهم وتمكنوا من السيطرة على العاصمة صنعاء وعدد من المدن اليمنية الهامة شمالا، وبات اليمن اليوم وعلى وقع هذه التطورات مهددا بالتقسيم.

> تجاوزات الميليشيات الشيعية باتت تشكل تهديدا لكل الجهود الرامية إلى جعل المكون السني جزءا من الحل في العراق

ميليشيات إيران في العراق.. التحدي الأكبر أمام الحكومة

وفي حال استمر الوضع القائم يرى المراقبون أن هذا البلد على شفير حرب أهلية ستصل تداعياتها بشكل أو بآخر إلى المملكة العربية السعودية وهو ما تسعى إليه طهران.

ويثير هذا التمدد الإيراني مخاوف دول المنطقة، باعتبار أنه يهدد بتفجر حرب طائفية في المنطقة لن يكون فيها أيّ منتصر.

ولكن الولايات المتحدة وعلى خلاف ما قاله بتريوس تبدو، وفق المراقبين، غير عابئة بهذا الخطر، فرغم تحذيراتها وانتقاداتها إلا أن كل المعطيات تفيد بتعاون بين الجانبين.

وهذا ما تأكد عندما صمتت عن سيطرة الحوثيين على اليمن، واكتفى المتحدثون باسمها بانتقادات تكاد لا تسمع، أما حزب الله فقد قامت بإخراجه من دائرة الكيانات المهددة لها، وفيما يتعلق بالنقطة الأهم وهي ميليشيات الحشد الشعبي فإن واشنطن لم تقدم على أيّ خطوات عملية لوقف انتهاكات هذا الطرف.

وبالتالي يبقى استبعاد الجنرال الأميركي لتعاون أميركي إيراني مجرد ذر رماد على العيون، وفق المراقبين.

كيري: حان الوقت لاتخاذ قرارات حول نووي إيران

□ **لوزان (سويسرا)** – أكد وزير الخارجية الأميركي جون كيري، أمس السبت، أن المحادثات النووية مع إيران أحرزت تقدما حقيقيا وأنه حان الوقت لاتخاذ قرارات صعبة من أجل التوصل لاتفاق يكبح برنامج طهران النووي.

وكان المرشد الأعلى لإيران علي خامنئي قد أكد أن ما من أحد في طهران لا يريد حل القضية النووية عن طريق المفاوضات.

من جانبه شدد الرئيس الإيراني حسن روحاني على أنه "لا شيء قد يستعصي على الحل" بين الأطراف التي تسعى إلى التوصل لاتفاق نهائي بحلول نهاية يونيو.

وأضاف روحاني قائلا "في هذه الجولة من المحادثات ظهرت وجهات نظر مشتركة في بعض المجالات التي كانت هناك خلافات في الرأي بشأنها ومن ثمة يمكن أن يكون ذلك أساس اتفاق نهائي".

وبعد مفاوضات استمرت أسبوعا مع إيران في مدينة لوزان السويسرية قال كيري إنه سيلتقي بنظرائه الأوروبيين في لندن لبحث كيفية حل النقاط العالقة الباقية.

وأضاف أن استئناف المفاوضات سيكون هذا الأسبوع لبحث إمكانية التوصل لاتفاق.

وأوضح كيري "لا نتعجل الأمور.. لكننا ندرك أن قرارات مهمة يجب أن تتخذ الآن ولن تصبح أكثر سهولة مع مرور الوقت... حان وقت اتخاذ قرارات صعبة".

ويشتبه الغرب بأن إيران تسعى إلى امتلاك القدرة على إنتاج أسلحة نووية وفرضت الأمم المتحدة عقوبات اقتصادية صارمة على طهران.

وتزعم إيران أن برنامجها لأغراض سلمية فقط مثل التكنولوجيا الطبية والطاقة النووية وتريد رفع العقوبات سريعا.

ومن المنتظر أن تستأنف المحادثات الرامية إلى حل النزاع –الذي هدد في وقت من الأوقات بدفع الشرق الأوسط إلى شفا الحرب– يوم الخميس المقبل.

وتنظر إسرائيل التي تعتبر البرنامج النووي الإيراني تهديدا لوجودها إلى المفاوضات بريبة وتخشى أن يسمح أيّ اتفاق محتمل لطهران بالاحتفاظ بقدرات نووية.

وقال كيري "لم نصل بعد لخط النهاية لكن لدينا الفرصة لمحاولة إنجاز المهمة.. إنها مسألة إرادة سياسية واتخاذ قرار صعب".

من جانبه أوضح وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس أن بلاده تريد اتفاقا يكون قويا بما يكفي لضمان ألا يكون بمقدور طهران امتلاك قنبلة ذرية.

ورأى مسؤولون أن فرنسا تطالب أكثر من المبعوثين الغربيين الآخرين في المفاوضات بمزيد من القيود على إيران في أيّ اتفاق وأنه في إحدى المراحل أثناء المحادثات اتصل فابيوس بفريقه لضمان عدم تقديم المزيد من التنازلات.

داعش تدخل على خط المواجهة في اليمن

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – تمكنت قوات عسكرية يمنية مسنودة من اللجان الشعبية المحسوبة على الرئيس عبدربه منصور هادي من استعادة مدينة لحج جنوبي اليمن.

وكان تنظيم القاعدة قد سيطر، الجمعة، على مركز محافظة لحج المحاذية لعدن (العاصمة المؤقتة لليمن) وقام بقتل العشرات من جنود الأمن بطريقة وحشية.

وقالت مصادر مطلعة لـ"العرب" إن وحدات عسكرية ولجانا شعبية جنوبية انتشرت في العديد من مناطق محافظة لحج وسيطرت على مواقع عسكرية في مديرية ردفان.

وقد مثل ظهور القاعدة المفاجئ في لحج وسيطرتها على مؤسسات الدولة في عاصمة المحافظة، وفقا لمراقبين، تحديا هائلا للرئيس هادي عقب انتصاره في أول معركة وتمكنه من فرض سيطرته الكاملة على محافظة عدن.

وأثار هذا الظهور المفاجئ للقاعدة على تخوم عدن علامات استفهام كبيرة بالتزامن مع إعلان تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بداعش عن نفسه في صنعاء بشكل بالغ الدموية.

وكان تنظيم داعش قد تبنى في بيان صوتي له الهجمات الإرهابية التي طالت مساجد صنعاء وقام بتنفيذها أربعة انتحاريين إضافة إلى تمكن اللجان الأمنية التابعة للحوثيين من إلقاء القبض على مهاجم خامس قبيل تنفيذ عملية مشابهة في جامع "الهادي" بمدينة صعدة والذي يعد أهم مساجد المذهب الزيدي و يضم ضريح مؤسس الدولة الزيدية في اليمن.

وفي سياق التصعيد العسكري على الأرض، تواترت الأنباء عن مخططات لاقتحام محافظات الجنوب من قبل الحوثيين.

وأكدت مصادر خاصة لـ"العرب" من جنوب اليمن أن الرئيس هادي أحكم سيطرته على قاعدة العند الجوية والتي تضم عددا من الطائرات الحربية في الوقت الذي يستمر فيه تحليق الطائرات الحربية القادمة من صنعاء على عدد من مدن الجنوب. وقالت المصادر إن الرئيس هادي قد يضطر لاستخدام الطائرات الحربية التي باتت في حوزته لخلق حالة من التوازن الذي قد يحيّد الطيران الحربي في الصراع العسكري المرتقب.

ومن ناحية أخرى شهدت مدينة تعزّ مظاهرات حاشدة خرجت للتنديد بدخول طلائع القوات الحوثية إلى المدينة.

وأكدت المصادر أن المدينة تشهد حالة توتر شديدة إثر إطلاق الحوثيين النار على المتظاهرين الذين اعتصموا أمام معسكر قوات الأمن الخاصة الذي اتخذت منه التعزيزات الحوثية التي دخلت المدينة مقرا لها.

أنصار هادي يتظاهرون ضد الحوثيين وداعش

وكانت اللجنة الأمنية في تعز قد أصدرت بيانا أكدت فيه رفضها دخول أيّ تعزيزات عسكرية إلى المحافظة معتبرة أن ذلك قد يحوّل المحافظة إلى ساحة للصراعات وتصفية للحسابات الضيقة.

وقالت اللجنة الأمنية في بيانها إن "أيّ تعزيزات عسكرية ستصل إلى المحافظة من أيّ جهة قد يقابله تصرف مماثل من الجهة الأخرى وهو ما سيجعل المحافظة ساحة للاقتتال وتصفية الحسابات والزج بها في أتون فوضى لن تخدم أحد".

وفي ذات السياق كشف صحفي مقرب من وزير الدفاع اليمني محمود الصبيحي عن وجود الصبيحي في مدينة تعز في مؤشر على صراع محتمل بين هادي والحوثيين للسيطرة على المدينة التي تكتسب أهمية خاصة كونها همزة الوصل السياسية والجغرافية بين شمال اليمن وجنوبه.

وفي هذه الأثناء تستمر المواجهات العنيفة على الحدود بين محافظتي مأرب والبيضاء إثر محاولة الحوثيين اقتحام محافظة مأرب من جنوبها في محاولة لإحداث نصر عسكري قد يهيئ لإسقاط المحافظة الإستراتيجية التي تمد محافظات اليمن باحتياجاتها من الوقود والطاقة.

وتأتي التحركات الحوثية الأخيرة والتي تهدف وفقا لمراقبين لإحكام السيطرة على آخر محافظتين شماليتين خارج سيطرتها (تعز ومأرب) في ظل تسارع وتيرة سيطرة اللجان الشعبية والجيش في الجنوب على مقرات ومواقع الجيش والأمن الذي ينظر إليه على أنه موال للحوثيين والرئيس السابق.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

تونس مستهدفة في نموذجها الحداثي

أيديولوجيا التطرف والإرهاب تواجه بالوسطية وتمكين الشباب

أحيت تونس الجمعة الماضية ذكرى عيد الاستقلال، التي جاءت بعد يومين على الهجوم الدموي الذي استهدف سياحا في متحف باردو في العاصمة. وأكدت السلطات أن منفذيه اللذين ينتميان إلى تنظيم الدولة الإسلامية شابان في مقتبل العمر، أحدهما كان يشتغل في شركة سياحة والآخر تلميذ في الباكالوريا.

❏ حاول التونسيون الاحتفال بذكرى الاستقلال وخرجوا إلى الشوارع في مسيرات احتفالية منددة بالعمليات الإرهابية، ومؤكدة على المضي على الطريق الذي رسمه رجال دولة الاستقلال بقيادة الحبيب بورقيبة. إلا أن أغانيهم وموسيقاهم وضحكاتهم لم تستطع أن تخفي الخوف والتساؤل الكبير حول الأسباب التي جعلت ياسين العبيدي وجابر الخشناوي، وغيرهما، من شباب تونس الاستقلال وشابّاتها، ينحرفون عن مسار الأغلبيّة، ويتبعون طريق التطرّف والتشدّد الذي لم تعرفه تونس يوما على مدار تاريخها.

20 مارس 1956، تاريخ حصول تونس على استقلالها من الاحتلال الفرنسي، وتاريخ دخول البلاد مرحلة تكوين الدولة الحداثية المستقلة والمنفتحة، التي رفعت في ذلك الوقت، شعارين رئيسيين مجانية التعليم وتعميميه، وحرية والمرأة ومساواتها.

ومنذ ذلك التاريخ، عملت تونس على المضي قدما نحو بناء دولة الحداثة، ونجحت في أن تكون من أكثر البلدان العربية انفتاحا ونسبة التعليم فيها من أعلى المستويات العربية والعالمية، وأن تكون البلد العربي الوحيد الذي يمنع زواج القاصرات، ويحظر تعدد الزوجات، وحتى في ظل وجود حركة النهضة الإسلامية على رأس السلطة، بعد ثورة 2011، ناقش البرلمان، ودون اعتراض الأعضاء الإسلاميين، قانون المساواة في الميراث.

جاء ذلك، بالتوزاي مع الحفاظ على تقاليد المجتمع التونسي وخصوصيته الدينية المستقاة من مرجعية سنية مالكية أشعرية، معروف عنها الاعتدال ونبذ التطرّف والعنف بكل أشكاله. ولم يفكّر يوما التونسيون في أنهم سيواجهون تونسيين مثلهم، لكن أفكارهم تسيطر عليها الأيديولوجيات الهدّامة التكفيرية.

التعاطي الأمني

ما الذي يدفع الآلاف من الشباب التونسيين إلى الانخراط في صناعة التوحّش في بلد مثل تونس، عرف بنمط عيش متحرر ومنفتح يقترب من النمط الغربي؛ فأين كانت تختفي هذه النزعة المتعطشة للموت والمعادية للحياة، وكيف تمكّن أنصارها من الانسياب بسرعة مخيفة داخل المجتمع التونسي الحداثي بامتياز؟

الإجابة الشاملة على هذه الأسئلة تعدّ أول الطريق نحو القطع مع ظاهرة الإرهاب ووقف تمدّدها في تونس. وفي إجابتهم، وبحثهم، لا ينفي الخبراء وعلماء الاجتماع وحتى المواطنون العاديون، أن أسبابها تعود إلى ما قبل ثورة 2011، ولعل أبرز مثال على ذلك أن تونس عاشت سنة 2006، حادثة سليمان الإرهابية الشهيرة، وقبلها 2002، العملية الإرهابية التي استهدفت كنيس الغريبة اليهودي في جزيرة جربة.

لكن، وبخلاف حادثتي جربة وسليمان، كان التساهل وتفكّك المنظومة الأمنية التي كانت تحكم البلاد بقبضة من جديد، سببا في تفشي ظاهرة الإرهاب. ويؤكّد الخبراء أنه لو تمّ التعامل مع أول عملية إرهابية تشهدها البلاد بعد ثورة 14 جانفي 2011، وهي مقتل المعارض اليساري شكري بلعيد، ثم العملية التي استهدفت الجنود، كما تعامل نظام بن علي مع عملية سليمان، لما تمكّن الإرهابيون من التمدّد داخل تونس بل وأن يصلوا إلى العاصمة.

وبالعودة إلى الأسباب، يؤكّد الباحثون أن اقتصار تفسير رواج عمل التنظيمات المتشدّدة مرتبط بالفقر، يعطل كثيرا الوصول إلى حلول لهذه الظاهرة؛ حيث يؤكّد الخبراء، على الأقل فيما يتعلّق بتونس، أن الفقر يأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة من المسبّبات التي تدفع الشباب إلى أحضان التنظيمات الجهادية.

ويبني الخبراء استنتاجهم هذا على طبيعة الأشخاص الذين تم اكتشاف انتمائهم إلى تنظيم الدولة الإسلامية. فبالنسبة لعملية باردو، التي قالت السلطات التونسية إن منفذيها اللذين قتلا، خلال العملية هما ياسين العبيدي، خريّج جامعة وحامل شاهدة في اللغة الفرنسية، وكان يعمل إلى حدّ ساعات قليلة من تنفيذ العملية في شركة سياحة؛ أما شريكه في العملية فهو تلميذ في سن المراهقة، يدعى جابر الخشناوي، تلميذ في الباكالوريا، عرف بتفوّقه الدراسي.

ولم تفاجئ السيرة الذاتية لياسين وجابر التونسيين الخبراء، بقدر ما جعلتهم يشدّدون على أهمية البحث في الأسباب التي تدفع شابا درس اللغة والآداب والثقافة الفرنسية، بعيدا عن كلّ الثغرات التي يمكن أن يتسلّل منها أيّ فكر متطرّف، إلى أن يصبح عضوا في تنظيم مصنّف إرهابيا. وبالمثل كيف أمكن لجابر الذي ينتمي إلى عائلة ميسورة الحال، في إحدى قرى محافظة القصرين (وسط غرب) الحدودية مع الجزائر، وأغلب أفراد عائلته متعلّمون ويزاولون مهنة التدريس، أن يمسك كلاشنيكوف ويشارك في عملية إرهابية قتل فيها 23 أجنبيا وثلاثة تونسيين.

انتماء فئات اجتماعية، من طبقة متوسّطة، وأحيانا ميسورة الحال، إلى التنظيمات المتشدّدة ظهر بالخصوص مع عملية "وادي الليل"، في أكتوبر الماضي، التي دقّت ناقوس الخطر بخصوص أهم رهانين في تونس: التعليم والمرأة، بالإضافة إلى الشباب، العمود الفقري لأيّ مجتمع.

وكشفت عملية "وادي الليل" أن من بين المتورّطين أربعة نساء هن بية بن رجب، تبلغ من العمر 21 سنة أصيلة منطقة العالية من محافظة بنزرت، وهندة السعيدي، تبلغ من العمر 21 سنة طالبة في منطقة المرسى الراقية بتونس العاصمة، وأمينة العامري زوجة أيمن مشماش، أحد منفذي العملية، من محافظة توزر، وشقيقتها إيمان العامري.

وعكست تلك الخلية التي تضم إلى جانب المذكورات، شباب وشابات آخرين، مدى قدرة الجماعات الجهادية على اختراق النسيج الاجتماعي التونسي حيث تم تجنيد الفتيات من جهات مختلفة سواء من داخل العاصمة أو من الضواحي الراقية، على غرار المرسى، أو من المحافظات الساحلية والداخلية. وعلى غرار ياسين العبيدي وجابر الخشناوي، تعرّضت فتيات عملية وادي الليل، وغيرهن، إلى عمليات غسل دماغ، ما يثير مخاوف جدية من أن الإرهاب يهدّد المجتمع في جيله الشاب المثقف ثقافة مدنية متشبعة بقيم الحداثة ليضرب في العمق أبرز مكاسب دولة الاستقلال.

الأمن والمرأة عنصران أساسيان في كسب المعركة ضد الإرهاب

سياسة شاملة

استوعب التونسيون هذه الحقيقة، وتأكّدوا أن الإرهاب بات في عقر دارهم، وبالتالي بات لزاما على الدولة بسلطتها ومواطنيها وخبرائها العمل على تطهير البلاد من هذا الخطر من العمق، واعتماد سياسة شاملة، تبدأ من المساواة في التنمية بين الجهات والمناطق، ومرورا بمراجعة السياسات التعليمية، ومراقبة الإنترنت واستعادة الصورة الإيجابية للسياسة التونسية الخالية من كل مظاهر الانتماء الديني، وصولا إلى المقاربة الأهم وذات الأولية، وهي إعادة السيطرة الكاملة على المساجد، باعتبارها الخطوة الأمنية الأولى.

ويؤكد أقارب كل من ياسين العياري وجابر الخشناوي أنهما كانا في الفترة الأخيرة كثيرا التردّد على المسجد، وقد اختفيا قبل مدة من عملية باردو، ثم تبيّن أنهما كان يتدرّبان في إحدى المعسكرات التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا.

تقول عائلة العبيدي إنه لا يمكن أن تستوعب كيف لشاب محبوب ومفعم بالحياة والحيوية ويعشق ارتداء أفخم الملابس المستوردة أن يتحول إلى متشدد يقتل أبرياء بتلك الطريقة الوحشية.

وياسين العبيدي (27 عاما) مثل أغلب شبان منطقة العمران الأعلى واصل دراسته الجامعية قبل أن يحصل على شهادة في اللغة الفرنسية ولم تكن تبدو عليه أيّ مظاهر تشدد أو فكر متطرف يمكن أن تدفعه لارتكاب أكبر هجوم دموي في تونس أثار حالة من الذهول والصدمة في البلاد وخارجها.

لكن منذ نهاية العام الماضي أصبح هذا الشاب يقضي كثيرا من الوقت بمسجد التوبة القريب حيث يلتقي عددا من الشبان ويدور الحديث غالبا عن الجهاد في سوريا وليبيا وينتهي مصير كثير منهم بالسفر للقتال.

ويتحدث محمد العبيدي، عمّ ياسين، ولا يخف صدمته، ويقول "أنا حزين على ياسين ولكن حزين أكثر على مقتل سياح أبرياء بهذا الشكل.. لماذا يدفع هؤلاء الأبرياء ثمن فهم خاطئ ومتطرف للإسلام".

وفي حي شعبي يعرف باسم "كرش (بطن) الغابة"، الملاصق لحيّ المنار الراقي، حيث ازدحمت المباني العشوائية المحاطة بمصب للصرف الصحي نصبت عائلة ياسين العبيدي خيمة عزاء أمام بيته. لكن المقاعد كانت فارغة ولم يكن هناك سوى بضعة أفراد من العائلة واقفين أمام البيت.

وتقريبا، نفس المشهد في بيت شريكه في العملية جابر الخشناوي، الذي ولد بحسب تصريحات أحد أقربائه، سنة 1994 في قرية "إبراهيم الزهار" التابعة لمحافظة ولاية القصرين. وكان من المفترض أن يجتاز امتحان البكالوريا هذا العام.

ونشأ الشاب في عائلة "متدينة ومتواضعة لكنها غير فقيرة" وفق المصدر نفسه الذي قال إن جابر كان انطوائيا منذ طفولته. ويعكس استنكار عائلة كل من جابر وياسين، مشاعر أغلب التونسيين، حيث ندد قريب ياسين العبيدي بأعمال القتل التي نفذها قريبه وصديقه ووصفها بأنها "لا تطاق"، معربا عن عدم فهمه كيفية تحول "شاب عادي" إلى إرهابي.

حكومة الترويكا مورطة

ساهمت عوامل اقتصادية واجتماعية إضافة إلى الاضطرابات السياسية في تونس في انضمام شباب متنوعي المشارب إلى تيار جهادي برز بشكل لافت بعد الثورة التي أطاحت بنظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي.

ويطرح العدد المرتفع للمقاتلين التونسيين في سوريا والعراق وليبيا، وعدد الجهاديين الممنوعين من السفر نحو هذه الوجهات تساؤلات حول الظاهرة الجهادية في هذا البلد الصغير المعروف منذ عقود بعلمانيته.

وقالت أمية نوفل الصديق، الباحثة في مركز الحوار الانساني"، (منظمة دولية للوساطة في مجال النزاعات) إن "التفسير الأكثر كلاسيكية (لهذه الظاهرة) هو اليأس الاجتماعي الذي يؤدي تدريجيا إلى أشكال التطرف".

وقالت سمية بلحاج إن "الاقتصاد يبقى أحد المعايير، لكن الشباب المشاركين (في الجهاد) ليسوا جميعا منحدرين من أوساط محرومة". وأضافت "هناك تضافر لعاملي هشاشة الشخصية لدى الشباب والمحيط الذي يسهّل التوجه نحو الأصولية".

ولئن، لا يختلف التونسيون بأن أرضية بعض المراهقين والشباب المحبط والعاطل،

> المسلحان اللذان هاجما متحف باردو سافرا إلى ليبيا حيث تلقيا تدريبات في معسكرات قبل العودة لتنفيذ الهجوم الدموي الذي تبناه تنظيم الدولة الإسلامية

كانت مهيّأة، من قبل 2011، إلاّ أنهم يحمّلون المسؤولية لحكومة الترويكا، بقيادة حركة النهضة، التي تجاهلت تحذيرات الكثيرين، ولم تتعامل منذ البداية وبحزم مع أنصار التنظيمات المتشدّدة، بل إن أعضاء بارزين في حركة النهضة، لم يخفوا أفكارهم المتطرّفة الغريبة عن المجتمع التونسي.

ويقول كثير من التونسيين إن ما عاشته بلادهم ليس إلا نتاجا واستتباعا لسياسات حكومتي الترويكا (ائتلاف بين علمانيين وإسلاميين معتدلين حكم من ديسمبر 2011 إلى يناير 2014) المتساهلة والمبرِّرة لوجود ونشاط المجاميع التكفيرية وانتهاجها سياسة على المستوى الوطني والإقليمي، تشجع وتغض الطرف عن تسفير التونسيين إلى مواقع الصراع المسلح في سوريا وليبيا.

وما انفك رئيس الحركة راشد الغنوشي يردد أن السلفيين "هم جزء من المجتمع التونسي ويحق لهم ما يحق لغيرهم"، ملاحظا أنهم "إخواننا وأبناؤنا ومن حقهم التعبير عن مواقفهم وآرائهم".

وتعزو قيادات سياسية تونسية بما فيها قيادات قريبة من النهضة تسامح الغنوشي تجاه تنامي سطوة السلفيين إلى "العطف الكبير" الذي يبديه تجاههم إذ "يذكره حماسهم لتطبيق الشريعة بشبابه".

وكانت هذه الحماية، من بين الأسباب التي جعلت بعض المتشدّدين يسيطرون على المساجد، ويطردون أئمتها، ويتّخذونها مساكن ومراكز تجمّع لهم.

ورغم أن الدولة، بعد سقوط حكومتي الترويكا، تمكّنت من استعادة عدد كبير من المساجد وشنّت حملات واسعة ضد جماعات إسلامية متشددة واعتقلت المئات منهم، إلا أنها دفعت، ولاتزال باهظا، ثمن التسيب في المساجد والسماح لأشخاص متشدّدين، وفي أحيان كثيرة لا علاقة لهم بالعلوم الدينية، ولا يمتلكون مستوى تعليميا يسمح لهم بإلقاء المواعظ والخطب في الجوامع، أن يمارسوا هذه المهمّة بأريحية في المساجد في غياب الرقابة وتحت سيطرة أصحاب الأجندات التكفيرية.

ويعتبر كثير من التونسيين، أن سياسة النظامين السابقين كانت على حق بتحديد أوقات فتح المساجد، ومنع التواجد فيها خارج أوقات الصلاة، حتى لا تصبح مقرّات غير رسمية للأحزاب الدينية، وتوريد الأفكار الظلامية التي لا تتماشى وطبيعة المجتمع التونسي، الذي لا يعترف، فيما يتعلّق بالتعليم الديني، إلا بالتعليم الزيتوني المعتدل الذي أخرج مصلحين كانوا من أبرز المدافعين عن دولة الحداثة وحرية المرأة وتطوير التعليم كأساس نحو بناء دولة مستقلة حداثية وآمنة.

❏ مئات التونسيين، بينهم وزراء في الحكومة، يشاركون في قداس في كاتدرائية تونس تكريما لضحايا عملية باردو الإرهابية

تونس.. والتخلّص من عقدة الأجهزة الأمنية

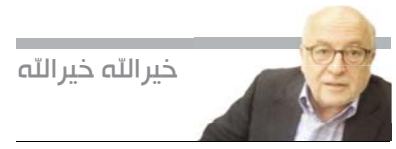

خيرالله خيرالله

❑ هناك ما هو أبعد من الهجوم الإرهابي الذي استهدف متحف باردو في العاصمة التونسية وأدّى إلى مقتل عشرين سائحا أوروبيا ومواطنين تونسيين. هناك هجمة على تونس تجعل مستقبل البلد مهدّدا. تقتضي هذه الهجمة التوقف طويلا عند ما تمرّ به تونس التي بدت وكأنّها استثناء عربي، خصوصا بعد الذي حل بليبيا ومصر واليمن وسوريا نتيجة الثورات الشعبية التي أسقطت الأنظمة في تلك الدول.

قبل كلّ شيء، كشفت الهجمة على المتحف وجود مجموعات إرهابية تتحرّك بحرية. هذا عائد إلى حد كبير إلى تراجع قدرة الأجهزة الأمنية على ملاحقة الإرهابيين وخلاياهم وتحديد الأماكن التي يلجأون إليها ويجدون فيها مأوى آمنا. يضاف إلى ذلك بطبيعة الحال ما يدور في ليبيا حيث لم يعد من مجال في هذا البلد الجار لإيجاد أيّ ضوابط أمام انتشار السلاح والإرهاب..

يبدو كأن انهيار النظام الذي أقامه زين العابدين بن علي، بحسناته وسيئاته، أدّى إلى انهيار الأجهزة الأمنية أيضا. ففي الدول الحديثة، خصوصا في الدول الديمقراطية، لا بدّ من المحافظة على الأجهزة الأمنية وتحديد دورها بصفة كونها مؤسسات مستقلة في خدمة الدولة والمواطن وليس في خدمة النظام القائم.

في الواقع، ضعفت الأجهزة الأمنية التونسية كثيرا وفقدت فاعليتها بعد انهيار نظام بن علي، في حين كان مفروضا بعد نجاح "ثورة الياسمين" التركيز على استقلالية هذه الأجهزة والتفريق بينها وبين النظام السابق. فالإرهاب يستهدف كلّ عائلة تونسية كما يستهدف كل مؤسسة من مؤسسات الدولة، فضلا عن أنّه يستهدف المجتمع التونسي المنفتح الذي قاوم كلّ المحاولات التي بذلها الإخوان المسلمون من أجل القضاء على المنجزات التي تحقّقت منذ الاستقلال، خصوصا في عهد رجل استثنائي اسمه الحبيب بورقيبة.

> تونس الآن، بلد ديموقراطي يمتلك دستورا عصريا. بلد من هذا النوع، قاوم المجتمع فيه التخلف بكل أنواعه، لا يمكن إلا أن ينتصر على الإرهاب

ليس سرّا أن التونسيين، تتقدّمهم المرأة، يدافعون منذ رحيل بن علي مطلع العام 2011، عن قيم مجتمعهم المتطور. هذا سمح لهم بانتخاب مجلس للنوّاب لا تسيطر عليه "حركة النهضة" التي تعتبر جزءا لا يتجزّأ من تنظيم الإخوان المسلمين. تجرّأ التونسيون على "النهضة" بكلّ ما تمثّله من تخلف من جهة ورغبة في القضاء على مؤسسات الدولة من جهة أخرى.

أثبت التونسيون عبر الانتخابات التشريعية، ثمّ الانتخابات الرئاسية أنّهم يمتلكون وعيا سياسيا وحسّا وطنيا مرهفا. لذلك صوّتوا إلى جانب "نداء تونس" وأتوا بالباجي قائد السبسي، على الرغم من تقدّمه في السنّ، رئيسا للجمهورية.

قبل ذلك، تخلّصوا من الحكومات المتلاحقة لـ"النهضة" التي أرادت تغيير تركيبة مؤسسات الدولة عن طريق حشر أكبر عدد من أنصار الحركة فيها. لم تمتلك "النهضة" أيّ شعور بالمسؤولية الوطنية عندما كانت قادرة على التحكم بمفاصل الدولة والوزارات الأساسية. لم يكن من همّ لدى زعماء الحركة سوى اختراق المؤسسات، خصوصا تلك التي لديها طابع أمني.

كان الهجوم على متحف باردو حدثا مؤلما، بل كارثة. لا شكّ أنّه أعاد الاقتصاد التونسي سنوات إلى خلف، خصوصا بعد الجهود الكبيرة التي بُذلت في الأشهر القليلة الماضية من أجل إعادة الحياة إلى السياحة. هذا الحدث المؤلم ليس معزولا عن جرائم حصلت في الماضي، لكنها لم تجد من يحقق فيها. من بين هذه الجرائم اغتيال شخصيتين وطنيتين هما شكري بلعيد ومحمّد البراهمي على يد متطرّفين ليسوا بعيدين عن الأحزاب التي ترفع شعارات إسلامية.

هناك حال انفلات في تونس أدّت إلى تفادي القيام بحملة منظمة ومستمرّة في الوقت ذاته لمعالجة المشكلة الناجمة عن الوجود الإرهابي في جبل الشعانبي. كلّف هذا الوجود قوات الأمن والجيش الكثير حتّى الآن، وبقيت الدولة التونسية في حال ردّ الفعل، بدل الإقدام على مبادرة لاجتثاث الإرهاب من جذوره.

في النهاية، مقاومة الإرهاب لا تعني العودة إلى القمع الذي مورس، وإن بطريقة ناعمة، في عهد بن علي الذي استطاع ضبط الأمن إلى حدّ كبير. هذا إذا استثنينا العمل الإرهابي الموصوف الذي استهدف زوار كنيس جربة في السنة 2002 بعد أشهر قليلة من "غزوة نيويورك وواشنطن" التي نفّذتها "القاعدة".

> الإرهاب يستهدف كل عائلة تونسية كما يستهدف كل مؤسسة من مؤسسات الدولة، فضلا عن أنه يستهدف المجتمع التونسي المنفتح

بعد إعلان "داعش" المسؤولية عن الهجوم على متحف باردو، يفترض في السلطات التونسية الذهاب بعيدا في التفكير في حماية البلد الذي يعاني أوّل ما يعاني من وجود أطراف ممثلة في مجلس النوّاب والحكومة توفّر حاضنة للإرهاب. تكفي نظرة إلى الشكل الخارجي لبعض النواب للتأكد من ذلك. ماذا يعلّم هؤلاء أولادهم، على ماذا يربّون هؤلاء الأولاد؟ مثل هؤلاء النواب وبعض الوزراء، الذين بينهم نساء، لا علاقة لهم بتونس الجديدة، تونس ما بعد "ثورة الياسمين".

تكفي نظرة إلى الشكل الخارجي لهؤلاء للتأكد من أن ليس مستبعدا أنّهم يروّجون، رجالا ونساء، لثقافة العنف ورفض الآخر بعيدا كل البعد عن الإسلام السمح الذي يعني أوّل ما يعني الانفتاح على العالم وكل ما هو حضاري فيه.

المؤسف أنّ هناك تقوقعا في أوساط معيّنة في المجتمع التونسي، بما يوفّر حاضنة للإرهاب والإرهابيين. مثل هذا التقوقع يدعو إلى سماع أصوات جريئة تعترف بحصول تغيير في تونس. هذا التغيير ليس بالضرورة نحو الأفضل. إنّه تغيير يعكس فشل بن علي في امتلاك جرأة الحبيب بورقيبة في قول ما يجب قوله للتونسيين عن ضرورة اعتماد معايير التقدّم التي هي في أساسها تطوير النظام التعليمي وتحسين ذوق المواطن بدل اعتماد الأساليب الرخيصة في استرضائه، بما في ذلك الإذاعات الدينية والتظاهر بالتقوى.

يبقى ما هو أهمّ من ذلك كلّه. يبقى أنّ هناك حاجة إلى بناء مؤسسات أمنية شفافة تحمي الدولة والمجتمع والمواطن، بدل أن تحمي النظام. لا بدّ من التخلص من عقدة الأجهزة الأمنية في عهد بن علي. كانت لهذا العهد حسنات كثيرة، لا مفرّ من الاعتراف بها، لكنّ المشكلة الدائمة كانت في أن كل شيء في أيام بن علي كان يدور حول الرجل وزوجته الثانية والعائلة، خصوصا إخوة السيدة الأولى.

بعض النواب، الذين بينهم نساء، لا علاقة لهم بتونس الجديدة

تونس الآن، بلد ديمقراطي يمتلك دستورا عصريا. بلد من هذا النوع، قاوم المجتمع فيه التخلف بكل أنواعه، لا يمكن إلا أن ينتصر على الإرهاب. وهذا يتطلب قبل كل شيء التخلص من سيئات عهد بن علي والاعتراف بأنّ في الإمكان إقامة أجهزة أمنية فعالة، بدل أن تكون أجهزة قمعية. ثمّة فارق بين الأجهزة الفعّالة والأجهزة القمعية. ثمّة فارق بين أجهزة تحمي المواطن والبلد وأجهزة تحمي النظام.

مستقبل تونس يعتمد بكل بساطة على القدرة على القيام بهذه النقلة النوعية التي قد لا تعني الكثير ظاهرا، لكنّها تعني الكثير في العمق. فما على المحكّ مستقبل تونس التي أظهر شعبها، أقلّه إلى الآن، أنّه شعب مقاوم بالفعل لكل أنواع التخلّف!

* إعلامي لبناني

لنحتفل بالاعتراف بجهلنا حتى نبدع ونبتكر

د. ناديا بوهناد

❑ أعلن الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2015 عاما للابتكار، كما أطلق الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، في أكتوبر الماضي الاستراتيجية الوطنية للابتكار والتي تهدف لجعل الإمارات ضمن الدول الأكثر ابتكارا على مستوى الدول خلال السنوات السبع القادمة.

تلك هي رؤى وعمل القيادات التي تستثمر في دولها وتعمل المستحيل للرقي بمواطنيها والمقيمين فيها وتسعد الجميع بمن فيهم زوار الدولة. ولكن هل تعي بعض القيادات في بعض المؤسسات الحكومية والخاصة معنى الابتكار والإبداع في العمل، ومعنى أن تكون هناك بيئة عمل إبداعية كما يريدها قادة الدولة؟ وماذا عن القيادات التي لم تعرف من قبل الإبداع والابتكار في العمل ظنا منها أن ما تقدمه هو الأفضل ولا شيء يعلو على خدمات المؤسسة لديهم؟

هناك الكثير من القادة ممن همّهم الأول والأخير هو الحفاظ على الوضع الراهن لأنّه يضمن الحفاظ على مناصبهم في المؤسسات التي يديرونها. الحفاظ والإصرار على الوضع الراهن نابع من عدم قدرة مثل هذه القيادات على تقبل الجديد وتقبل التغيير بل وأحيانا كثيرة الخوف من التغيير لأنه يحمل اللامعروف أو المجهول بالنسبة إليهم. فلديهم يقوم العمل على مبدأ أنه كلما تغيرت الأشياء كلما بقيت كما هي دون تغيير، وهذا المبدأ نابع مما يحملونه من جهل إما في جيناتهم أو في طريقة التفكير التي أنشئوا عليها.

مشكلة الجاهل هي أنه يعيش في الماضي لأنه يعرف تفاصيل ما مرّ به أما المستقبل فهو إما غير معروف أو مرعب بالنسبة إليه لما يحمله من المجهول الذي ربما يكون هو غير مستعد له. أحيانا كثيرة يتصرف بعض من يديرون المؤسسات على أن هناك تغييرا مستمرا ويحثون الموظفين وأحيانا المتعاملين على تقديم المقترحات والملاحظات حول أداء المؤسسة لكن نادرا ما يكون هناك تغيير. وكما ذكر شالز جايكوبس، في كتاب "Management Rewired" أشارت الدراسات إلى أنه عندما يُقدّم الموظف الملاحظات الايجابية للمؤسسة التي يعمل بها عادة لا تكون هناك نتيجة ملموسة ولا تغيير ولا تطوير في العمل، والملاحظات السلبية هي الأخرى لا جدوى منها، لأنه كما أشار جايكوبس أن التركيز هنا يكون على الماضي وحتى المقترحات والأفكار الجديدة تُبنى على ممارسات أو سيناريوهات حدثت في الماضي.

الجهل هو حالة من عدم العلم أو المعرفة بالشيء من جوانبه المختلفة أو هو أن يعرف الشخص القليل أو لا شيء عن الفكرة أو الموضوع وأن يُصرّ على الاحتفاظ بما لديه من معلومات تناقض الواقع. وكثيرا ما نرى أو نسمع عن أشخاص قاموا بقمع الإبداع لدى آخرين فقط لجهلهم في الأمر ورفضهم التغيير. فعلى سبيل المثال لا الحصر الأطفال الذين يولدون من دون إعاقات أو مشكلات ذهنية هم في الحقيقة مبدعون ويصبحون أكثر ابتكارا في حياتهم الخاصة والمهنية عندما يكبرون إلا أن الجهل في التربية أو تربية الآباء الجاهلين تؤدي إلى قمع الإبداع لديهم وفي سنّ مبكرة.

سيكولوجية الإبداع والتفكير الإبداعي الابتكاري يولد بها البعض والبعض الآخر ممن لديه استعداد على استثمار الظروف التي من حوله فيمكن أن تساعده على المرونة في النظر إلى الأمور، كما أن الظروف المحيطة في بعض الأحيان قد تقتل الابداع حتى لمن يولد بمواهب إبداعية. الإبداع هو أن يُغرّد الشخص خارج السّرب وهو أن يأتي بغير المألوف وأن يكون في حالة من الإبداع المستمر وأن تكون أفكاره ذات أصالة ومرونة وتكون لدى الشخص القدرة على تحليل الأمور من أبعاد مختلفة والأهمّ من كل ذلك أن يعترف الشخص بجهله في أمر ما ويبدأ بالبحث والعمل على تطوير الفكرة بشكل يتناسب مع التكوين الابداعي للفكرة. عندما يعترف الشخص مهما كان منصبه وبصراحة عن جهله هنا يستطيع أن يحتفل بدخوله في عالم التفكير الإبداعي والابتكاري.

صحيح أن الجهل في بعض الأمور نعمة مثل أن يجهل الإنسان متى يتوفاه الله وإلا كان سيعيش مثل الوحوش ويتخبط مثل الذي به مس. ومثل ذلك الشخص الذي يجهل أن الناس تعلم أنه جاهل وتُطلق عليه صفة "الجاهل" لأن علمه برأي الآخرين ربما يحطمه، لكن يصبح الجهل نقمة عندما يعلم الشخص أن العالم يتغير وهو مصرّ على الارتباط بجهله هنا يتحول الأمر إلى نقمة ربما تدمره وتدمر من حوله، فالجاهل هو شخص خطير على نفسه وعلى من حوله.

يُقال إن الخيال الملهم يؤدي إلى الإبداع أما الجاهل فلا مكان للخيال في حياته لما لقوة العقل من الإبداع في الخيال، والخيال هو إما أن نتخيل شيئا أو حالة غير موجودة على أرض الواقع وإما أن نرى الصورة الواقعية بشكل أجمل وجديد لم يُسبق لها أن كانت عليها. علينا أن نحتفل بالاعتراف بجهلنا حتى نُبدع ونبتكر. ها هم في العالم مشغولون بداعش والإخوان وقادتنا في دولة الإمارات مشغولون بالإبداع والابتكار ومستمرون في النهضة والتطور وهذا في حد ذاته إبداع وابتكار بطريقة أو بأخرى.

> الكثير من القادة همهم الأول والأخير هو الحفاظ على الوضع الراهن لأنه يضمن الحفاظ على مناصبهم في المؤسسات التي يديرونها

الإبداع والابتكار طريق للنهضة والتطور ومحاربة الظلامية

* استشارية نفسية وكاتبة من الإمارات

السعودية وعرب 48

أحمد عدنان

❏ المفاجأة الجميلة التي قدمتها الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة تتمثل في توحد العرب عبر قائمة مشتركة أضحت القوة الثالثة في الكنيست.

رئيس القائمة، أيمن عودة، الأمين العام للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، سياسي ومحام فلسطيني، ناضل ضد تجنيد العرب في الجيش الإسرائيلي، وقاوم هدم القرى العربية في النقب، ومن أجل نشاطه السياسي اعتقلته السلطات الإسرائيلية مرارا منذ كان طالبا.

ينتمي عودة إلى عرب 48، ويسمون أيضا (عرب الداخل، فلسطينيو الداخل، عرب إسرائيل)، ومنهم محمود درويش وسميح قاسم وأحمد الطيبي، وهم الفلسطينيون الذين ظلوا داخل نطاق الخط الأخضر أو حدود إسرائيل (خط الهدنة عام 1948). يحملون الجنسية الإسرائيلية بحكم الأمر الواقع وبحكم قانون المواطنة الإسرائيلي الصادر عام 1952، وبسبب هذه الجنسية هم معزولون عن العالم العربي، ولكونهم فلسطينيين عربا فهم يتعرضون للتمييز داخل إسرائيل. لم يحصل عرب القدس والجولان على الجنسية الإسرائيلية بل الإقامة الدائمة.

أغلب عرب 48 ينتمون إلى الإسلام، فمنهم السنّة والدروز والقاديانية، وعُشرُهم الباقي ينتمي إلى المسيحية. تقديرات نسبة عرب الداخل في التعداد الإسرائيلي تقترب من العُشر من حيث الجنسية وتقترب من الخُمُس إذا جمعنا معهم أصحاب الإقامة الدائمة.

فوق العزل والنبذ، يحضر تحدي الهوية كخطر يهدد عرب 48، وفاقم المأساة أن السلطات الإسرائيلية أجبرت الدروز على التجنيد العسكري، وهي الآن تستهدف المسيحيين أيضا. وقد ساعد العالم العربي إسرائيل في جهودها باتهام فلسطينيي الداخل والبدو بالعمالة والخيانة ومعاملتهم كمعاملة الإسرائيليين تماما أو تقريبا.

تحدث الكاتب الفلسطيني أحمد حمروش عن عرب 48 قبل نحو 14 عاما في صحيفة الشرق الأوسط "هؤلاء الفلسطينيون أصبحوا أقلية في وطنهم الأصلي، لكنهم قرروا البقاء في أرضهم، أرض الآباء والأجداد. وقرروا أيضا الوقوف مع أبناء شعبهم خارج حدود إسرائيل في نضالهم المشروع من أجل إقامة دولة فلسطين، لذلك هم يتعرضون لضغوط إنسانية واجتماعية لا يتعرض لها بقية سكان إسرائيل".

> العالم العربي يساعد إسرائيل في جهودها باتهام فلسطينيي الداخل والبدو بالعمالة وبالخيانة ومعاملتهم كمعاملة الإسرائيليين تماما أو تقريبا

ويضيف "عرب 48 أصبح لهم كيان متكامل، يمارسون حياتهم في ظل ظروف بالغة التعقيد. وهم يستغلون كل فرصة ديمقراطية متاحة لتأكيد كيانهم العربي داخل إسرائيل. وهو أمر لا يسعد المتطرفين الإسرائيليين الذين ينادون بإخراج الفلسطينيين جميعا من فلسطين لتكون دولة يهودية".

ويشرح بعض الأوضاع "كثير من المواطنين العرب في إسرائيل يعيشون في قرى غير معترف بها في ظل أوضاع تماثل تلك التي نجدها في مخيمات اللاجئين البائسة في لبنان وغزة والضفة الغربية. ومثل هذه القرى غير المعترف بها يحظر القانون الإسرائيلي أن تندرج ضمن مشاريع شبكات توزيع المياه والكهرباء باعتبارها غير شرعية. وهو ما ينطبق مثلا على حوالي ستين ألف بدوي يعيشون في النقب ولا توجد لديهم إمكانية الانتفاع بالمدارس والمستشفيات ممّا رفع معدل وفيات الأطفال كما جاء في إحصائيات الصليب الأحمر الدولي إلى 12.1 في الألف مقابل 4.9 في الألف لبقية أطفال إسرائيل، مما دفع رئيسة لجنة الطفولة بالكنيست الإسرائيلي إلى القول إنه لا يوجد في إسرائيل وضع أسوأ من وضع عرب النقب بالنسبة إلى الأطفال. الظروف الصعبة القاسية التي يعيش فيها بعض عرب إسرائيل والتي تحرمهم من التعليم والخدمات الاجتماعية هي قضية تدفعهم إلى التظاهر في يوم الأرض في الـ30 من مارس من كل عام ضد نزع ملكيات الأراضي من جانب الحكومة الإسرائيلية، وهو ما أدى إلى قتل الشرطة الإسرائيلية لستة من العرب عام 1976 في بلدة شحنين". ويوثق حمروش اغتيال الشرطة الإسرائيلية لثلاثة عشر فلسطينيا من عرب 48 تجمعوا وتظاهروا لدعم انتفاضة الأقصى التي قام بها شعبهم منذ 28 سبتمبر 2000.

وقبل عامين كتب د. ثابت أبو راس "موجة سن القوانين العنصرية لم تقتصر على المواطنين العرب فحسب بل وصلت حتى إلى الشرائح والمؤسسات اليهودية التي من الممكن أن تدافع عن المواطنين العرب أيضا. إن تقنين العنصرية في إسرائيل يعطي الضوء الأخضر والشرعية لشرائح متطرفة للعمل الإجرامي ضد المواطنين العرب. نذكر هذا العام بأنه عام محاولة ضعضعة مكانة اللغة العربية في البلاد وإسكات الآذان في المساجد على يد المشرع الإسرائيلي وحرق المساجد على يد طلائع الفاشيين في المجتمع الإسرائيلي"، ويضيف "لا شك أن خطاب الحكومة الإسرائيلية الحالية المتشدد يؤكد على إثنية الدولة ويهوديتها ويضعف ديمقراطيتها الإثنية بهدف تضييق الخناق على المواطنين العرب في إسرائيل، وتنفيذ ترانسفير لمواطنة المواطنين العرب وترحيلهم من وطنهم. إن تقليص الحيز الديمقراطي الإسرائيلي سيؤدي حتما إلى تقليص حدود النضال السياسي والاجتماعي للأقلية الفلسطينية في إسرائيل".

> أجدد الدعوة بأن تسمح السلطات السعودية ودول الخليج لمواطنيها، بل والعالم العربي كله، بزيارة الأراضي الفلسطينية المحتلة، سواء كانت في حدود السلطة الفلسطينية أو في حدود إسرائيل

ويشرح بعض سياسات نتنياهو "إحداث تغييرات في سياسة الأراضي والمؤسسة التي تديرها في إسرائيل. ولا تتورع الحكومة الإسرائيلية عن سن القوانين لتهويد المكان والحيز الفلسطيني من خلال إحكام قبضتها على غالبية المساحة الجغرافية للدولة. استراتيجية نتنياهو الداخلية هي خليط من خطاب ديمغرافي مشوّه وعقلية عسكرية خطيرة. وترى أن خروجها من الأزمة يحتّم عليها الهروب إلى الأمام، والعمل على زيادة التهويد على حساب المواطنين العرب. وتعتبر الهجمة الجديدة والخطيرة على أراضي عرب النقب وإرغامهم على السكن في البلدات القائمة جزءا من مخطط لتطبيق هذه الإستراتيجية".

العاهل السعودي الجديد، وعد في خطابه بالاهتمام الأقصى بالقضية الفلسطينية، وجهود المملكة في الدعم المالي والسياسي للقضية الإنسانية المركزية لا تخفى على متابع، ولعل المملكة -بحكم ثقلها السياسي والاقتصادي والديني عربيا ودوليا- تطرح مبادرة -في إطار مجلس التعاون الخليجي والجامعة العربية- تربط من خلالها عرب 48 بمحيطهم العربي. هي خطوة مهمة ومناسبة كردّ على تصريحات بنيامين نتنياهو خلال حملته الانتخابية التي هدد فيها داعمي قيام الدولة الفلسطينية من عرب 48 بالطرد إلى غزة أو إلى الضفة الغربية.

لعلنا نستفيد من توقيع مصر والأردن لمعاهدة سلام مع إسرائيل، بتكليف عربي وخليجي لهاتين الدولتين بدعوة أيمن عودة وأعضاء القائمة المشتركة لتعزيز التعارف والتنسيق والاتصال. ومن الواجب كذلك، الاستفادة من زعامة آل جنبلاط لأغلبية الدروز العرب، عبر الاعتماد على الزعيم اللبناني وليد جنبلاط في التواصل مع الفعاليات الدرزية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهو من أقام فعاليات عدة ضد تجنيد الدروز في الجيش الإسرائيلي بمشاركة عرب 48، خصوصا وأن الدروز بالذات تشجعهم إسرائيل على الانشقاق عن الهوية الإسلامية والفلسطينية.

الاهتمام بالمسيحيين في عرب الداخل واجب، لأنهم فلسطينيون أقحاح، ولضرب تحالف الأقليات الذي تروّج له إسرائيل ضد العرب والمسلمين، ولمسح صورة الإقصاء والأحادية والحدية التي يحاول إلصاقها بنا المتطرفون والمتآمرون.

وفي هذا السياق أجدد الدعوة، بأن تسمح السلطات السعودية ودول الخليج لمواطنيها، بل والعالم العربي كله، بزيارة الأراضي الفلسطينية المحتلة، سواء كانت في حدود السلطة الفلسطينية أو في حدود إسرائيل، لزيارة المقدسات الدينية، وتحقيق التواصل الإنساني والثقافي والاجتماعي مع فلسطين وأهلها. وهنا أشيد بزيارة مفتي مصر السابق علي جمعة والداعية الحبيب علي الجفري وأمين منظمة التعاون الإسلامي إياد مدني للقدس ودعوتهم التي وجهوها للعرب وللمسلمين بقصد فلسطين، وأثمّن جهود الأردن الدائمة والجدية في هذا السياق.

إن إقامة جسور التواصل مع عرب 48 حق لنا ولهم، ومكسب ثمين للعالم العربي وللقضية الفلسطينية آن أن نسعى لتحقيقه. هم أهلنا، فلا تتركوهم أو تسلموهم لعدونا ولعدوهم.

* صحفي سعودي

عرب 48 ويستغلون كل فرصة ديمقراطية متاحة لتأكيد كيانهم العربي داخل اسرائيل

من أفسد نيروز الأكراد

باسل العودات

❏ عشية احتفالات أكراد سوريا بعيد (النيروز) وتجمّعهم في إحدى ساحات مدينة الحسكة (الهادئة بالمقاييس السورية)، دوّى انفجار إرهابي مزدوج مزّق أجساد العشرات من الأبرياء وجرح أكثر من مئة شخص، ولاقى العمل استنكارا من السوريين على اختلاف توجهاتهم.

بالنسبة إلى البعض، الحادثة عابرة ولا تستحق الوقوف عندها كثيرا، سوى الترحّم على الضحايا والأسف عليهم وشجب القتل، على اعتبار أن مثل هذا العمل الدموي ليس إلا جزءا بسيطا ممّا يجري في سوريا، من قصف وتدمير وقتل يومي للمئات بالصواريخ والمدافع وحتى بالكيميائي، ولهذا فإن مفخختين إضافيتين ستزيدان من عدد الضحايا الأبرياء ولن تزيدا من سوء الوضع الأمني السوري.

لكن، ولاعتبارات عديدة، من أهمها أن المستهدف هذه المرة هم الأكراد، وبمنطقة آمنة، لا بد من التوقف عند هذه الحادثة بجدّية، فهي تحمل رسائل غير مباشرة ونصائح يجب إدراكها، قبل أن تصبح هذه العملية حدثا يوميا يتكرر ضد الأكراد.

قبل أن نبحث عن الفاعل، لا بد من الإشارة إلى محطات مرّ بها الأكراد (الضحية هذه المرة) خلال السنة الأخيرة، ستقودنا غالبا للفاعل أو لـ(ابن عمه)، محطات قلبت تاريخ أكراد سوريا وعلاقتهم بمحيطهم، وغيّرت مواقف وأحلام الكثيرين منهم.

قبل نحو عام ونصف، أصيبت علاقة الأكراد مع غالبية أطراف المعارضة السورية ـ السياسية والمسلّحة بانتكاسة، سببها القوة الكردية السياسية الأساسية متمثلة في حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري، الذي فرض بشكل سريع تواجده في شمال سوريا. واستلم بـ(سلاسة) مواقع كان النظام السوري يسيطر عليها، دون أن تراق قطرة دم. وأسس بشكل عاجل قوة عسكرية كردية (وحدات حماية الشعب) وأخرى لحفظ الأمن (الأسايش)، وهيمن على شمال شرق سوريا. واستمرت علاقة ملتبسة وغامضة تربطه مع النظام السوري. واعتبره الكثير من المعارضين حليفا للنظام. كما اتّهمته معظم الأحزاب الكردية السورية الأخرى (11 حزبا كرديا عضوا في الائتلاف) بأنه أقصى كل الأكراد واستفرد بالقرار الكردي السوري ووجهه بشكل لا يتعارض كثيرا مع مصالح النظام.

سرعان ما أقام الحزب إدارة ذاتية للمناطق الكردية شمال سوريا، لها حكومتها وبرلمانها، ورفض إشراك المعارضة السورية فيها إلا بشروطه (القراقوشية)، كما رفض ربطها باتفاق سوري شامل حول شكل الحكم المستقبلي لسوريا والوضع النهائي للأقليات، ورفض التنسيق مع الجيش السوري الحر.

أكّد كثير من المعارضين السوريين أن الحزب استمر بالتعاون مع قوات النظام ومع حزب الله اللبناني، وسهّل لهم مهمات عديدة. ولم يُنكر الحزب هذه الاتهامات إلا بشكل خجول وغير مباشر. كما اتهمه أهالي المنطقة بأنه بدأ بتغيير الديموغرافية السكانية، وأيضا تجاهل هذه الاتهامات على خطورتها وكأنها شيء عابر لا يستحق الوقوف عنده.

هذا الاستفراد بالقرار والحكم، والسيطرة العسكرية على المنطقة، قاطعه تدخل تنظيم الدولة الإسلامية، الذي كان لفترة هادئا تجاه الأكراد ثم انقلب فجأة ضدهم. ووضع في استراتيجيته احتلال أهم المدن التي يكثر فيها الأكراد، فاحتل عين العرب (كوباني) كـ(عربون)، فأوقع هذا الحزب بأزمة عميقة مصيرية، كما وضعه أمام خيار وحيد بعد أن فشل النظام السوري في ضمان أمنه، فاضطر للتنازل وقَبل التعاون مع الولايات المتحدة دون موافقةُ النظام.

اشترطت الولايات المتحدة أن يقبل زعيم الحزب قطع علاقته بالنظام السوري نهائيا كشرط أوّلي ليتلقى دعما أميركيا وموافقة على دخول بعض قوات البيشمركة الكردية العراقية لمساعدته في استرجاع المدينة، فتعهّد الرجل، وأوقف تصريحاته المعادية لأميركا. وأوقف تعاونه العسكري والاستخباراتي مع النظام. وتم بعد ذلك مدّه بالدعم الأميركي الهام لاسترجاع المدينة. وعادت كوباني للأكراد مدمّرة، لكنّه أصبح شريكا للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا. وحقق مكاسب على الأرض لها قيمة في الأسابيع الماضية.

تمدّد الأكراد في منطقتهم من جديد، ولكن هذه المرة ليس بدعم أو غض نظر من قوات النظام، وإنما بدعم أميركي، وهذا أغاظ النظام، الذي ينظر الآن للحزب الكردي على أنه الابن الضال، الطرف الذي يُنكر الجميل من وجهة نظر النظام. والدليل على حجم غيظه أن رأس النظام أشار في آخر مقابلة تلفزيونية إلى السلاح الذي كان النظام يعطيه لهذا الحزب والدّعم الكبير الذي قدّمه له خلال السنتين الأخيرتين.

خلاصة سريعة تعرض نحو سنتين من تجربة كردية غير واضحة الملامح بالنسبة إلى السوريين، لكنها تكشف خيطا قد يؤدي للفاعل، كما يفعل كل المحققين في الجرائم حين يلتقطون طرف خيط ويستنتجون، وعلى الرغم من تعدد الأطراف التي تتربص بالأكراد، إلا أننا هنا لا نجد صعوبة في توجيه أصابع الاتهام لطرفين، هما الأكثر تضررا وغيظا، الأكثر رغبة بالانتقام، ولا رادع عندهما لقتل أبرياء لتصفية الحسابات.

تنظيم الدولة الإسلامية والنظام السوري، طرفان متهمان ومدانان، وعلى عكس ما تفرضه مبادئ القانون، هما متّهمان حتى تثبت براءتهما، فكلاهما صاحب سجل غير مشرّف من العمليات السوداء.

لا شك بأن تنظيم الدولة الإسلامية يريد أن ينتقم من الأكراد نتيجة الضربات الموجعة التي تلقاها من التحالف الدولي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن جزءا من هذا التنظيم ـ وفق المعارضة هو ذراع من أذرع الاستخبارات الإيرانية والسورية.

أما النظام السوري، فهذه فرصته للانتقام، وتوجيه رسالة غاية في الجدّية للأكراد، بأن خروجهم من بيت طاعته بالضرورة سيتبعه عقاب، والابتعاد عن النظام يليه درس تأديبي، سيفهمه قادة الحزب وحدهم، والأكراد الأصليون، الذين شهدوا ما قام به الحزب ولم يقبلوا لكنهم صمتوا خوفا من النظام ومنه.

ثم هناك أمران ثانويان، يزيدان من الشكوك بالطرف الأخير، الأول أنه بينما كان النظام السوري يمنع الأكراد طوال خمسة عقود من الاحتفال بالنيروز، هذه المرة،

> تمدد الأكراد في منطقتهم بدعم أميركي يغيظ النظام السوري الذي ينظر الآن للحزب الكردي على أنه الابن الضال

وبنفس الساعة التي تم فيها التفجيران، كان التلفزيون الرسمي يحتفي بعيد الأكراد، وتلبس مذيعاته زيا كرديا تقليديا (كاد المريب أن يقول خذوني). والثاني أن أول من نشر تبنّي تنظيم الدولة الإسلامية للعملية هو وسائل الإعلام المقربة من النظام، قبل أن تصل المعلومة لأيّ وسيلة إعلام أخرى، محلية أو دولية.

بكل الأحوال، هي مجرد احتمالات، أو اتهامات، وسيبقى الطرفان متهمان حتى تثبت البراءة، بعكس الدارج، لكن على الأكراد، وخاصة الحزب صاحب الإدارة الذاتية الإشكالية، أن يأخذ هذه الاتهامات محمل الجد، وأن يعي أنه آن الأوان لوقفة جدّية صارمة تجاه النظام وتهديداته، وتجاه قوى المعارضة (الوطنية) السورية الأخرى، وأن يضع نصب عينيه أن مصير الأكراد سيكون نفس مصير كل السوريين، إن نجوا نجا، وإن سقطوا سقط، فليس صعبا أن يصبح نيروز الأكراد نيروزا لكل السوريين.

* إعلامي سوري

عقل إداري استراتيجي على رأس الصناعات العسكرية السعودية

محمد الماضي أحد صناع «سابك» أقوى ذراع اقتصادية في عالم الجنوب

مصطفى السيد

❏ أينما تحرك الإنسان اليوم سيواجه بشكل أو بآخر "البلاستيك"، المادة التي سيلامسها في قبضات الأبواب وإطارات النوافذ وأكياس التسوق ومواد التعبئة والتغليف، إضافة إلى عدد واسع من المواد الصناعية التي تتسع يوما بعد يوم استخداماتها الرئيسية في البناء والتشييد، والتعبئة، والمعدات الكهربائية، والزراعة والرياضة من المعدات إلى الأدوات، و"البلاستيك" اليوم هو أحد المنتجات الهامة في الاقتصاد الحديث، بسبب مرونته العالية خلال عمليات التصنيع والقولبة والبثق والتشكيل والحقن والنفخ والضغط والصب، وتساعد القدرة على صنع أشكال مختلفة منه، في جعله أحد أكثر المواد الصناعية مرونة وسهولة في التشكيل بين أيدي المهندسين والصناعيين في معظم الاختصاصات الإنشائية يضاف إلى ذلك أنه عازل كهربائي ومقاوم للأكسدة والتآكل ورخيص السعر مقارنة بمعظم المواد الأولية الأخرى كما أنه يمكن تدويره وإعادة تصنيعه ثانية.

تقول أرقام الاستهلاك إن في العالم اليوم أكثر من 7 مليارات و300 مليون إنسان يستهلكون سنويا 500 بليون كيس بلاستيكي، مما يعني استخدام مليوني كيس كل دقيقة ويقدر استهلاك الأسرة الأميركية من أربعة أفراد بنحو 1460 كيسا من البلاستيك خلال سنة.

سابك حاضنة الإنجاز

تقع شركة "سابك المساهمة" في مقدمة الشركات المنتجة للبلاستيك في العالم وتصنف من بين كبريات الشركات العالمية العاملة في مجال البتروكيماويات، وهي شركة مساهمة عامة يقع مركزها الرئيسي في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، وتمتلك الحكومة السعودية في الوقت الحاضر 70 بالمئة من أسهم "سابك". ويمتلك مواطنو المملكة ودول مجلس التعاون الخليجي الأخرى النسبة الباقية والبالغة 30 بالمئة.

تأسست سابك في العام 1976، وكان نموها أشبه بالمعجزة، واليوم، تدير الشركة عملياتها في أكثر من 40 بلدا ويعمل لديها أكثر من 40.000 موظف حول العالم من الموظفين الموهوبين، والمهندس محمد بن حمد الماضي الرئيس التنفيذي السابق للشركة السعودية للصناعات الأساسية سابك، والذي ودّعها ليتسلم رئاسة مؤسسة الصناعات العسكرية السعودية في منتصف فبراير الماضي، ساهم بجهوده منذ نشأة سابك لإبقاء الشركة في مقدمة الشركات في اختصاصها بالعالم.

ويمكن أن يلحظ المتابع لأعمال سابك أنها أصبحت موطنا للابتكار بعد أن امتلكت أكثر من تسعة آلاف براءة اختراع ضمن المبادرة التنموية لسابك، التي تجمع بين التسويق والابتكار والتقنية بهدف إيجاد الطلب وتنمية الأعمال، على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.

ويتألف الهيكل الإداري لسابك من ست وحدات عمل استراتيجية وهي: الكيماويات، والبوليمرات، والكيماويات المتخصصة، والأسمدة، والمعادن، والبلاستيكيات المبتكرة وتقوم هذه الوحدات الست بتصنيع أربعة أنواع مختلفة من المنتجات هي الكيماويات والبلاستيكيات والأسمدة والمعادن.

طموح الشاب السعودي

نشأ محمد الماضي في مدينة نجران السعودية، التي كان والده أميرا عليها، وكان مولده في العام 1948، والدته امرأة بدوية من الربع الخالي، وكان هذا سبب ولعه بالصحراء والعيش فيها والعودة إليها مرارا في ما بعد، ذلك المكان الذي يقول إنه عاش فيه أياما جميلة، صحراء قاسية بشتاء بارد وصيف حارق، لقد علمته تلك الحياة القاسية الصبر والتواضع والشجاعة والوفاء وأشياء كثيرة كانت لها تأثيرات لافتة على مسيرته الإدارية لاحقا.

> عصر البلاستيك شهد ألقه الكوني مع محمد الماضي الذي برع في الإدارة، والذي يعد واحدا من أكثر القادة تأثيرا في مجال صناعة الكيماويات والبتروكيماويات، وقد صنفته مجلة غولف نيوز للعام 2014 ضمن أكثر 100 شخصية عربية تأثيرا في العالم

يقول الماضي "درست الصف الأول الابتدائي بالمدرسة السعودية في نجران، وكانت الدراسة صعبة جدا بالنسبة إليّ، لأنني كنت أتوق إلى حياة الصحراء، بينما كان والدي يحاول إبقائي في المدرسة بشتى الطرق، فدرست حوالي 6 أشهر، ثم انتقلت مع والدي إلى روضة سدير قبل أن أكمل الصف الأول".

ويضيف "كنت أذهب من مزرعتنا إلى مدرسة حوطة سدير التي لا يوجد بها سوى معلم واحد، وكنت أذهب على الدابّة إلى المدرسة التي تبعد حوالي 3 كيلومترات، فكنت يوما أرجع على الدابة ويوما ترجع دوني، فكانت دراستي صعبة".

تابع الماضي دراسته في الطائف إلى الصف الأول الثانوي، ثم انتقل إلى مدينة أبها، ودرس فيها إلى منتصف الثالث الثانوي، لكنه وجد أنه لو بقي في أبها وأكمل التوجيهي قد لا يحصل على درجات عالية؛ لضعف المنافسة بين الطلاب. ظهرت النتائج وحصل الماضي على الترتيب 54 على مستوى السعودية بمجموع 84 بالمئة.

كان محمد الماضي الشاب الطموح يرغب في دراسة الطب ولكن شروط دراسة الطب لا يملكها فذهب من الطائف إلى الرياض، وقابل وزير المعارف وشرح له ما حصل فقال "لدينا بعثة في الطب إلى باكستان، والآن سجّل اسمك"، وسمع شخصا يقول للوزير "إن هناك 60 بعثة من أرامكو إلى الولايات المتحدة الأميركية لدراسة الهندسة". وبعد أن خرج من مكتب الوزير قابل أحد أصدقائه في البعثات الذي قال له إذا أردت دخول الهندسة فأنت مقبول.

و يضيف الماضي عن تلك اللحظات "احترت في أمري بين طبّ باكستان وهندسة أميركا، فاخترت الثانية وكان ذلك القرار الإداري الثاني، وذهبت إلى أميركا، وبدأت التحدث باللغة الأنكليزية، وكانت الحياة صعبة بحكم بعد والدي ووالدتي عني وعدم إمكانية الاتصال بهما، فليس كما هو الحال الآن في عصر الإنترنت والاتصالات الفضائية، وكنا نكتب الرسائل التي تصل بعد شهرين، ولكن بعد فترة تأقلمت وتعرفت على بعض الأصحاب، وكان اختياري للأصحاب مهمّا جدا؛ حيث تمّ اختيارهم من الطبقة الوسطى؛ لأن اختيار الصديق يحدّد اتجاهك فيما بعد، وظللت في الدراسة الجامعية بإحدى الجامعات الأميركية، ثم انتقلت إلى جامعة أخرى، ودرست البكالوريوس في الهندسة الكيميائية، وحصلت فيها على تقدير جيّد جدا، ومهّد هذا التقدير إلى أن أستمرّ حوالي سنة ونصف السنة في الماجستير في جامعة أخرى".

> مؤسسة الصناعات العسكرية لم يتول رئاستها قبل محمد الماضي سوى ضباط عسكريين، بعد تأسيسها بأمر من الملك عبدالعزيز آل سعود في العام 1949

واضع الخطة الاستراتيجية

بحث عن فرصة للعمل في عدّة جهات، أولها شركة سابكو، وحصل على القبول من تلك الشركة براتب 3700 ريال، وكانت الوظائف في ذلك الوقت وفيرة، ثم انتقل من شركة سابكو إلى أرامكو، وعمل مهندسا براتب يقارب الراتب الأول ثم ذهب إلى شركة بترومين في الرياض؛ لأنها تعمل في حقل البتروكيماويات، وعرضت عليه راتبا أقل من السابق، بعدها انتقل إلى مركز الأبحاث والتنمية الصناعية حوالي سنة ونصف السنة.

وأخيرا أنشئت شركة سابك سنة 1976، في مبنى صغير بشارع الجامعة، عمل فيه ستة أشخاص حوالي سنة ونصف السنة لتحضير المبنى، وبدأ التوظيف بشركة سابك، وأصبح الموظفون يتكاثرون. ثم عاد الماضي إلى أميركا وعمل في شركة "شل" بمعامل الكيماويات لمدة سنتين، ثم رجع إلى الرياض وعمل من عام 1978 إلى عام 1981 مديرا لإدارة قطاع الكيماويات، وانتقل بعدها إلى الجبيل في شركة "صدف"، وعمل فيها ثماني سنوات ونصف السنة نائبا للرئيس، تعلم فيها الالتزام وحسن التعامل مع الموظفين وثقافة الصناعة، ثم عمل مديرا عاما للمشاريع بسابك بين عامي 1987 – 1998، وقد شهدت هذه الفترة نهضة كبيرة في نموّ سابك، وبدأت الشركة تكبر شيئا فشيئا.

في العام 1998 صدر قرار بتعيينه نائبا للرئيس وعضوا منتدبا لشركة سابك، وعندما تسلم موقعه في الشركة اجتمع مع زملائه ووضع خطة استراتيجية بعيدة المدى لسابك، كي تكون من بين إحدى الشركات الخمس الأولى عالميا، ولتحقيق ذلك يجب أن يكون لدى الشركة هيكل إداري متطوّر، وتحويل الشركة إلى وحدات استراتيجية، ثم تمّ خلق وحدة للأبحاث والخدمات المشتركة، وهي خدمات المشاريع، وكل هذه الأحلام لم تكن لتتحقق ما لم تكن هناك قوى بشرية مدرّبة ولديها من الخبرة والحنكة ما يؤهل سابك أن تصبح في مصاف الشركات العالمية، وتمّ تكوين منظومة للقيادات الإدارية بسابك، ومركز قيادي لتطوير القيادات، وإنشاء نظام مكافآت للموظفين قصد حفزهم على تحقيق الهدف، والتركيز على التدريب.

وخلال تنفيذ الخطة اتضحت صعوبة الوصول إلى مستوى الشركات الخمس الأولى عالميا بالنمو الذي تسير به الشركة، وهو ما يقارب 5 بالمئة، لذلك جاء التخطيط لشراء شركات عالمية تتماثل وتنسجم مع توجّه سابك وفي نفس المحيط، وتمنحها نقلة في التسويق والقوى العاملة والإنتاج والمبيعات والتخطيط الاستراتيجي.

وبعد دراسة عدة شركات عالمية جاء الاختيار على أهم شركة يومها، وهي شركة دي إس إل الهولندية، ومن حسن الحظ أن الفترة التي تمّ فيها شراء الشركة كان قطاع البتروكيماويات في كساد ونزول، وقد كانت هذه الشركة هي الأفضل؛ لأن نجاح سابك في أوروبا يعتمد على وجود موقع إنتاج فيها، كما أن وجود موقع الإنتاج يربط سابك بالداخل والخارج، بالإضافة إلى قوتها في السوق والتعامل مع الزبائن والتخطيط الاستراتيجي، وكذلك يكون داعما في حالة دخول منظمة التجارة العالمية، وتمّ دمج الشركة مع مكاتب سابك في أوروبا، والشركة رابحة، وقد استفادت منها بالكثير.

> الماضي يتمتع بمكانة دولية مرموقة علميا فقد حصل على جائزة بتروكيميكال هيرتيج من الاتحاد الوطني لمصافي تكرير البتروكيماويات، ولقب الرئيس التنفيذي للقطاع الصناعي في إطار جائزة «الرئيس التنفيذي للشرق الأوسط» السنوية

وتمّ إنشاء إدارة للتخطيط الاستراتيجي لسابك المنتشرة حول العالم وطبّق أفضل نظام عالمي في أحدث الشركات بالعالم وكان الحذر من الفشل يحث على مراجعة كل خطوة فـ60 بالمئة من الشركات التي بدأت بهذه المشاريع فشلت وقد قاد حذر الاستشاري إلى ضرورة تهيئة الإدارة والأرضية لمثل هذا المشروع، فكوّنت سابك فريقا سمّته إدارة التغيير، التي تعنى بالتعريف بالمشروع، والحصول على التزام من الموظفين جميعا وتدريبهم تدريبا تاما، ونشر المعرفة بالمشروع على جميع طبقات العاملين، وهذا كان من أهمّ أسباب نجاح النظام المعلوماتي.

واستطاعت سابك تعميم مشروعها المركزي في جميع شركاتها بالداخل والخارج، وارتبطت بحلقة معلوماتية استفادت منها كثيرا، وستستمر الاستفادة منها مستقبلا، واستطاعت أن تكون قريبة من عملائها، ومعرفة حركة البضائع ووصولها إلى الزبون، وحرصت على أن يعرف العميل نوعية المنتج في الباخرة والمخزون والإنتاج.

الصناعات العسكرية

لم يتولّ رئاسة مؤسسة الصناعات العسكرية قبل محمد الماضي سوى ضباط عسكريين، بعد تأسيسها بأمر من الملك عبدالعزيز آل سعود في العام 1949، وفي عام 1951، تمّ وضع حجر الأساس لإنشاء مصنع الأسلحة، الذي افتتحه الملك سعود بن عبدالعزيز في العام 1953. وفي شهر ديسمبر 1985، صدرت الموافقة السامية بتحويل المصانع الحربية إلى مؤسسة عامة للصناعات العسكرية تتمتع بكيان مستقل، وعبر خطط ومشاريع لإنشاء مدن صناعية عسكرية، بدأت المؤسسة بإنشاء مجمع صناعي في العام 2012 في محافظة الخرج، قد يكون نواة لقاعدة عسكرية متخصصة في السعودية تجذب استثمارات صناعية، وتفتح أسواقا جديدة للمنتجات الصناعية العسكرية السعودية.

ويمكن فهم تعيين رئيس الشركة السعودية للصناعات الأساسية سابك، رئيسا للمؤسسة العامة للصناعات العسكرية، على أنه مؤشر هام للمرحلة القادمة في الصناعات العسكرية السعودية، لأن الماضي يعدّ لاعباً رئيسيا على المسرح الدولي، وأحد أكثر القادة تأثيرا في مجال صناعة الكيماويات والبتروكيماويات، ففي مجلة غولف نيوز لعام 2014، كان هو ضمن أكثر 100 شخصية عربية تأثيرا في العالم.

وفي تصنيف مجلة أرابيان أويل آند غاز، احتل الماضي المرتبة الثانية ضمن أقوى 50 شخصية في قطاع الصناعة التحويلية للعام 2012. ووفقا لمجلة آي سي آي إس كيميكال بزنس، صنّف الماضي ضمن أربعين لاعبا في قطاع الكيماويات لأربع سنوات متتالية (2007 ـ 2010)؛ وقد حصل على جائزة بتروكيميكال هيرتيج من الاتحاد الوطني لمصافي تكرير البتروكيماويات، ولقب الرئيس التنفيذي للقطاع الصناعي في إطار جائزة "الرئيس التنفيذي للشرق الأوسط" السنوية.

ما الذي سيفعله الآن محمد الماضي في حقل الصناعات العسكرية، بعد مسيرة طويلة ومميزة في الإدارة؟ وهل وجود شخصية عربية على هذا المستوى في حقل التصنيع العسكري، أمر يمكن له بالإرادة الوطنية والقرار السيادي المستقل أن يمرّ دون التفات للمعوقات والصعوبات الإقليمية والدولية.

شاب من عامة الناس كان أول من سقط في مأساة السنوات الأربع

محمود الجوابرة شرارة الانتفاضة السورية الدامية

عبدالله مكسور

❑ الكتابةُ عن الشُهداء مُربكة، فكيفَ لنا أن ننعى واحدا مات على طريقِ أخطأنَا الموتُ فيهِ وأصابَهُ هوَ ليكونَ راحلًا قبلنا إلى العالم الآخر ولنبقَ نحنُ نتذكر وجودَهُ كما لو أنَّه لم يرحل أبدا، الكتابةُ عن الشهداء فعلُ استلابٍ أمام المجزرة التي بدأت برحيلهم ولم تنته ً أبدا وبشكل أكثرَ دقةٍ ووضوحٍ في الحالةَ السوريةِ الّتي لم يخلُ بيتٌ فيها إلا ومسَّهُ الضرُّ سواءً بشهيدٍ أو مُعتَقلٍ أو مفقود أو علىٰ درب الرحيلِ فِي قافلة بدَأت بِجنوب سوريا، هناك حيثُ كانت ألصيحةُ الأولىٰ علىٰ طريقِ الخلاص.

فَي درعا لم يكن يوم الجمعة الثامن عشر من آذار يوما عاديا فقد سبقَهُ بأيَّام اعتقال أطفال كتبوا علىٰ جدران مدرستهم عبارات تمسُّ هيبة النِظام الحاكم الذي يَخاف منَ الكلمة، فاعتقلَتهُم عناصرُ من جهاز الأمن الذي يرأسهُ الضابط عاطف نجيب قريبُ رأس الهرم في الدولة السورية وهنا كانت المواجهة الأولىٰ عقبَ صلاة الجمعة أمام المسجد العمري في درعا البلد، وأمامَهُ تجمَّع شبابٌ من حوران قرَّروا الاتجاه نحو الفرقة الحزبيَّة للمُطالبة بأبنائهم الصغار المُعتَقلين ظلما، فَكانت لهمَ عناصرَ الأمن ورئيسَهم بالمرصاد، وقفَ الجنودُ أمامَهم صفان أحدُهُما جاثيا علىٰ ركبتيهِ والآخرُ واقفاً خلفَ الأوَّل بنصف مترٍ أو أقَل وكلاهُما سدَّد فوهةَ بندقيَّتهُ الروسيَّةُ الصُنع إلىٰ صدور الواقفين علىٰ الضفَّة المقابلة، صاحَ شبابُ حوران مُطالبينَ بمُعتَقليهم فأطلقَ العساكرُ الرَّصاص وأردَوا أربعة عشرَ رجلاً، أصيبَ منهم اثنا عشر شابًا بينما قضىٰ محمود قطيش الجوابرة حسام عبدالمولىٰ عيّاش.

في 18 آذار 2011 كانت الشرارةُ التي أشعلَها الأطفالُ علىٰ الجدران وأوقدَتهَا رصاصتان إحداهما إخترقت رقبة محمود الجوابرة والأخرى مزّقت بطنِ عيّاش، حيثُ كان الجوابرة أوَّل شهيد يسقطُ برصاص الأمن السوري علنا أمام الجميع منذ مجَازر حماة 1982 وانتفاضةِ الأكراد في القامشلي عام 2004.

القصة الكاملة

وُلِدَ محمود الجوابرة في محافظة درعا وتحديدا في درعا البلد عام 1987 وعاش حياة هادئة حيثُ لم يُكمل تعليمَهُ المدرسيَّ بعد أن أنهىٰ بعض المراحل منها في مدارس درعا لينطلق إلىٰ الحياة محاولا إثباتَ نفسهِ في سوق العمل لتقتنصَهُ قبل ذلكَ رصاصات الأمن. بدأ اسم الجوابرة يتردَّدُ في كل الأحداث بعد مصرعِهِ مُباشرَة في ساحة الجامع العُمَري الخارجيَة بعد أن اشتعل الرصاص مُنطلقا بشكل مُباشر إلىٰ صدور الواقفين الذين رَكَض مُعظمُهُم باتجاهات مُختَلفَة، بينما القدَرُ كان بانتظار محمود لينقُلَهُ إلىٰ العالم الآخر، وسرعان ما شبَّ الخبرُ في الأصقاع ليتجمّعَ أكثر من مئة ألف سوري في مقبرة البلد والتي صارَت تُعرَف فيما بعد بمقبرة الشهداء لتشييع محمود الجوابرة ورفيقهُ عيَّاش الذي يصغرهِ بعام واحد فقط، وخلال التشييع، الذي تمَ اغتيال محمود فيه مرَّة ثانية، حضرِ الأمن السوري بسلاحه وعتاده الكامل حيثُ وقف المشيِّعون يُراقبونَ ما قدَ يحدث وبينما كان يُوارى الشهيدان الترابَ انهال الرصاصُ مرَّة جديدة علىٰ المُسَالمين الذين بدأوا بالهتاف طالبين من الجنود السوريين الذهاب لتحرير الجولان وليس الهجوم علىٰ أُناس عُزَّل، هنا في تلك اللحظة سقط ستَّةُ شُهداء جُدُد تمَ تشييعهم في اليوم التالي، حيثُ سقط شهداء آخرون وهكذا بدأت قافلةُ السوريين تتَّجِهُ نحو السماء فرادى وجماعات.

رحيل الجوابرة فتحَ باب الرحيل علىٰ مصراعَيهِ وفتَحَ معَه أيضا باب الاحتجاجات المُنظَمَة الّتي أخذت منذ ذاك التاريخ شكلا آخر، فَارتفعَ سقفُ المطالب وانضمَ غالبيةُ الناس إلىٰ الحراك لتبدأ مدنٌ أخرى في مؤازرَة درعا، فكانت دوما ثم حمص وتتابعت المدن السوريةُ واحدة تلو أخرى وأخذ الملفُ السوري بعد تاريخ الثامن عشر من آذار لقَبَ الثورة السورية قبل أن يدخلَ في انعطافاتهِ التاريخية اللاحقة.

الشباب والسياسة

لم يكن محمود الجوابرة في حياته مُهتمًا بالموقف الإيراني أو حزب الله أَو حتىٰ السياسة الروسية والأميركية وأداء الإعلام المحلي الرسمي أو العربي أو العالمي تجاه ما قد يحدُث في سوريا، كل هذا كان بعيدا عن خيالهِ كما أخبرني عارفوه، فقد تابع مثلَ كل السوريين بترقب التغييرَ في تونس ومصر ودخول الملف الليبي في نطاق حسم الناتو، فألهبت هذه الأحداث جذوة في قلبه لتكونَ دماؤُهُ الأولىٰ التي تنسكِبُ في ثورَةَ آذار الجديدة عام 2011.

فتح الجوابرة البابَ برحيلهِ بعد أن اختارَهُ القدَر ليكون الأوَّل ليلحَقَ به آخرون علىٰ عجل وتابعَ السوريون طَريقهُم فكانوا مشاريعَ شهادة مؤجَّلة بعد أن تلقوا صدمتهُم في القريب قبل الغريب، نحنِ هنا أمام حالة من الموت السوري المُنظم الذي تتم ممارستهِ بشكل مدروس وممنهج، باتّباع كل الوسائل التي من الممكن اتّباعُها، فلاقوا حتفهُم علىٰ طريقة محمود مواجهة مع قوات الأمن المسلحة أو في غياهب السجون تحت التعذيب، وهنا لا بدَّ أن نذكر الطفل حمزة الخطيب الذي اتهمه الإعلام الرسمي السوري بالاعتداء علىٰ نساء الضباط.

حمزة الخطيب أيضا من درعا، كلُنا شاهدنا صورتَهُ بجسدهِ المنتَفخ رغم الثقوب التي أحدَثتها أعقاب الَسجائرَ أو الآلات الحديدية، هذه أيضا صورةٌ أخرى للموت السوريِّ التي نقلَها الإعلام الرسميُّ الذي وصفَ الجوابرة ورفاقهُ بالإرهابيين ووصفَ حمزة الخطيب بالمعتدي علىٰ النساء، وقبل كل هذا لا بدَّ أن نتذكَر أنَّ هذا الإعلام الذي تعاملِ مع الموت السوري باستهتار هو نفسهُ وصفَ مظاهرات السوريين بالخروج إلىٰ الشارع لشكر الله عزَّ وجلَ علىٰ نعمة المطر في حي الميدان الدمشقي الشهير.

مواجهةُ الموت السوري الذي بدأ بشاب كانت الحياةُ تنتظر أن تُعطيهِ المزيدَ ولكنَها أخذت منه كلَ شيء مرَّةٍ واحدَة دون انتظار بعد أن قتلَهُ من كانَ يَظنُهُم أقربين، المالكينَ للسلطة والمال والقوَّة والدعم الخارجي، هذا الموت الذي بدا غريبا في بداياته ما لبث السوريون أن اعتادوا علىٰ وجوده. فنذكر في تشييع الجوابرة كان الشهيد يحمل الشهيد ليدفنه شهيد ثالث، وهذه الصورةُ ربَّما هي التي استمرَت منذ الثامن عشر من آذار 2011 حتىٰ اليوم مع دخول الثورة السورية عامها الخامس.

القيمة الرمزية

اكتسبَ محمود الجوابرة قيمتَهُ الكبيرة من رمزيَّة مواجهة السوري الأعزل للسلاح الحديديِ بيد العسكري الذي يقف خلفَهُ ضابط يتلقىٰ أوامرَهُ من قيادة أحكمت قبضتَها علىٰ كل شيء وراحت تشربُ من دماء السوريين، هذه الرمزية التي خبرَ فيها السوريون قيمةَ تشييع الشهيد الذي سقَط في حرب لم يتوقعَوا يوما أن يخوضوها، كانت الصدمة الأولىٰ والصرخةُ الأولىٰ بالدارجة السورية قائلين "يا حيف".

هذه الـ"يا حيف" استمر استخدامُها لفترة طويلة بينما تصدَّرَت صورةُ الجوابرة عشرات الآلاف إن لم نقل مئات الآلاف من الصفحات عبر وسائل التواصل الاجتماعي ليتم استبدالُها تباعا بصورٍ أخرى من مسيرة الموت السورية التي جرَّب في خطواتها السوريُّ الموتَ علىٰ كل الجبهات، فكان راحلا في ساحات الحرية خلال المظاهرات أو تحت التعذيب في أقبية الموتِ السورية، هناك في الظلمات، حيث تشملُ عبارة "تحت التعذيب" كل شيء من الحرق والغرق والسلخ والجلد وقلع العيون واستئصال الكبد والرئة وخلع الحنجرة والأظافر والاغتصاب، أو غريقا علىٰ أحد السواحل الذي نفَتهُ المواجهاتُ العسكريةُ إليه بعد أن سئمَ الحل عقبَ تتابع المبادرات العربية والدولية الفاشلةَ مع إصرَار النظام وسلاحه العسكري علىٰ المُضيِّ قُدُما في الحل الأمني.

حتما لا يعرف الكثير من السياسيين العالميين المهتمَين بالشأن السوري أو المتابعين له شيئا عن محمود الجوابرة الذي قُتلَ مع اختمار فكرة الثورة وانطلاقها إلىٰ كلَ الشوارع فيَ مختَلف المدن السورية، ولكن في المُقابل فإن مئات الآلاف من السوريين يعرفون محمودٍ جيِّدا هو الذي عاش حياتَهُ القصيرةَ في جُلِها علىٰ هامشها ليأخذَ دورِ البطولةِ مع انطلاق الرصاصة الأولىٰ تجاهُ المُسالمينَ ليكون الضَحيَّة الأولىٰ وليحمل الرقم واحد وليظلَ البيان الأوَّل في نعيَ الشهداء السوريين. محمود الجوابرة ابن درعا البلدة التي عاش وماتَ علىٰ أرضها ولم يصل إلىٰ منتصف عقدِه الثاني، ما يزال والداه الكبيران إلىٰ فَترة قصيرة سابقة يعيشان هناك في حوران بينما صُدِمَ السوريون بنبإ وفاة بعض من أفراد عائلتَه غرقا قبالةَ السواحل الليبية بعد أن ضاقتَ بهم السُبُلُ، وهذا يضعُنا في مواجهة صادمة أمام فشلِ التمثيل السياسي للثورة السورية الذي عجزَ عن الوقوف إلىٰ جانب عائلات الشهداء الأوائل الذين رسموا بدمائهم خطوات الطريق التي مشاها السوريَون فيما بعد وما زالوا يدفعون فاتورتها.

محمود قطيش الجوابرة شاب سوري خرج في المظاهرات الأولىٰ وكان قدَرُهُ أن يكون الأول في الرحيل، بعد أن صاحَ "الموت ولا المذلة" كسائر الثائرين، فكان الموتُ حليفا لا يخون. في ذكرى الانتفاضة في عامها الخامس لا بدَّ أن نتذكَر أولئك الراحلين فداء للحريَّة، فهم الشعلة التي ستبقىٰ رغم كل الانعطافات المرعِبَة التي أصابت الملف السوري وثورة شعبه اليتيمة.

> موت الجوابرة يبدو وكأنه قد فتح باب الرحيل على مصراعيه وفتح معه أيضا باب الاحتجاجات المنظمة التي أخذت منذ ذاك التاريخ شكلا آخر، فارتفع سقف المطالب وانضمت غالبية الناس إلى الحراك لمؤازرة درعا

> لم يكن محمود الجوابرة في حياته مهتما بالموقف الإيراني أو حزب الله أو حتى السياسة الروسية والأميركية وأداء الإعلام المحلي الرسمي أو العربي أو العالمي تجاه ما قد يحدث في سوريا، ولكن أخبار تونس ومصر وليبيا واليمن حركت مشاعره وصدق الربيع الذي أخذه معه

> قتل السوريين المنظم الذي تجري ممارسته بشكل مدروس وممنهج، باتباع كل الوسائل التي من الممكن اتباعها، فتك بشباب آخرين فلاقوا حتفهم على طريقة محمود في مواجهة مع قوات الأمن المسلحة أو في غياهب السجون تحت التعذيب

> هذا الموت الذي بدا غريبا في بداياته ما لبث السوريون أن اعتادوا على وجوده، فمنذ لحظة تشييع الجوابرة كان الشهيد يحمل الشهيد ليدفنه شهيد ثالث في صورة استمرت منذ الثامن عشر من آذار 2011 حتى اليوم مع دخول الثورة السورية عامها الخامس

صاحب حادثة النصف متر وفساد الأمكنة

صبري موسى الذي ما زال يسكن في صحراء الدرهيب

ممدوح فرّاج النّابي

❑ هل كان الكاتب صبري موسىٰ وهو يفتتح روايته "السَّيد من حقل السبانخ" 1982، التي تمّ تصنيفها علىٰ أنّها من روايات الخيال العلمي، بهذا المفتتح "نحن البشر نَمرُّ الآن بوضع شبيه بإنسان ما قبل التاريخ، عندما فتح عينيه منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، علىٰ دنيا جديدة تمامًا" يرتدي قناع كاهن يتحدّث بصوته عن نبوءة مستقبليّة، يصفُ لنا عبرها مآلنا في ظل وصول جحافل داعش ودهسها للأخضر واليابس بعد استيلائها علىٰ كثير من المدن، أمّ روائيًا يعمد إلىٰ الخيال، ومن ثمّ هي رؤية الفنان التي قد تتحقق، رغم أن سياق روايته يتحدّث عن التكنولوجيا وتأثيرها المفرط.

يخلط كثر بين اسمه واسم الكاتب الصحفي موسىٰ صبري صاحب أشهر خطاب للرئيس السّادات في الكنيست الإسرائيلي عام 1979، فكلاهما عمل بالصحافة وأيضًا كتب الرواية، الفارق الوحيد هو أن صبري موسىٰ لم يقترب من السلطة وكان يضع حواجز بينه وبينها، بل آثر ألا ينتمي أيديولوجيًا إلىٰ أيّ تيار أو حزب، وأنْ يمشي وحيدًا بين النّاس الذين انشغل بهم وفقط. فكما يقول في أحد حواراته "لم أقترب من السلطة مثل غيري، وبالتالي لم أستفد منها، أنا منحازٌ للناس أكثر، وأنا لا أبحث عن مغنم شخصي، ولا أعرف كيف يتم ذلك وأغلب مَنْ اقترب من السُّلطة فشل في مشروعه الأدبيّ، فأعظم الكُتَّاب العالميين هم الذين اقتربوا من أنفسهم وانحازوا للناس أكثر من السُّلطة، بل وقفوا ضدها في أحيان كثيرة.. بطبعي لا أحبُّ الأضواء، وأميل إلىٰ الهدوء"، وهذه الحيادية في التعامل، كان لها تأثيرها بالسلب عليه، فعندما أصابته محنة المرض ظلّ منسيًا من أجهزة الدولة وخاصة وزارة الثقافة، حتىٰ تدخّل الفريق السيسي وقتها بعد استغاثة مؤسّسة روز اليوسف فصدّق علىٰ تكلفة علاجه في مستشفىٰ الحلمية العسكري للعظام علىٰ نفقة القوات المسلحة.

بين الماء والصحراء

ولد صبري موسىٰ في محافظة دمياط بدلتا مصر عام 1932، لأب يمتهن التجارة في مصيف رأس البر، وعن تأثير مكان ولادته عليه يقول "ولدت في قارب وعشت صباي بين النهر والبحر حيث المساحات الواسعة من الماء، حيث التأمل والخيال بعيدًا عن زحام المدينة، وأيضا الصحراء التي شكلت وعيًا جديدًا لدي، هذا المجهول ساعدني في عملي كصحفي في 'صباح الخير'". دَرَسَ الرَّسم والتصوير في كليّة الفنون التطبيقية وبعد التخرُّج عمل مدرسًا للرّسم لمدة عامين في الفترة من 1951 إلىٰ 1953، وهو ما كان له دوره الكبير علىٰ تكوينه الإبداعي في تشكيل الكتابة وتكوينها، كما أعطىٰ للوحة البصرية في الكتابة عناية خاصّة، فجاءت كتابته وكأنّها مشاهد سينمائية. ثم ترك التدريس للعمل الصحفي الذي بدأه في جريدة الجمهورية عام 1954 إلىٰ أن انضم إلىٰ الفريق الذي بدأ نواة مجلة صباح الخير عام 1956، برئاسة الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، كما شارك في تأسيس مجلة الرِّسالة. ينتمي جيليًا إلىٰ جيل منسي علىٰ خريطة المجايلة، فهو ينتمي إلىٰ الجيل الذي سقط بين جيلين بتعبير د. مجاهد عبدالمنعم مجاهد، أي جيل بدر نشأت وفاروق منيب وعبدالله الطوخي وصالح مرسي وكامل أيوب وسيد جاد ونجيب سرور، أو جيل ما بين الحرب العالمية الثانية والعدوان الثلاثي علىٰ مصر كما أطلق عليه سليمان فياض.

كانت القراءة رافدًا مهمًا إلىٰ جانب البيئة التي نشأ فيها وأثرت في شخصيته، فحبُّ القراءة منذ طفولته كان بوصلته التي وجهته نحو قراءة الأدب بشكل خاص، فقرأ في مرحلة مبكرة أعمالا أدبية لكبار الكُتَّاب المصريين والعالميين مثل بلزاك وهوجو وتولستوي سوجوركي والكسندر دوماس وتشيكوف وغيرهم. وفي أثناء هذه المرحلة كان يُسجِّل خواطر أقرب إلىٰ الشعر متوهمًا أنه سيكون شاعرًا، وهو ما كان له صداه أثناء كتابته للقصة القصيرة، فعلىٰ حدّ قوله "كنت أكتب فيها النثر الشعري حيث اكتسبتْ لغتي القصصية الإيقاع الشعري للجملة والحرص علىٰ انتقاء الكلمات".

عابر الفنون

في بداية الخمسينات بدأ في نشر بعض القصص القصيرة في مجلات "الرسالة الجديدة" و"القصة" و"التحرير" و"روز اليوسف" وجريدة "الجمهورية" وغيرها، لكنه كان يرى أن هذه القصص ذات طابع صحفي مستلهمة من أحوال الناس اليومية وما تزخر به صفحات الجرائد من حوادث. أصدر أوّل مجموعاته القصصية "القميص" سنة 1958 علىٰ نفقته الخاصة، ثم "لا أحد يعلم" عام 1963، و"مشروع قتل جارة" عام 1965، و"حكايات صبري موسىٰ" عام 1966، و"وجها لظهر" عام 1967، وآخر مجموعاته "السيدة التي والرجل الذي لم" عام 1999، ثمّ انتقل موسىٰ إلىٰ مرحلة الرواية القصيرة بدءا بـ"حادث النص متر" عام 1962، ثم "فساد الأمكنة" عام 1973، و"السيد من حقل السبانخ" عام 1982، بل شمل نتاجه الإبداعي أيضًا كتب الرحلات مثل "في الصحراء" عام 1964، الذي كان نواة لروايته "فساد الأمكنة"، و"في البحيرات" عام 1965 و"الغذاء مع آلهة الصيد" عام 1972 وآلهة الصيد كما يقصدهم موسىٰ في مقدمة كتابه "هم الرّحالة الأجانب الذين يجمعون بين الغلظة والمزاح والفضول وحب الحياة".

وعن علاقته بالسينما يقول "فقد بدأت رحلتي فيها حين كنت أقوم برحلات صحفية في الصحراء والواحات والبحيرات وغيرها، حيث كنت أقوم إلىٰ جانب الكتابة عن المكان، بتصويره بكاميرا سينما ثمانية مللي، وكنت أقوم بعمل المونتاج السينمائي لهذه الأفلام بنفسي، ولعل تلك المرحلة الهامة في حياتي هي التي جعلتني وثيق الصلة بعالم السينما حين بدأت في كتابة السيناريو والحوار السينمائيين وجعلتني أتميز فيه"، فقام بتحويل أعمال يحيىٰ حقي إلىٰ السينما مثل "البوسطجي" من إخراج كمال حسين، و"قنديل أم هاشم" من إخراج كمال عطية. كما كتب السيناريو والحوار لعدة أفلام مأخوذة من أعمال أدبية مثل فيلم "الشيماء" عن مسرحية لعلي أحمد باكثير وفيلم "حبيبي أصغر مني" عن قصة إحسان عبدالقدوس وفيلم "الأسوار" عن قصة عبدالرحمن الربيعي و"قاهر الظلام" عن رواية "الأيام" لطه حسين و"رغبات ممنوعة" و"أين تخبئون الشمس"، علاوة علىٰ قصصه التي تحولت إلىٰ أعمال سينمائية مثل "رحلة داخل امرأة" و"حادث النصف متر".

ومع حالات التنوّع في الكتابة ما بين فن القصة والرواية والسيناريو والمقال الصحفي، إلا أن فكرة الكتابة ذاتها ليست سهلة كما تبدو من خلال هذا التعدّد، فثمة مكابدة تجعله يعلن "أنا أكره الكتابة، ولكن تراودني الأفكار عن القصص والروايات، فلا تتركني حتىٰ أضعها علىٰ ورق، وأخادعها لأرتاح وأكتب الفكرة ولكنها لا تتوقف وتظل تنمو و تكبر حتىٰ تكتمل".

حصد علىٰ هذه الأعمال العديد من الجوائز، منها جائزة الدولة التشجيعية، عن رواية "فساد الأمكنة" عام 1974، ووسام الجمهورية للعلوم والفنون من الطبقة الأولىٰ في العام ذاته، وجائزة بيجاسوس الدولية من أميركا، وهي الميدالية الذهبية للأعمال الأدبية المكتوبة بغير اللغة الإنكليزية عام 1978، وجائزة التفوق في دورتها الأولىٰ عام 1999، وفي عام 2003 توج بالتقديرية. كما تُرجمت أعماله إلىٰ عدة لغات.

الرحلات التي قام بها كانت بمثابة تغلغل داخل النسيج الاجتماعي والقيمي والأخلاقي لهذا المجتمع، إلىٰ درجة أنه من كثرة رحلاته المتعددة في كافة أنحاء مصر، يقول "فأصبحت متسلحا بمعرفة ميدانية واشتباك حقيقي مع الواقع والمكان بقوة الأدب وروح الأديب المغامر وحرفية الصحفي كما يحبون أن يطلقوا علي هذا الوصف، وهذا يسعدني. كما نبهت المسؤولين إلىٰ إنشاء محافظتي الوادي الجديد والبحر الأحمر".

أنشودة الوحدة والطبيعة

وصف غالب هلسا رواية "فساد الأمكنة" قائلا "هذه رواية فذة، اقتحمت عالما عربيا صعب المسالك"، ليست العبقرية في الرواية التي حكىٰ فيها سيرة ذلك القادم من جبال القوقاز ليقدمه إلينا عبر وليمة جبلية، وإنما العبقرية في جعل هذا القديس القوقازي يتوحد مع سكونية وصوفية الجبل الذي حلّ في جسد الجد الأكبر كوكا لوانكا، ويأخذنا في نهاية الرواية في مشهد أسطوري لبطله الذي يجسد ملامح البطل الإغريقي وهو يقتاد ابنته إيليا التي جعلها علىٰ اسم زوجته التي قالت له في لحظة عشق: سأتركك لمصير مُفْجِع امتثالا لقانون المكان.

تعزف كتاباته وارتحالاته في دروب الصحراء علىٰ رفض قاطع للمدينة وشرورها، تلك التي لم تسلم منها الصحراء ببكارتها وطهرها، فما إن حل إنسان المدينة عليها حتىٰ لوثها وفض بكارتها. كما صور في روايته "فساد الأمكنة" التي بدأ كتابتها عام 1968 بعدما بات ليلة في صحراء الدرهيب علىٰ حدود السودان فولدت في داخله بذرة الرواية بعد أن زار المكان عام 1963، ثمّ زار الدرهيب مرّة ثانية أثناء عبوره لزيارة ضريح أبي الحسن الشاذلي وعندها تأكّد له أنّه لا بدّ من زيارة هذا المكان والإقامة فيه وهو ما تحقق بعد أن وافقت وزارة الثقافة علىٰ تفرغه وبدأ الكتابة في مستهل عام 1968، وانتهىٰ منها عام 1970، هكذا ولدت "فساد الأمكنة" التي جاء عنوانها من استيائه من منظر الشوارع والحدائق بعد انتهاء موسم الاحتفال بشم النسيم، وكأنها ليست فقط احتجاجا علىٰ استبدادية السلطة في صورة الملك وحاشيته للطهر، بل هي وثيقة احتجاج كامل لكافة أنواع الفساد المستشري في حياتنا وواقعنا. نفس الشيء نراه في "حادث النصف متر"، فالرواية بتقديمها واقع المدينة الفج، حيث طغت علىٰ أفراده الأنانية في مطلع الثمانينات، ضاربا بالقيم والأخلاق عرض الحائط، هي في الحقيقة تدين هذا الواقع وتعريه، في رفض قاطع لهذه السلوكيات حتىٰ ولو لم ينحز الراوي في عرضه لأي طرف. وبناء علىٰ هذه الرؤية جاء حضور المرأة في أعماله علىٰ اختلافها، لا في صورة المرأة المهمشة أو الضعيفة، بل هو حضور النموذج المتحرر، حيث يصل بها التحرر، كما في شخصية صفية بطلة قصة "السيدة التي والرجل الذي لم"، إلىٰ التفنن في مراوغة زوجها للخروج لممارسة البغاء، وحين يضيق عليها الخناق تخترع قصة ساذجة ثم تلقي في يده دليل خيانتها الدولار، ليلقي الزوج بجملته الصادمة «منك لله يا صفية.. شغلتي بالي وخلتيني افتكر فيك شيء بطال».

لا تقل عناوين قصصه غرابة وطرافة عن موضوعاته المثيرة كما هو واضح في عناوين "الرجل الذي ضحك علىٰ الحصان" و"السيدة التي والرجل الذي لم" و"مشروع قتل جارة" و"البنت الفلحوسة" و"استقالة الست أم علي" و"الأب والابن والحمار".

علىٰ مدار ثلاثة أعمال روائية كانت الهزيمة هي رديف أبطاله وحالهم، انهزم نيكولا في الجبل، الذي قهره وأخذ منه سبائك الذهب، لكن الجبل في النهاية حل عليه، فانتهىٰ وليمة هو وابنته وحفيده لطيور الجبل وحيواناته. والبطل في "حادث النصف متر"، يقرر الاستسلام للهزيمة ويتخلىٰ عن حبيبته لذلك الذي "طلب منه أن يبتعد عنها لأنه سيتزوجها" ولا يجد العزاء إلا في معاقرة الخمر، والتلذذ بكلمات عزاء أصدقائه، والبطل في "السيد من حقل السّبانخ" يتخلىٰ عن حياته الهانئة في سبيل الحرية، وفي النهاية تنتصر المادة عليه. تعادل الهزائم لديه الرؤية التشاؤمية، وهو ما يصل به إلىٰ اعتبار "الحضارة الإنسانية المعاصرة قائمة علىٰ التناقض، حيث التقدم العلمي الهائل، وفي نفس الوقت التخلف الروحي الرهيب، والتقدم الذي حققته يستخدم لتعاسة الإنسان ودماره"، كما ذكر الكاتب فتحي عامر في حديثه عن تجربة صبري موسىٰ. كما قال عنه الناقد الدكتور غالي شكري "إن صبري موسىٰ يبحث في صبر وأناة وجمال عن رؤى تخترق أحشاء الواقع، فتصل إلىٰ نبوءة جمالية عميقة لأخطر الهزائم وأبقاها في كياننا الروحي".

> الجيل الذي ينتمي إليه صبري موسى سقط بين جيلين، جيل بدر نشأت وفاروق منيب وعبدالله الطوخي وصالح مرسي وكامل أيوب وسيد جاد ونجيب سرور، شباب ما بين الحرب العالمية الثانية والعدوان الثلاثي على مصر كما أطلق عليهم سليمان فياض

> كتاباته وارتحالاته في دروب الصحراء تقوم على رفضه للمدينة وشرورها، تلك التي لم تسلم منها الصحراء بطهرها، فما إن حل إنسان المدينة عليها حتى لوثها، كما صور في روايته «فساد الأمكنة» التي كتبها بعدما بات ليلة في صحراء الدرهيب على حدود السودان

> الناقد غالي شكري يصف صبري موسى بأنه «يبحث في صبر وأناة وجمال عن رؤى تخترق أحشاء الواقع، فتصل إلى نبوءة جمالية عميقة لأخطر الهزائم وأبقاها في كياننا الرُّوحي»

سومري مُعتّق يحكي بعوده أشجان الشعوب

نصير شمة زرياب العراق وبيت الأوتار الثمانية

باسل العودات

❏ إطلالة مشرقية خاصة، هادئ ومتواضع إلى حد الخجل، صاحب إحساس عميق كمحيط، سومري مُعتّق، نقرات أصابعه أقوى من سنابك الخيول في المعارك، يُمسك العود فيتحول إلى صياد أسود آشوري. ينساب النغم من بين يديه كانسياب المياه في حدائق بابل المعلّقة، عزْف فحكى قصصا طويلة عن آلام الشعوب التي أحبها وعاش معها، راقب الحروب وصانعيها، شاهدها تحرق الجميع وحين تضع أوزارها لا يأتي عصفور السلام.

الثراء الموسيقي الاستثنائي للمنطقة، كان مادة بحثه وعالمه الواسع، فأعجبته موسيقى الأرمن برجولتها وعنفوانها، وفرادة الموسيقى الكردية بوجعها وحبها وغربتها، وتبحّر بالمقامات العراقية والقدود الحلبية والموشحات الريفية والمواويل البدوية، وطرب لموسيقى الشركس والشيشان، حملها كلها معه وتجاوز الثقافات والأماكن، وأخلص للتنوع اللوني والعرقي الجميل الموجود في مناخه وبيئته، الموسيقار وعازف العود الأشهر عربيا وعالميا، السفير فوق العادة لدول غربية ومنظمات دولية العراقي نصير شمة الذي يعدّ واحدا من أهم الموسيقيين العرب الذين برزوا في نهاية القرن العشرين، استطاع دخول القرن الحادي والعشرين بخطوات راسخة تستند إلى منجز تراكمي ونوعي من التأليف الموسيقي المنفرد.

أفراح العصافير

وُلد نصير شمة في الكوت في العراق، ودرس في معهد الدراسات النغمية لمدة ست سنوات، فأنهى المنهاج بسنتين، وأمضى بقية السنوات الأربع يُدرّس في نفس المعهد، وإخلاصه لمعهده لم يمنعه من انتقاد الدراسة النظرية الطويلة التي لم تكن تناسب تطلعاته، وسارع لوضع منهاج لمدة سنتين وبدأ تطبيقه في العراق، ثم انطلق لتونس وأنشأ ركن مدرسة العود المعاصر، ثم افتتح "بيت العود" في مصر، وتلته فروع في الفاطمية والإسكندرية ثم في قسنطينة بالجزائر وفي أبوظبي والخرطوم، وفي بغداد والبصرة وأربيل والكوت مسقط الرأس، ويشرف بنفسه على بيوت العود كلها متنقلا من بلد إلى بلد دون كلل.

أول قطعة ألفها حملت عنوان "أفراح العصافير"، وهي سيناريو حب ومشاعر بين عصفورين في حديقة المعهد حيث درس، التقط اللغة والمشاعر الرقيقة بينهما، الحرية التي نفتقدها، الفرح الذي حُرمنا منه، فكتب أفكارا حوّلها لمقطوعة وصفية تجسّدت كموسيقى على عوده.

قدم نصير شمة أولى حفلاته الموسيقية المنفردة في العراق باكرا، وأقام حفله الموسيقي الأول بباريس عندما كان طالبا في المعهد، وكرت السبّحة في مختلف أنحاء العالم، وأسس فرقته الموسيقية "البيارق العربية" في بغداد وأعاد ترتيبها في القاهرة، كما أسس العديد من الفرق الموسيقية كفرقة "سداسي الأنامل الذهبية" وفرقة "البيارق" و"مجموعة عيون لموسيقى الحجرة العربية"، و"أوركسترا الشرق"، و"بيت العود" وغيرها.

علّم طلابه كيف يحلمون قبل أن يُعلّمهم كيف يعزفون، فالحلم بالطريقة الصحيحة يساعد في التغلب على المصاعب، وتعامل مع الجمهور كأنه مجموعة من النقاد الموسيقيين، لم يستهن بأحد، ولم يتوقف عن تطوير أدواته وإمكانياته، ليجعل العود آلة قريبة من وجدان الناس وقلوبهم.

> ولع نصير شمة الحقيقي بالفنون التشكيلية، يدفعه إلى قراءتها موسيقيا، ودراسة تأثير الموسيقى على الرسامين، فقد ارتبط بالفن التشكيلي والمسرح والسينما في نفس الوقت الذي بدأ ارتباطه بالعود والموسيقى، وأنجز أعمالا تشكيلية تزيد عن 50 لوحة يرفض أن يقيم معرضا لها خوفا من أن يبتعد عن العود

أحب الرجل الكثير من المدن، بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة وأبوظبي، كلها كانت مدنا استثنائية بالنسبة إليه، وأصبح خليطا منها، وفي كل عاصمة له عنوان وتاريخ وأصحاب، وكلها حصلت على نصيبها من ألحانه من واقعها الاجتماعي والسياسي وعلاقته بها.

الفن كفلسفة

كانت الأنشودة الدينية دافعا قويا له ليطرق باب العشق الإلهي الذي أصبح منطلقه في العمل الفني الذي اتخذه طريقا للتعبّد والتقرب إلى الله، أغرم بالصوفية وتعمق في قراءة الطرق الصوفية العشر وما اشتق منها فيما بعد وسيرة الصوفيين الكبار فأغرق في قراءة ابن عربي وابن الفارض والسهروردي ورابعة العدوية وأغرم بالحلاج، وفي نفس الوقت رفض أن يحتكر الإسلام الصوفيّة لأنه رأى أنها مسألة وجدانية بين الإنسان وخالقه، نظام للخلاص من الدنيويات، وهو ما يتوافر في كل الديانات.

حددت أحلام اليقظة في طفولة نصير شمة رؤيته للعالم ومساره، وكلما راوده حلم سعى لتجسيده واقعا بغض النظر عما يحمله من فانتازيا ومستحيل، الأحلام المتلاحقة والعمل الدؤوب والقراءات والتمارين والاطلاع بشغف على علوم الموسيقى المختلفة ساهمت في أن يرسم خطه الموسيقي المميز.

لنصير شمة ولع حقيقي بالفنون التشكيلية، فقد عمل على محاولة قراءة الفنون التشكيلية موسيقيا، ودراسة تأثير الموسيقى على الرسامين، وارتبط بالفن التشكيلي والمسرح والسينما في نفس الوقت الذي بدأ ارتباطه بالعود والموسيقى، وله أعمال تشكيلية تزيد عن 50 لوحة يرفض أن يقيم معرضا لها خوفا من أن يبتعد عن العود، وبدلا عن ذلك ترك لمخيلته الموسيقية أن ترسم فنا سماعيا، تحوّل الصورة والألوان والخطوط إلى أنغام وألحان، فأدخل العود في صلب الصورة، نمطا جديدا لم يكن سائدا من قبل.

بدأ باكرا في تكوين علاقة تحاور ما بين الشعر والموسيقى، وله قراءات موسيقية لأشعار بدر شاكر السياب ومحمود درويش والجواهري ومظفر النواب وفدوى طوقان وأمل دنقل وبشارة الخوري وطلال حيدر وغيرهم الكثير.

تجارب سريالية

عمل شمّة في تدريباته الشخصية ومع صُنّاع الآلة ليصل إلى صوت عود تتساوى أذن العالم في سماعه، فيتأثر به الياباني كما المصري والإيطالي، وكان لاطلاعه على الموسيقى الغربية ودراسته لعلومها وتمسكه بأصالة الشرق دور كبير في تسهيل وصوله إلى مسامع الجمهور الغربي والآسيوي، وابتكر ما رآه ضروريا وكسر كثيرا من الثوابت.

متأثرا بالآشوريين الذين لم يعرفوا ريشة العود، عزف شمة على عوده غير مرّة بأصابعه الخمسة دون ريشة، وقدّم مقطوعات موسيقية آشورية شاهدها على ألواح آشورية كانت محفوظة في المتحف العراقي قبل تدميره بالاجتياح الأميركي، وحوّل الأوتار لنظام هارموني متكامل.

ابتدع طريقة العزف على العود بيد واحدة، فألف "قصة حب شرقية" لتُعزف بيد واحدة، دافعه قصة مرتبطة بصديق له فقد يده، واحد من ضحايا الحرب العراقية الإيرانية، أراد أن يعطيه بعض الأمل، وحوّل الحالة الشخصية لمنهج حياة حيث لاقت هذه الطريقة استحسانا وإقبالا من الكثير من المعوقين حركيا من فاقدي اليد، كما ابتدع طريقة ثانية مبدأها أن يتشارك إثنان من فاقدي اليد في العزف على عود واحد مكمّلين بعضهم البعض، وعزف أيضا مقطوعات بيده اليسار فقط لمساعدة فاقدي اليد اليمنى، وتعممت هذه الطريقة على أغلب بيوت العود في الدول العربية.

عزف على عود ذي ثمانية أوتار تحقيقا واقعيا لنتاج كان في مخطوط للفارابي عمره ألف عام، فكان كمن يعزف على ثلاثة أعواد في عود واحد يستطيع تشخيص كل الأنغام، وبات هدفا لزيارات كثيفة لطلاب موسيقى من الغرب والشرق ليدرسوا هذا العود المثمّن.

لم يدّع نصير شمة يوما بأنه سياسي، ولم يدخل أحزابا سياسية، لكنّه قرر منذ البدايات الانحياز للإنسان وقضاياه، فلامس الجرح أكثر من كثير من السياسيين، ووقف بوجه الطاغية، كل طاغية وكل دكتاتور، آمن بأن الشعب هو الكل، وهو الوحيد صاحب الحق بتحديد حاضره ومستقبله ومصيره، وعلى الرغم من جنوحه الكامل للسلم إلا أنه كان كالسيف في وجه كل من آذى الشعوب العربية بغض النظر عن توجّهه السياسي وانتمائه الإثني والطائفي.

أمسك ريشته ليضرب بها على عوده أوجاع الشعوب، وفي قلب الوجع سار عكس التيار وفعل دائما ما يقتنع به دون خوف، وكما قام مشروعه الموسيقي على ثورة العقل، قام مشروعه الإنساني على البحث عن صفاء الروح.

زمن حكم صدام حسين حين آثرت الغالبية الصمت خوفا من نظام أمني قمعي، قرر شتم رأس النظام وفعل، فحُكم عليه بالإعدام نتيجة وشاية، لكنّ معرفة لجنة الحكم بشخصيته كعلم من أعلام العراق وتعاطف البعض معه أنقذه من الإعدام، فاكتفى السجّان باحتجازه لنحو نصف عام، وقتلت شقيقته نضال وهي حامل في شهرها التاسع بحادث سير مُدبر في نفس اليوم الذي خرج فيه من السجن.

يقول إن أعماله لم تكن أبدا سياسية، حتى تلك المعزوفات التي نالت سمعة الارتباط بالسياسة، كمعزوفتي "العامرية" و"هيروشيما" عن كارثة البلدين، فهو يُفضّل أن يُقدّم فنا خاليا من الإيديولوجيا، فنا يحكي للناس وعن الناس فقط.

غنى وعزف كثيرا عن العراق الذي يعشق، وأبكى السفيرة الأميركية في العراق حين عزف مقطوعة ألفها عن مجزرة قصف مدرسة للأطفال ارتكبتها الطائرات الأميركية بالعراق، فكان سلاحه أقوى من سلاح السياسيين، وفي ملجأ العامرية الذي قتل الطيران الأميركي داخله أكثر من 800 مدني عراقي قضى سبعة أيام كاملة يستذكر

> سحر العود يدفع نصير شمة إلى الشغل مع صناع الآلة لابتداع صوت عود تتساوى أذن العالم في سماعه، فيتأثر به الياباني كما المصري والإيطالي، وقد كان لاطلاعه على الموسيقى الغربية ودراسته لعلومها دور كبير في وصوله إلى الجمهور الغربي والآسيوي

الحدث ليكتب في النهاية معزوفة "حدث في العامرية" التي تحولت إلى أعمال مسرحية وباليه وأفلام وثائقية وروائية ولوحات تشكيلية.

لكنّ حدود العراق لم تكن قط حدوده، تجاوز الوطن العربي ليؤمن بالكون والإنسان، وحمل معاناة شعوب المنطقة وجال العالم، ودعم صمود الشعب اللبناني حين اجتاحت إسرائيل أراضيه، وناصر المقاومة الفلسطينية، ودعم الشعب العراقي والسوري ضد جلاديه، وعزف لفلسطين ولبنان والسودان، ولثورات مصر وتونس واليمن وليبيا، وجعل الفن سلاحه الفعال في معارك الشعوب ضد أعدائها، في مواجهة أسلحة الإبادة التي يستخدمها الحكام والمتعصبون دينيا وطائفيا، واستخدم الفن لبث الحب والسلام والأمل.

آمن بأن الربيع العربي "منتج شعبي محترم"، واقتنع بأنه رغم كل ما يشاع عن التدخل الخارجي في الثورات العربية إلا أنها في الحقيقة ثورات الشعوب، مؤكدا على أن قوة الشعوب هي التي أسقطت الظلم، وهي التي ستسقطه في أي بلد في نهاية المطاف.

عمل شمة مع منظمات دولية ومنظمات مجتمع مدني إقليمية، واستغل كل علاقاته الشخصية ومعارفه الواسعة بالسياسيين ورجال الأعمال من أقصى الخليج العربي إلى أطراف الأطلسي ليدعم مشاريع ذات بعد إنساني وإغاثي وطبي للاجئين السوريين والعراقيين وغيرهم.

حصل قبل أربع سنوات على أرفع جائزة للسلام العالمي تمنح للفنانين والعلماء والمبدعين الذين عملوا على إسعاد الآخرين ولديهم عمل خيري كبير، وبات رئيسا للجائزة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأوروبا لمدة عامين، و أنشأ جمعية طريق الزهور غير الربحية قبل عشر سنوات لمد العون والمساعدة الطبية والإنسانية لأطفال العراق ممن عانوا من تشوهات ولادية بسبب الحروب المتتالية، ونجح في مساعدة الكثيرين منهم فغيّر حياتهم ومنحهم مستقبلا أكثر إشراقا، وقام بحملات لشراء أدوية للأطفال داخل العراق من ريع أمسياته الموسيقية بالتعاون مع مؤسسة "جسر إلى بغداد" ومقرها روما.

قدّم - وما يزال - سلسلة من الحفلات لدعم النازحين العراقيين، ودعا العالم إلى توفير حياة أفضل لهم وإعادتهم سالمين إلى منازلهم، ولم يتوقف عن زيارة مخيمات اللجوء في العراق حتى اليوم حاملا الأمل والمساعدة للجميع بغض النظر عن انتمائه.

حرك أول وفد طبي وشعبي من مصر إلى بغداد لكسر الحصار عندما كان مفروضا عليها، وأعلن بالتنسيق مع الجامعة العربية حملته "يد العرب بيد العراقيين" التي ساهمت في دعم مسيرة التعليم لما يزيد عن 2500 طالب مدرسي عراقي و300 طالب جامعي خلال عامين.

أقام العديد من الحفلات التي خصص ربحها لدعم الشعب السوري وللعائلات السورية المهجّرة داخل سوريا وخارجها، وزار مخيمات اللاجئين في الأردن ولبنان والعراق وغيرها، وأطلق أكثر من مبادرة إنسانية للسوريين من أبرزها مبادرة (لكل أسرة كرفان) لتوفير مأوى ملائم للاجئين السوريين في مخيم الزعتري في الأردن، واعتبر وقوفه إلى جانب الشعب السوري دينا عليه قبل أن يكون موقفا سياسيا، وذكّر العالم بأن الشعب السوري احتضن قرابة مليوني لاجئ عراقي خلال سنوات الحرب في بلده.

شارك في مهرجانات موسيقية عدة لصالح الثورة السورية، واستطاع بموسيقاه نقل معاناة السوريين اليومية، وجسّد بشاعة الحرب بموسيقاه، وعزف لبابا عمرو ودرعا، وعلى عكس الكثير من الفنانين دعا بحزم الرئيس السوري ليقدم نفسه للعدالة.

نصير شمة هو كل هذا الخليط، إنسان مرهف، موسيقي رفيع، ثوري لا يهادن، عاشق للتراث والأصالة، حفيد أنكيدو وشبعاد، نصير المقهورين، صديق العشاق، والأهم أنه بات بنظر الكثيرين ملك العود بلا منافس.

> في بداياته يلتحق نصير شمة بمعهد الدراسات النغمية الذي تدوم الدراسة فيه ست سنوات، لينهي المنهاج خلال سنتين فقط، ويمضي بقية السنوات الأربع يدرس في نفس المعهد، منتقدا الدراسة النظرية الطويلة التي لم تكن تناسب تطلعاته

ثقافة النخبة / ثقافة الناس

هل هناك ثقافة نخبة وثقافة ناس؟ هل هذا عنوان واقعي، أم هو وهم آخر من أوهام المثقفين لاغير. هل يمكن الحديث عن نخبة مثقفة عربية لها ملامحها وتوجهاتها المتبلورة في مشروعات فكرية، ولها ضفتها المستقلة، في مقابل جماعات من المواطنين في المدن والأرياف يقفون جميعهم على ضفة مقابلة، ولديهم ثقافاتهم وتصوراتهم عن وجودهم الاجتماعي. هل يمكن لمثل هذا التصور أن يكون هو السائد، حقا، عن علاقة النخبة المثقفة بنفسها وبالناس؟

يثير هذا الملف، بمشاركة من كتاب عرب من المشرق والمغرب، السؤال الجارح حول الفجوة المتخيلة بين ثقافة ما يسمى بـ"النخبة" و"ثقافة الناس" . المقالات المنشورة تقارب هذه المسألة عبر إشكاليات وموضوعات متعددة، أكانت تلك التي نجمت عن مخاضات قرن مضى على توديع العرب الامبراطورية العثمانية، أو عن حركة الناس في الشارع عبر ما سمي بـ"الربيع العربي" في مواجهتهم الاستبداد والفساد طلبا للتغيير وطبا لصفحة النظم الشمولية المتمثلة، أساسا، في طغم عسكرية احتلت المجتمعات وعسكرت إنسانها، واستعبدته بشعاراتها القطيعية، حتى كاد أن ينسى انه فرد اجتماعي وصاحب حقوق مهدورة، وليس دابة في قطيع.

هل هناك ثقافة نخبة استعلت على الناس، انطلاقا من لوثة السلطة التي مثلتها لها الثقافة، وقد اشتركت بها مع السلطة المستبدة في احتقار الناس

"العرب" بالاتفاق مع مجلة "الجديد" الشهرية الثقافية اللندنية ملفا فكريا يطرح التساؤلات حول ما إذا كانت هناك "ثقافة نخبة" مقابل "ثقافة ناس".

وفي الأحد القادم ستنشر المجلة نصوصاً تساجل النصوص المنشورة في الملف.

علما أن العرب تقصد من وراء هذا دعوة الكتاب والمثقفين العرب إلى المساهمة في محاورة ومساجلة الافكار المطروحة في الملف.

ثقافة الأقلية وثقافة الناس

النزعة الدينية دمرت الثقافة الشعبية

خزعل الماجدي

❏ لا شك أن هناك ثقافة نخبة تختلف عن ثقافة الناس أو مانسميهاً بـ"الثقافة الشعبية" ليس في مجتمعاتنا فقط بل في أرقى المجتمعات تحضراً، لأن الأمر يرتبط بالتخصص المعرفي والثقافي والأكاديمي، وليس بوسع جميع الناس الحصول على هذا التخصص لأسباب لا حصر لها، ولم يعد هذا التقسيم مرتبطاً بتقسيمات طبقية واقتصادية فقط رغم أنه كان كذلك ذات زمن.

ثقافة النخبة هي ثقافة الأقلية المتعلمة تعليماً عالياً أو المثقفة المطّلعة الدؤوبة في البحث والمتابعة داخل تخصصها وتشمل المثقفين والأكاديميين والمبدعين في قطاعات الثقافة والفنون والعلوم بشكلٍ خاص.

أما ثقافة الناس فهي ثقافة الأكثرية ذات التعليم العادي أو البسيط والمهن الحرفية والفلاحين والطبقات الشعبية والتي لا تداوم على المطالعة والبحث المعرفي واكتساب المعارف الجديدة، ومع وسائل الاتصال والإعلام الحديثة فهي تستهلك ما يصلها من الثقافة عن طريق الصدفة غالباً وبشكل سريع ومتقطع.

ثقافة النخبة ضرورية لأنها تعتمد على التعليم العام أو الذاتي وتتصل بآخر مستجدات العلم والثقافة في العالم، فهي التي تربط المجتمع بعصره الحديث وتُشعره بما يجري في العالم من تطورات ثقافية وعلمية وحضارية، وهي ضرورية للمجتمع بحكم فاعليتها وقيادتها للرأي العام وتنويرها للمجتمع سواء في قنوات الإعلام أو التعليم أو العمل أو الحياة العامة، فضلاً عن أن ثقافة النخبة تمثل بنتاجها الثقافي والمعرفي والعلمي قدرة ذلك المجتمع على الخصوبة الفكرية والحضارية لذلك المجتمع عبر أفراد ومؤسسات مبدعةٍ ومتواصلة الإنتاج.

ثقافة الناس، هي الأخرى، ضرورية لأنها تعكس حاجات الناس والمجتمع وتطلعاتهم وهي المقياس الحسّاس لما يكون عليه المجتمع وما يحتاجه، فضلاً عن أن الثقافة الشعبية كانت، على مدى التاريخ، مصدر الإنتاج الفطري الطازج في الثقافات والفنون والذي يشكّل النضج العام الجمعي الواعي والاواعي للمجتمع على لسان مبدعيه الشعبيين، هذا المعين الخصب والثريّ لا تستغني عنه أيّ ثقافة وطنية أو قومية فهو نهرها المتدفق المنساب بلا انقطاعٍ في كل العصور.

الثقافتان، إذن، لا بد منهما، وقد تحملان بعض التنافر بينهما، مثل أفكار التخلف والتقدم وغيرها، ولكن الجمع بينهما أمر صحيح ووارد ومفيد لثقافة أيّ بلد. الفجوة بينهما فجوة طبيعية تفرضها طبيعة كلٍ منهما ولا أعتقد أن من الصحيح وصف ثقافة النخبة بالرفعة والعلوّ وثقافة الناس بالهبوط والانحطاط لأن الثقافتين مختلفتين في مجراهما ووظيفتهما.

ربما يُستخدمُ، هذا الوصف، في ظل مجتمعاتٍ منقسمةٍ طبقياً بحدة، وفي الماضي بشكل خاص، لكن الأمر أصبح مختلفاً الآن فلم يعد الأمر كذلك لأن الوعي الاجتماعي أصبح يحرص على الثقافتين ويجمع بينهما لمصلحته الحضارية.

ثقافة النخبة لا يمكن أن توصف، بعد الآن، منعزلة ومغلقة يمارسها عباقرةٌ متجهّمون. وثقافة الناس لا يمكن أن توصف، بعد الآن، بالهبوط والتدني يمارسها ناسٌ سذج وأميون، وذلك بسبب القفزة النوعية لوسائل الاتصال والإعلام والذي أصبح يرصد الجميع، من ناحية، ويفتح للجميع أبواباً مشرعة للظهورٍ من ناحية أخرى.

ثقافة النخبة تنشط ثقافة الناس وتزيد من سعة وعمق اهتماماتهم، وثقافة الناس تُخصّب ثقافة النخبة وتمنحهم حرارة الحياة وحاجاتها وقوتها وتمدّها بخامات عظيمةٍ لإنتاج ثقافيّ مبدع.

لابّد إذن من الاعتراف بوجود الثقافتين منفصلتين شكلياً ومتصلتين وظيفياً، ولذلك تبدو الفجوة التي نتحدث عنها، بينهما، "فجوة أميبية الحركة" لا يمكن رسمها وتحديد مناسيبها، فالنسغ الصاعد فيها يشتغل وكذلك النسغ النازل وهو ما يشير إلى حركة الحياة وظهور الثمار في نهاية المطاف.

وحدها النخب الدينية والسلفية هي التي عزفت على قيادة ما تراه قطيعاً جاهزاً، فرجال الدين والفقهاء والدعاة وأصحاب الرساميل الدينية يدركون أن الدين ثقافة شعبية جاهزة يمكن التحكم فيها وفي أهلها ولذلك لعبت هذه النخب الدينية دوراً خطيراً في تدمير الثقافة الشعبية وتشويهها ونشرت فيها العنف والكراهية والظلام، هذه النخب ليست ثقافية، بأيّ حال من الأحوال، بل هي نخب ما صار يعرف بـ"الإسلام السياسي" حتى وإن لم تكن منتظمة سياسياً فيه، فقد ثوارثت السلطة الدينية سلالياً أو تعلّماً ودرجت على استعمال الدين بنوايا خبيثة وبدوافع السلطة والمال بالدرجة الأساس ولذلك لا يمكن عدّ هذه النخب ضمن النخب الثقافية التي يكمن جوهر مشروعها في التنوير والعلم والحرية، هذه النخب الدينية طوت صفحة الوعي الروحي في الأديان وانشغلت بالوعي التحريضي الذي يشتت الناس ويمزقهم.

مادامت المجتمعات المتحضرة تضم ثقافتي النخبة والناس فكيف هو الحال مع المجتمعات المتخلفة والنامية؟ لا شك أن الهوة بينهما ستزداد، ولا أعتقد أن ردم الهوة أمرٌ واردٌ، ثم لماذا نردم الهوة قسراً في مثل هذه المجتمعات المتخلفة وكيف سنستطيع ذلك؟ الأمر مرتبطٌ بتقدم المجتمع كله وتحضره وهو ما لا نتوقع حصوله خلال قرونٍ قادمة.

لا أعتقد أن من صالح المجتمع ردم الهوة قسراً لأننا بفقداننا خصوصية ثقافة الناس الشعبية نكون قد خسرنا ثقافة عفوية ساخنة قادرة على الحركة والمرونة والإخصاب فضلاً عن كونها تشكل نضح الجماعة.

ثم إن الأمر ليس بهذه البساطة ولا بهذا الفصل الحاد ففي ثقافة النخبة هناك ما هو شعبيّ يتسرب لها من خلال الأصول الشعبية للعاملين فيها ومن خلال التواصل بين النخبة والمجتمع، وفي ثقافة الناس هناك ما هو نخبويّ يتسرب إليها من خلال التعليم والإعلام والتواصل. ولو استعنّا بمنهج جاك دريدا في التفكيك لوجدنا أن تفكيك هذه الثنائية "نخبة/ناس التي تخضع ،هي الأخرى، لفصل حاد في ذهن المتلقي، في حين أنها ليست كذلك ويمكن تفكيكها وتجاوز تعارضها والاعتراف يتواشج قطبيها.

الخطاب الثقافيّ لا بد له من التفاعل في جميع المستويات حتى الشعبية منها لأن أي انقطاعٍ عنها سيؤدي إلى عزلته ولا بد من تلافي ذلك عن طريق عدم تكريس التعارض الحاد والمطلق بينهما.

ربما كشف لنا الربيع العربيّ الحساسية المرهفة وعمق البصيرة في ثقافة الناس وقدرتها على التغيير، وهو أمرٌ نابعٌ من حاجتها الفطرية للحرية وضغط العصر الحديث عليها في سبيل التحرر وتداول السلطة سلمياً، وثقافة العصر الرقمي التي هدمت الكثير من الجدران والتابوهات في العالم كله. لكن ذلك لم يكن يعني أن النخبة كانت تغزل في الهواء فلطالما بشرت بالحرية والتغيير لكن مشكلتها، في عالمنا العربي، هو عجزها وعدم استعدادها للتضحية وخوفها، ولكنها عندما أنجز الناس كسر حاجز الخوف بادرت فوراً للتضامن مع الناس ومع مطالبهم. ولا بد ،هنا، أن نلفت الانتباه إلى أن النخب الدينية مارست في سلوكها الانتهازي والمتردد من ثورات الناس ما شهدناه وعرفناه ثم شهدنا سرقتها لهذه الثورات وصولاً إلى السلطة والمال.

كانت الديمقراطية ومازالت حلاً للحياة الاجتماعية والسياسية في العالم الحديث ولكن هذه الديمقراطية ستبدو عرجاء دون الليبرالية ولذلك لا بد من الديمقراطية الليبرالية لكي تصان حقوق المجتمع والفرد معاً، وقد سادت في مجتمعاتنا المطالبة القوية بالديمقراطية فقط والتي كانت مطلب الناس والنخبة، لكن المطالبة بالليبرالية ظلت ضعيفة لأن الناس تناسوها ولم تؤكد عليها النخبة كثيرا، ونرى أن حضور الليبرالية مع الديمقراطية أمرٌ في غاية الأهمية لأنه يصون الديمقراطية من الكسر والتعثر ولأنه يحقق حقوق الأفراد سواء كانوا من النخبة أو الناس.

* شاعر من العراق مقيم في هولندا

* تخطيط: ساي سرحان

ما بعد الصمت

نحو مثقف عربي جديد

هيثم الزبيدي

❏ لا بدّ للمثقف العربي من الاعتراف بأنه تعرض إلى هزيمة كبيرة خلال السنوات الماضية. كانت هزيمته منهجية بكل ما تعنيه الكلمة من دلالات.

المشاكل التي واجهها المثقف من الحكومات المتسلطة تبدو جروحا سطحية إزاء ما ناله من ضربات عميقة أمام الاجتياح الفكري الخطير الذي هز منطقتنا في المرحلة الراهنة. ما عاد من السهل إلصاق التهم بالحكومات التي بدا كثير منها حائرا بذاته حيال ما يجري.

عجز المثقف العربي عن تقديم التفسيرات الفكرية أو حتى القدرة على وصف ما يحدث في المشهد الدامي. تعثرت أدواته التي استخدمها لأكثر من خمسين عاما، منذ عهد الاستقلال. اكتشف أن هذه الأدوات، التي لم تكن من ابتكاره أصلا، كانت معدّة لمناقشة وتحليل ظواهر فكرية وسياسية غربية ليبرالية، أو شرقية ماركسية، ولكنها بالتأكيد لا تصلح لتفسير التشظي الديني والسياسي الذي صار واقع حال المنطقة.

في حيرة المثقف الذي نشأ على مسلمات فكرية يسارية أو يمينية، قومية أو وطنية، كانت ردود فعله ملتبسة. في الغالب صمت المثقف. انضوى بعيدا، ليس لتعففه أمام دموية المشهد وعنفه، ولكن لإدراكه مبكرا أنه من زمن آخر. تسللت قوى دينية على مدى 30 عاما إلى مفاصل الحياة العربية وأعادت صياغتها. بدا مثقفنا كمن يشاهد فيلما بالألوان مليئا بالصخب وهو الذي تعوّد على مشاهدة أفلام هادئة بالأسود والأبيض. هي أفلام زمن آخر.

يردّ بعض المثقفين بسرعة عند سؤالهم عن سبب عدم تواصلهم مع الآخرين باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي بأنهم مترفعون عن الخوض في هذه الأشياء التي يعاملونها وكأنها لعبة من ألعاب المراهقين. استأنسوا إلى الأدوات القديمة وأغفلوا أن العالم تغيّر وصار قياس نبض الناس وتقلبات مزاجهم شيئا مباشرا وبسيطا.

لجأ البعض الآخر إلى ركوب الموجة العاتية بتذاكٍ مضحك. قالوا إنه بالإمكان استغلال "هؤلاء السذج" من المتشددين لتحقيق غايات إسقاط الأنظمة، ثم العودة إلى الاستحواذ على المشهد من خلال إزاحتهم. بعضهم قرر الوقوف ضدّ أنظمة، كان يمكن أن تمنع كتبهم أو تسمح بها، وساندوا أنظمة دينية متشددة أخذت تتشكل، وأول ما هيأت نفسها لفعله هو إحراق كتبهم. هالهم، بعد وقت قليل، قدرة "هؤلاء السذج" على التمكين والتغلغل إلى كل المفاصل بشكل منهجي. ثمّ وقفوا مذهولين عندما بدأ موسم قطع الرؤوس.

غيّر البعض جلده. تحوّلوا من ليبراليين أو اشتراكيين أو قوميين، إلى مؤمنين بمشاريع الإسلام السياسي، وأخذوا يفسرون ما يحدث بوصفه "صحوة". حملوا المباخر خلف الشيخ والسيد وتحدثوا عن عصر جديد. ثم تخبطوا وصمتوا وهم يرون الصراع مع الأنظمة يتحوّل إلى صراعات طائفية، وأن مشاريع "الصحوة" الموعودة انقلبت إلى ميليشيات تقتل وتصادر ما تمّ بناؤه على مدى عقود وتعبر الحدود لتنسف الأوطان.

زاد انزواء فئات عديدة من المثقفين مع انضمام راكبي الموجات ومغيري جلودهم إلى من آثروا السلامة منذ البداية. في كل الأحوال استمرّ عجزهم عن التفسير.

مثلما فرضت السياسة واقع "عصر ما قبل الدولة"، فإنها أيضا فرضت واقع "عصر ما قبل الثقافة العربية الحديثة". المشهد السياسي، بل والاجتماعي، يبدو اليوم وكأنه تقهقر بنا إلى الصفر. بعض المتشائمين يقول إن المشهد عاد إلى ما تحت الصفر.

المشهد العربي اليوم هو مشهد حرب أهلية – كونية في آن.

التجربة الدامية والأليمة التي اعتصرت منطقتنا لا ينبغي أن تقود إلى موات فكري وثقافي. هؤلاء الذين يريدون مصادرة حياة الناس عليهم السعي إلى مواجهتهم بالفكر أولا. صار ضروريا أن يبدأ الهجوم المضاد.

ثمة حاجة تلبيها مؤسسات الإعلام المستنيرة بشكل يومي. تردّ هذه المؤسسات على الظواهر الكارثية في منطقتنا العربية. يقوم صحفيون شجعان بكشف الحقائق وتقديمها عبر وسائل الإعلام. ردّوا الهجمة في الكثير من بلدان «الربيع المشؤوم».

لكن مقاربات الإعلام تبقى آنية لأنها تتعامل مع المتغيّرات اليومية. هذه طبيعة الإعلام.

ثمّة حاجة كبيرة إلى المثقف «الجديد» المستنير. هو مثقف يصنع أدواته ويطوّرها بنفسه في محاولة تفسير نكبات المنطقة، ويجهد في استخدامها لبناء ثقافة وفكر جديدين. استعارة أدوات الآخرين صنعت غربة المثقف عن الناس، وما قادت إلا إلى ابتعاد المثقف «القديم» عن الواقع وابتعاد الناس عنه. أتى «السذج» وحلوا محله.

ثمّة حاجة جامحة إلى من يصنع الوعي الذي يمكن أن يعيد بناء ما خرّب، والمضي نحو زمن المستقبل. هذه هي مواصفات المثقف «الجديد».

ينبغي للمثقف أن يتذكر أن المواجهة لن تكون سهلة. فتفكيك المنطقة وإيصالها إلى الحال المزري الذي نعيشه استلزم عقودا، ونجح في اختراق كل البنى الاجتماعية والسياسية. معركة المثقف طويلة وقد تمتدّ إلى عشرات السنين وتحتاج إلى تراكم فكري وثقافي ومنابر متعددة لإنتاج معرفة متجدّدة ووعي جديد. لم يقل أحد إن معركة الوعي سهلة.

مجلة «الجديد» منبر مقترح للأفكار التي يمكن أن تسهم في صناعة هذا الوعي وصياغة أسسه. هي ساحة يجتمع فيها الأصدقاء لعلهم ينجحون في تقديم شيء مختلف. يحدوهم الأمل بالمستقبل. مستقبلهم ومستقبل أبنائهم. مستقبل المنطقة.

* كاتب من العراق مقيم في لندن

ينشر الملف بالتعاون مع مجلة «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية

هل سيحكمنا الرعاع!

النخبة لم تهبط على الناس بالمظلات

إبراهيم الجبين

في العام 1936، أنتج الفنان السوري الكبير سلامة الإغواني أغنية ترحّب بالوفد السوري العائد من باريس بعد توقيعه على معاهدة الاستقلال، كما سمّيت، والتي نقدها كثيرون، وهلل لها كثيرون، غير أنه لم يكن خافياً أنها توقيع النخبة السورية على قرار تقسيم سوريا إلى أربعة أقسام، لبنان، ولواء إسكندرونة (الذي توافق الفرنسيون مع الأتراك على ضرورة موافقة الوفد السوري على وضعه)، إضافة إلى فلسطين، واعتبار وعد بلفور أمراً نافذاً، أما القسم الرابع والأخير، فلم يكن سوى ما تبقى من سوريا، وهي التي سيعودون بها من باريس، وبتستسخب منها فرنسا خلال خمس وعشرين سنة، وستتحكم بالجيش وتقيم قواعد عسكرية، وتهيمن على الاتفاقات الأمنية مع الجوار والعالم الخارجي.

الفبركة الوطنية

أسطوانة سلامة الإغواني القديمة التي رأيتها كان قد كتب عليها: "أسطوانات سودا - مصنوعات سوريا - الفبركة الوطنية الوحيدة"، ولم يكن بلك بلا دلالة كما يبدو، الإغواني كان فنانا ساخرا، ولكنه في تلك المرة، كان يحيي بالفعل رجال الكتلة الوطنية وهم نخبة الشعب السورية، وقد لفتتني جملة من جمل الإغنية التي أداها الإغواني موجهة لهاشم الأتاسي: "هاشم بيك الله محبيك، الشعب كلو بين إيديك"، في الوقت الذي ننكر فيه اليوم، على الناس استخدامهم لعبارات من نوع "القائد الملهم" و"سيد الوطن" الخ. سواء كان الإغواني يسخر أو لم يكن يسخر، لا يهم، الغرض أن الشعوب التي خرجت من أربعمئة سنة من الحكم العثماني، تلتها مرحلة استعمارية قوية وطاغية، تلتها هياكل كرتونية، شكّلتها الكولنيالية ذاتها، لم ترفع صوتها يوماً بجواب السؤال القديم، سؤال المسألة الشرقية: "هل شعوب الشرق قادرة على حكم نفسها بنفسها؟"، حتى كان العام 2011، حين خرج الشارع يطلب الحكم، فبهتت النخبة، ووجدت نفسها تلاحق نداءات العامة وصرخاتهم.

تلك الفبركة الوطنية، التي أنتجت طبقة قادت الشعب إلى مصائره، بالموافقة على قرارات مصيرية اتخذت، أو تم التقاش حولها، وتحولت إلى حدود وحقوق وواجبات، لم تكن سوى ماكينة إنتاج النخبة، في الكيانات الاقتصادية والعسكرية والدينية والسياسية والثقافية، فوجد الناس أنفسهم أمام تلك النخبة، ورضخوا لها، وصدقوها، دون الحفر في تكوينها، ومن أين جاءت، وما هي الحصولة التي تبشر بها، وإلى أين تمضي؟ كل تلك الأسئلة غفرها الناس لما سمّيت نخبة، في سوريا ومصر والعراق ولبنان والأردن والمشرق بالعموم.

الفبركة الوطنية، إذا كانت بإرادة العقل العام نفسه، ولم تكن مفروضة قرضا، ولو شاء الناس، لانقلبوا على تلك النخبة وحاسبوها، غير أن عقلية الرعية التي تدرّب عليها العامّة، عبر القرون، رعية الخليفة والسلطان، استمرت بعد زوال الخليفة والسلطان، لتبقى الرعية تبحث عن راع.

وكان الأجدر بالنخبة الفكرية، التي ظهرت في ذلك الحين، التوقف بأمانة عند هذا التمرير الخطر، للعلاقة ما بين الشارع والنخبة، فهي الأكثر إدراكاً وتسلحاً بالمعارف والعلوم، وكان عليها أن تنير للناس خياراتهم بدلاً عن السكوت على ذلك التقصيب البائس الذي لم يستفد سوى إلى شرعية جهالة العامة، لا شرعية تفوّق النخبة.

من ينتج النخبة؟

هبطت النخبة على الناس بالمظلات؟ أم نبتت من بين ظهرانيهم كبقية ظواهر المجتمع؟ الواقع أن ما سمّيت بالنخبة العربية، كانت زرعاً أتى أكله في الأرض التي نبت فيها، وهي من صميم المجتمع، أشغل شخوصها على ذواتهم، وطوروا أسباب وجودهم، إقطاع مستثمر، أو طبقة مثقفة جاءت من الجامعات الغربية والإرساليات التي انتشرت في الشرق، أو عادت من البعثات في أوروبا والعالم الحديث، جالبة معها فكراً منجزاً، أنتجته مجتمعات أخرى، وحاولت من خلال التفاهمات السياسية تطبيقها على مجتمعات الشرق، ولعلّ المسافة الفاصلة بين علم الاجتماع السياسي وبقية العلوم، كفيلة بتمييز حساسية نقل الأفكار والمشاريع التحديثية، فأنت يمكنك نقل علوم الطب والصيدلة والصناعة والزراعة، ولكنك لا تستطيع استعارة علم الاجتماع السياسي في سيدني على سبيل المثال كما هو لتضعه كبرنامج قابل للتشغيل في صحراء مالي أو بادية الشام أو أهوار العراق.

ولكن هذا حصل، وانتشرت بضاعة النخبة العربية، ليس بين الناس، ولكن بين صناع القرار، في الوقت الذي واجهها، ظهور نداء خطير بثه بعض رجال الدين، تحسراً وتألماً على سقوط الخلافة الإسلامية بانهيار الإمبراطورية العثمانية، فكانت بداءات الإسلام السياسي، بالتوازي مع فتح فروع للجمعيات والأحزاب الغربية والشرقية العالمية في بلاد العرب.

الفروع بقيت فروعاً، والإسلام السياسي تابع حسراته، لتتحول إلى سلالة من المتمردين على التحديث، وجر الزمان إلى الوراء باسم استعادة الخلافة، وغطت هذا طبقات من الأفكار والتزيينات، لكن المشروع بقي كما هو، تثبيت التاريخ عند لحظة إلغاء منصب الخليفة، فنشا نزّاع على التحديث والأصالة، الجديد والقديم، النور والظلام، بالنخبة العربية، كانت زرعاً أتى أكله في الأرض التي نبت فيها، وهي من صميم المجتمع، أشغل شخوصها على ذواتهم، وطوروا أسباب وجودهم، إقطاع مستثمر، أو طبقة مثقفة جاءت من الجامعات الغربية والإرساليات التي انتشرت في الشرق، أو عادت من البعثات في أوروبا والعالم الحديث، جالبة معها فكراً منجزاً، أنتجته مجتمعات أخرى، وحاولت من خلال التفاهمات السياسية تطبيقها على مجتمعات الشرق، ولعلّ المسافة الفاصلة بين علم الاجتماع السياسي وبقية العلوم، كفيلة بتمييز حساسية نقل الأفكار والمشاريع التحديثية، فأنت يمكنك نقل علوم الطب والصيدلة والصناعة والزراعة، ولكنك لا تستطيع استعارة علم الاجتماع السياسي في سيدني على سبيل المثال كما هو لتضعه كبرنامج قابل للتشغيل في صحراء مالي أو بادية الشام أو أهوار العراق.

ولكن هذا حصل، وانتشرت بضاعة النخبة العربية، ليس بين الناس، ولكن بين صناع القرار، في الوقت الذي واجهها، ظهور نداء خطير بثه بعض رجال الدين، تحسراً وتألماً على سقوط الخلافة الإسلامية بانهيار الإمبراطورية العثمانية، فكانت بداءات الإسلام السياسي، بالتوازي مع فتح فروع للجمعيات والأحزاب الغربية والشرقية العالمية في بلاد العرب.

الفروع بقيت فروعاً، والإسلام السياسي تابع حسراته، لتتحول إلى سلالة من المتمردين على التحديث، وجر الزمان إلى الوراء باسم استعادة الخلافة، وغطت هذا المشروع بقي كما هو، تثبيت التاريخ عند لحظة إلغاء منصب الخليفة، فنشا نزّاع على التحديث والأصالة، الجديد والقديم، النور والظلام،

> عقلية الرعية التي تدرب عليها العامة، عبر القرون، رعية الخليفة والسلطان، استمرت بعد زوال الخليفة والسلطان، لتبقى الرعية تبحث عن راع

بالنخبة العربية، كانت زرعاً أتى أكله في الأرض التي نبت فيها، وهي من صميم المجتمع، أشغل شخوصها على ذواتهم، وطوروا أسباب وجودهم، إقطاع مستثمر، أو طبقة مثقفة جاءت من الجامعات الغربية والإرساليات التي انتشرت في الشرق، أو عادت من البعثات في أوروبا والعالم الحديث، جالبة معها فكراً منجزاً، أنتجته مجتمعات أخرى، وحاولت من خلال التفاهمات السياسية تطبيقها على مجتمعات الشرق، ولعلّ المسافة الفاصلة بين علم الاجتماع السياسي وبقية العلوم، كفيلة بتمييز حساسية نقل الأفكار والمشاريع التحديثية، فأنت يمكنك نقل علوم الطب والصيدلة والصناعة والزراعة، ولكنك لا تستطيع استعارة علم الاجتماعية السياسي في سيدني على سبيل المثال كما هو لتضعه كبرنامج قابل للتشغيل في صحراء مالي أو بادية الشام أو أهوار العراق.

ولكن هذا حصل، وانتشرت بضاعة النخبة العربية، ليس بين الناس، ولكن بين صناع القرار، في الوقت الذي واجهها، ظهور نداء خطير بثه بعض رجال الدين، تحسراً وتألماً على سقوط الخلافة الإسلامية بانهيار الإمبراطورية العثمانية، فكانت بداءات الإسلام السياسي، بالتوازي مع فتح فروع للجمعيات والأحزاب الغربية والشرقية العالمية في بلاد العرب.

الفروع بقيت فروعاً، والإسلام السياسي تابع حسراته، لتتحول إلى سلالة من المتمردين على التحديث، وجر الزمان إلى الوراء باسم استعادة الخلافة، وغطت هذا المشروع بقي كما هو، تثبيت التاريخ عند لحظة إلغاء منصب الخليفة، فنشا نزّاع على التحديث والأصالة، الجديد والقديم، النور والظلام،

> النخبة ترى من خلال الجدار الزجاجي، شارعا غارقا في الجهل والظواهر المرضية المتأصلة، وتفقد بدورها الأمل من كون قد يكون حاضناً لأفكارها ومشاريعها

* تخطيط: ساي سرحان

بالتقدم والتأخر، المستقبل والسلفية، وكان لكل من المتصارعين أسبابه التي آمن بها. الغالب الأكبر كان الشارع، وقد كان لمستواه التعليمي والثقافي دور كبير في غيابه، فنحن أمام ملايين العرب، بعضهم سكان مدن، وغالبيتهم الساحقة من سكان الأرياف والبوادي والصحارى، فمن أي ثقافة نتحدث؟ كان أهل المدن يتلقون علومهم في الكتاتيب، ومعظمهم يكتفي بدروسه الأولى والختمة القرآنية، لينطلق إلى سوق العمل والتجارة والبيع والشراء، فتبقى سويته الفكرية، عند ما قاله له، ذات يوم، الملا أو الخوجا الذي لقنه الذكر الحكيم، وما تبقى من معارفه هو علوم الحياة والكسب والعيش والعادات والتقاليد الاجتماعية، أما الأرياف فقد سبحت في الاتباع والطواعية لكل قوي، وامتث بالولاء لمن يعطيها ويهيمن عليها، وشكلت سواد الناس في ما بعد في مرحلة التوطين وإنشاء القرى والمدن.

وما الذي يمكن أن تنتج مجتمعات كهذه، أكثر من الفنون الشعبية والمهارات الفردية، لدى شاعر أو مسرحي أو روائي أو رسام، وكلها حالات طريدة شريدة، بقيت خارج التاثير، بفعل تضافر القوى المستفيدة من فرض استمرار الحال على ما هي عليه.

الجدار الزجاجي

تكوّن عبر الوقت، جدارٌ زجاجي يفصل النخبة عن الشارع، تراه ويراها، ويراقب كلٌ منهما الآخر، بينما يمكّن الحكم الذي نشأ على يد النخبة ذاتها في عواصم المشرق، وتحوّل إلى استبداد وحشي بالتحالف مع الكولنيالية المنسحبة شكلاً والباقية من خلال وكلائها، تركت النخبة تنتج النخبة، بينما كان الشارع ينتج ذاته كل مرة، وحرم الاستبداد الطبقة الوسطى من تطوير ذاتها، واحتلالها، الجار الأميركي الذي حلّ بالقوة في بلد من أكثر بلدان المشرق تأثيراً، ثورة الإعلام والتكنولوجيا، انفتاح السوق، الثقيل الذي ظهر نتائجه في كل خطوة يقوم بها المجتمع أو مؤسسات الدولة أو حراك النخبة، ولكن تواطؤ رجال الدين مع النخبة الفكرية والسياسية وكذلك الشارع، قطع سيرورة التطوّر التي كانت ستختصر الكثير، ومنه، اعتبار نظام الحكم في عهد النبي موضوع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجبًا للحيرة، اعتبار مهمة النبي كانت بلاغًا للشريعة مجردة عن الحكم والتنفيذ، إنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وأنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمورها في الدين والدنيا، إنكار أن القضاء وظيفة شرعية، واعتبار حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية، وكان هذه التفكيك أخطر ما يمكن أن يقدّم لسلطة الجميع على الجميع، لكن هذا كان ماضياً، ظهرت عواقب تجاهله في السنوات الأربع الماضيات، في صراع الجميع أيضا على الجميع.

قيادة رأي أم صراع على السلطة؟

وبمرور السنوات الأخيرة على انتفاضة الشارع على النخبة، سواء كانت حاكمة أو معارضة للحكم، اتضح أن مشروع النخب العربية لم يكن سوى مشروع للاستيلاء على السلطة، وبزوال الأنظمة المستبدة، في منعطف تاريخي، ظهرت النخب خاوية الوفاض، ليس لديها ما تقدمه سوى أحاديث المقاهي والصراع في ما بينها، أو مواصلة استرضاء القويّ كما في الماضي مع الاستبداد، ولكن القويّ هذه المرة هو الدول التي دعّمت الثورات، فتراجعت من جديد إلى زاويتها الخافتة، لتلوذ بالأقوياء، عامدة متعمدة تجاهل ما تستمد منه شرعية وجودها وحراكها، الشارع ذاته، متفكرة في السؤال: هل يقودنا الرعاع في شوارع القاهرة أو حلب أو شارع العصافير في تونس أو أزقة صنعاء؟ هل هذا هو المستقبل؟

الواقع أنه لا يمكن للشارع أن يقود نفسه، فهو بحاجة مستمرة لمن يضخّ في عروقه المشاريع من فوق، التي تدرس تحت، وتستخلص منه ما يلائمه، وفوق، لا يوجد أحد، يوجد متنازعون على الوجود بلا مظلات فكرية، وبلا رؤى عريضة تتسع لكل الناس، بإمكانها جذب الناس، لقيادة الناس، وليس لاستثمارهم من أجل الحكم.

لتزداد حيرة الشارع والنخبة معاً، أيحكمنا الرعاع؟ تقول النخبة، أيحكمنا هؤلاء المتهتكون أو المتطرفون أو المستبدون أو الفاسدون؟ يقول الشارع، لكنه صراعٌ بدأ، ولن يتوقف، حتى ينتج كلٌ من المتطاحنين مشروعه، بالحتمية العلمية وليس اقل.

النخب المثقفة وتضييع فرصة «الربيع العربي»

المشروع النهضوي العربي القادم مرهون بأحزاب ينشئها الشباب

خطار أبودياب

في العقد الأول من هذه الألفية كان الشرق الأوسط خاضعاً بشكل أو بآخر لتجاذبات دولية وإقليمية هشمت العالم العربي. بيد أن انطلاق حركات الاحتجاج مع بدايات العقد الثاني كان يفترض أن يغير المعادلة. وهذا الغليان العربي لم يحصل حصريا بسبب انعدام الكرامة والحرية وفشل دول الاستقلال، بل إن "الانتفاضات" ضد "أنظمة الاستقرار بالقوة " كانت أيضاً بمثابة رد على الضعف البنيوي العربي وعلى تغييب الموقع العربي ضمن المعادلات الإقليمية والدولية وتهميشه.

على الصعيد العربي، لم تتطابق حتى الآن حسابات الحقل مع حسابات البيدر عند شباب انتفاضات "الربيع العربي" وعدا الحالة التونسية المتفاعلة حتى الآن، تبدو العودة إلى الأوضاع الكلاسيكية عن مصر إلى اليمن وكأنها أمر لا مفر منه على ضوء انتكاسات المراحل الانتقالية المتعثرة.

أين هي مسؤولية النخب وعدم قدرتها على لعب دورها في صناعة تاريخ متسارع في مصر أمكن إقصاء تيار "الإخوان المسلمين" من يقف وراءهم من المتشدّدين بتحالف بين الجيش غير المنخرط في أي حرب أهلية وبين المصريين العاديين ونخبة مدنية علمانية ليبرالية موجودة في الحياة السياسية بعدما استطاع هذا التحالف أن يستحصل على تفويض شعبي ضخم. لكن كيف يمكن تفسير التحولات السريعة وتغيير ميزان القوى؟ إن التجربة التي 25 يناير 2011 حتّى اليوم مروراً بالتفويض الشعبي للقوات المسلحة في 30 يونيو 2013 والإعلان عن خارطة الطريق في 3 يوليو من نفس العام، تمثل تجربة تعبر عن صعوبة الخروج من معادلة الدائرة المغلقة ما بين الأنظمة القوية المستندة إلى المؤسسات العسكرية والأمنية من جهة والتيار الإسلامي من جهة أخرى.. ربما لن تقتصر نتائج هذه التجربة على مصر لأنها تصنف كحركة تغيير وطنية ساهمت في تطوير نظام سياسي بل يمكن أن تنعكس آثارها على منطقة الشرق الأوسط على المستويات كافة، وربما ستكون التجربة المصرية معياراً لإعادة تركيب النظام الإقليمي العربي الذي تهاوى ما بعد حرب العراق عام 2003، بعدما سبق له تلقي الضربة في الصميم عند خروج مصر من جامعة الدول العربية إثر توقيع اتفاقية السلام مع اسرائيل.

ساد الاعتقاد طويلاً أن العرب ظاهرة صوتية نتيجة تفكك نظامهم الإقليمي والضعف البنيوي المتراكم والتأخر في السباق التكنولوجي والعلمي. وكان المشهد السياسي التغيير وكان الديمقراطية التي مرت بكل أصقاع الأرض بعد نهاية الحرب الباردة ممنوعة من الصرف في ديار العرب، مع الإدراك بأن الديمقراطية ليست هي الترياق للمشاكل البنيوية ولمعضلة إيجاد صيغة الحداثة الملائمة، لكن التساؤل كان ملحّا عن أسباب عدم لحاق العالم العربي بالركب، فبالرغم من المناخذ على تصدير الديمقراطية عبر مشاريع القوة العظمى (مثل مشروع الشرق الأوسط الكبير بعد حرب العراق عام 2003) أو عبر أشكال جديدة من الاستتباع الثقافي والاقتصادي، استمر المازق السياسي والأيديولوجي الذي كان يمنع الشعوب والأفراد من التمتع بحقوقهم وعيش مواطنتهم والاشتراك في صنع مستقبلهم.

بيد أن آلية التفسير الأقرب للواقع عن سبب استمرارية الأنظمة وتعميرها ضمن مجتمعات منهكة ومنظومة جيوسياسية مضطربة، تستند إلى علم الاجتماع العمراني وإلى الواقعية السياسية الماكيافيلية. في الكثير من الحالات اعتمدت المجموعة الحاكمة على روابط العصبية (حسب مفهوم ابن خلدون) في تعزيز وحدتها، وأخذت تهيمن على القطاعات القوية في المجتمع عبر ارتباطها بسلسلة من المصالح، على أن يخضع كل ذلك لإشراف أجهزة أمنية تمسك بالكثير من مفاصل القرار. ولا يستند الولاء لاعتبارات الانتماء والعصبية فحسب، بل يشترك أيضاً من خلال النفعية الشائعة، وتكتمل الدائرة في التفتيش عن شرعية قومية أو دينية مصطنعة للحكم.

إن الدولة العربية ما بعد الاستقلال هي في الغالب ثمرة نكبة 1948 في المشرق وصعوبات نزع الاستعمار في المغرب، وعدا حالات محدودة لم يكن من مكان لدولة القانون (أو لدولة الحق) من التي تعكس تمثيلاً حقيقياً لمجتمعاتها وتكون الأولوية فيها لمفهوم المواطنة (على حساب الرابط الديني أو الفئوي).

على صعيد التسلسل التاريخي فشلت أول محاولة نهضوية عربية في أواخر القرن التاسع عشر والتي أتت كردة فعل على الاستبداد العثماني، وأخفقت بعد ذلك دول الاستقلال إثر انتكاسات التيار القومي العربي الذي بلور مشروعاً نهضويا كردّ على النكبة في فلسطين، لكنه كان يفتقد إلى الديمقراطية والتمثيلية كادوات صالحة للحكم. وهكذا فإن نكسة حزيران - يونيو 1967 معطوفة على انهدام الحريات الأساسية قوضت المحاولة الثانية. وتأكد مازق عدم وجود ديناميكيات قادرة على التغيير نتيجة عدم بلورة مشروع ديمقراطي عربي ينهل من التراث العريق ويتأقلم مع متطلبات العولمة في عالم تسوده التجمعات الكبرى، خاصة أن الحلول للأزمات ضمن إطار الكيانات لم تكن ناجحة.

وأتت تقارير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002 تحت عنوان: "خلق الفرص للأجيال القادمة"، وللعام 2003 كان التقرير بتمحور حول "نحو إقامة مجتمع المعرفة"، وللعام 2004 تحت مسمى "نحو الحرية في الوطن العربي"، لكي تدق نواقيس الإنذار حول الوضع العربي المتخلف إن من ناحية ضعف الإنتاج القومي الصافي (إنتاج النفط لم يجعل المنطقة غنية وفي عام 2002، كان دخل أسبانيا لوحدها يعادل كل مداخيل الدول العربية)، أو من ناحية آثار غياب الحريات السياسية أو لناحية عدم تمكين المرأة من لعب دورها السياسي والاقتصادي إلى ما هنالك من عناصر ضعف الاندماج الاقتصادي والإبداع الفردي. وقبل عامين من حركات "الربيع العربي" لاحظ عالم الاجتماع الفرنسي إيمانويل تود أن "الطبقة الوسطى الصاعدة المدعومة بالنجاح الثقافي وأثر العولمة على الاتصالات، في كل من مصر وتونس وسوريا، ستكون يوما قاطرة التغيير".

وفق إحصاءات 2010، كان الشباب يشكل أكثر من ثلثي عدد السكان في العالم العربي، فيما يبلغ المعدل الوسطي للحكام 60 سنة. وهؤلاء الشباب الغائبون عن مراكز القرار وسوق العمل كانوا يبحثون عن حلم ومثالات وهوية، بعضهم ماخوذ باهمية العودة إلى الدين وبعضهم يتاثر بكل ما هو غربي.

ومنذ انهيار بقية مقومات النظام الإقليمي العربي بعد السيطرة على العراق، أصبح العالم العربي أكثر من أي وقت مضى في عين العاصفة ومسرحا لفصل جديد من لعبة الأمم، لكن التذرع بالقضية القومية والضغط الدولي لم يكن ليبرر أبدا عدم سلوك درب الإصلاح والتغيير. وجاءت الأزمة المالية العالمية في سبتمبر 2008، لتزيد من حدة تفاقم الأوضاع الاجتماعية في دول مضروبة بالفساد ونهب المال العام وارتفاع معدلات البطالة.

إزاء هذا الوضع بدا الحراك في سيدي بوزيد مع مشهد اختطفت فيه القداسة البطولية مع الفقر المدقع عند تضحية البوعزيزي بنفسه ليصبح المشعل لشباب أمّة مسحوقة ومهمشة على الصعيد الدولي. وهكذا سقط جدار الخوف في تونس أبي القاسم الشابي، ومن ثمة تصدّع السد السلطوي في مصر نجيب محفوظ.

كما في مجمل المسارات الثورية لا نعلم متى يبدأ الحراك الثوري ولا متى ينتهي، لكن غالبا ما يكرر التاريخ نفسه وما قيل قبل أكثر من قرنين من الزمن عن الثورة التي "تاكل ابناءها" ينطبق على عدة أوضاع عربية.

يبدو أن الحلم الكبير الذي كان يراود صناع اللحظة الثورية في مصر تبدد نسبياً. لقد انبهر العالم بالطابع السلمي المميز وبقدرات الجماهير على صناعة التغيير في ميدان التحرير عبر ضغط الكتل البشرية الذي كان ينظر إليه علماء الاجتماع السياسي – من أبرزهم غوستاف لوبون- بحذر.

وأصبح مثالا يحتذى لانتفاضات الكرامة (أو حركات الناقمين (Les indignés) من مدريد إلى وول ستريت. كان كل شيء يؤشر إلى أن شوب لهيب الحرية ونهوض شباب مصر، سينتج عنه بناء مشروع حداثي يتاقلم مع أحوال مصر والعالم العربي لأن العيش الكريم والتحول الديمقراطي واحترام الفرد والحرية، تندرج ضمن منظومة القيم التي تتجاوز الحضارات والثقافات والحدود، وكانت هناك قناعة بان ذلك سيعيد "ام الدنيا" إلى دورها المركزي في محيطها ويحقق آمال المنتفضين.

لكن الطبقة السياسية لم تكن على مستوى طموحات المصريين بل كرست انقساما ومجابهات مثلت أفضل الوصفات لضرب المراحل الانتقالية ومنع قيام الدولة البديلة. بعد البدايات المبشرة للحراك الثوري في مصر عملت عدة قوى لاستيعابه او تحوير مساره. لقد رأى البعض في تصرف الإسلاميين مسعى مباشرا لمصادرة الثورات او تحريف مسارها. بيد أن المبالغة في التجاذب بين التيارين الإسلامي والمدني كانت أفضل وصفة لضرب المرحلة الانتقالية. من الناحية المثالية، من الأفضل أن يكون هناك مواثيق شرف وعهود تحدد الثوابت من أجل عدم الوقوع في شرك الاستبداد بوجوه جديدة. وهذا يتطلب المزيد من الحوار والواقعية في فهم طبيعة المجتمعات والتدرج في إتقان التمرين الديمقراطي. وهو المشاكل التي اعترت المراحل الانتقالية إلا الدليل على الفراغ الموجود، وهي تقدم دليلا على أن غياب الأحزاب خلال عهود الاستبداد، زاد من الشلل الفكري وغياب الرؤى.

كشف عبدالرحمن بن خلدون، ابن أفريقية (كما كانت تسمى تونس)، عن العلة المؤبدة لخراب العمران الانتقالية في "الصحوة العربية " الراهنة والمتعثرة عندما وصف في "مقدمته" الاستبداد بـ"العسف الذي يؤدي إلى خراب النفوس وفساد النوع ، هذا الاستبداد الذي عاد الكواكبي ابن حلب وتمعن في تفصيل طبائعه ومآلاته، إنه لا يقتصر على طغيان الحاكم وجوره، بل يمتد لعدم الاعتراف بالآخر وإنكار حقوقه وتعميم ثقافة الإقصاء باسم الأيديولوجيا أو تحت ستار الدين.

في مرافقة لأحوال دنيا العرب يمكننا إجراء مقارنة بين لبنان(وسوريا استطرادا) وتونس (ومصر استطرادا) حيث تتعدد نقاط التشابه الثقافي والتفاعل الفكري وإشكاليات الهوية والحداثة. وإذا أردنا فهم أسباب الانشطار السياسي الحاد وتفاقم العنف السياسي، لا بد من العودة للخلفية الثقافية للمجتمعات العربية. وفي هذا الإطار كان ابن خلدون قد تبنى نظرة موسوعية للتاريخ العربي تفيدنا اليوم في فهم أسباب التخلف وعدم القدرة على اللحاق بالعصر. وحسب الأنثروبولوجي الأميركي الراحل إيريك وولف: "حلل ابن خلدون في القرن الرابع عشر عملية بناء التحالفات وتفككها ببراعة فائقة، فلقد رأى الأمر في شكل تناوب متصل بين تضامن القرابة "العصبية القبلية" من جهة، وتنوع المصالح الملازم لحياة الاستقرار من الجهة المقابلة". وذهب ابن خلدون بعيدا في منهج يتخطى الاعتبارات القبلية والعرقية والدينية ويعتمد على الفروع الفاعلة المؤثرة المساهمة في صوغ النهر العام.

بيد أن التبني السلبي لنظرية العصبية جعلها معبرا للاستبداد والتحكم بدل أن تكون عنصر قوة للدولة والجماعة. ويسري ذلك على إعطاء الغلبة للحسابات الفئوية والقبلية والمناطقية والأيديولوجية والدينية في مراحل تحول تفترض التفتيش عن القواسم المشتركة في مراحل البناء الانتقالي.

إذا بقينا في المجال الفكري وطرحنا أسئلة ملحّة حول صلة الشورى بالديمقراطية ضمن المسار القاضي بضرورة تحديث نظام الحكم، ودور الدين والتراث في عالم متحول، نستنتج بسرعة أن مرحلة الحكم القوي حولت عالم العرب لصحراء فكرية. وتكمن الخطورة في التركيز على مؤامرات دون التحلي بالشجاعة لممارسة النقد الذاتي وتحمل المسؤولية في المخاض الانتقالي الذي لن يكون دربا مفروشة بالورود بل مرحلة يزدحم فيها اللااستقرار مع الجدل الفكري والمتاعب الاجتماعية.

انطلاقا من النجاح التونسي المعقول وبداية الاستقرار المصري، الفرصة ليست ضائعة كليا والمهم اليوم إنتاج احزاب جديدة يتمثل فيها الشباب ومشروع عربي جديد يحيي الحلم العربي في النهضة المؤجلة مرارا.

* كاتب من لبنان
* المركز الدولي لدراسات الجيوبوليتيك - باريس

* تخطيط: ساي سرحان

ضياع النخبة

نخبة الضياع والرجعة والهلاك

يحيى العريضي

❏ تغص المراجع بتعريفات للمثقف وشروحات عن مؤهلاته ومهامه وميزاته، وضرورة وجوده في الحياة، لتكون عفيّة سليمة إنسانيا. والحياة- كما يُقال- برموزها، وبنخبها، وبالمتنورين فيها؛ لأنهم يشكلون نبراس الهداية فيها

قد تجد ملايين يكتبون رسائل جميلة؛ ولكن هناك جبران خليل جبران واحد. وقد تجد ملايين الخيرين والطيبين، ولكن هناك مهاتما غاندي واحد. عبدالرحمن كواكبي واحد، وفولتير واحد

إن كانت الثورة الفرنسية قد تعطّرت بعبق الفلسفة واستندت إلى إرث ثقافي راسخ، فولّدت قيما لا تزال نبراسا لعالمنا؛ وإن كانت الثورة البلشفية قد تشربت بالماركسية ومكسيم غوركي؛ فهل لا بد من توفر تلك الشروط ليحدث التغيير الثوري عبر الأزمنة

صحيح ان الظواهر النخبوية كالذهب العتيق تحتاجه وقت المحن؛ ولكن ماذا تفعل عندما تجد من سعى لسحق كل صوت مناوئ وإخفائه أو حالة قابلة لأن تكون مرجعية توفّر الوقود الفكري والذهني اللازم لأي تغيير أو ثورة؟ إذا كانت البوذية نبع إلهام لغاندي جعلته يتحوّل إلى نبراس هداية هزمت الإمبراطورية الأقوى في العالم حينها، لماذا لم يتوفر ذلك الغاندي في بلدان "الربيع العربي" ليطرد على الأقل الطغاة المحليين؟

هنا يظهر السؤال الأصعب: هل المثقف أو النخبوي هو ذاك الذي يبدع جملة فقهية معمقة بمفردات منتقاة منشاة تستند إلى فلسفات ونظريات تربط الظواهر عبر منهجية علمية تخرج بخلاصات وتوصيات تتحول إلى قوانين ونواظم تحدد وتوجه التفكير والسلوك البشري في سمت معيّن؟ أم نحن أمام انكشاف وانفلاش حياتي يشهد تدفقاً للأحداث كل دقيقة فيها تحمل فلما سينمائياً مرشح لـ"الأوسكار" ورواية "تولوستوية" وقصيدة "هومرية" أو "جواهرية"؟

يرى كثيرون أنه حتى لو أوجدْت لأهل زمننا العربي هذا أمثال الكندي والجاحظ وابن الهيثم وابن رشد والفارابي وابن سينا، فلن تراهم يلتفتون إليهم كثيرا. وقد تصل الأمور بالبعض أن يفعل بهؤلاء ما فُعل بهم في عصرهم.. قد تجد من يكفّرهم.

ألسنا في عصر يستطيع فيه من لازال يخطئ بقواعد وإملاء لغته أن يدلو بدلوه (وبفخار، وفجور أحيانا) بكل ما يمكن أن يأخذ المثقف أو النخبوي ساعات لخط سطر فيه؟ ألسنا أيضاً أمام وضع تحتله حقائق الكل شاهد عيان عليها.. حقائق تفقأ العيون؛ لا تحتاج إلى راصد مميّز نخبوي راسخ في الثقافة والعلم ليتحفنا بما يُبدع؟ ألسنا أمام سحر الاسم المطبوع إلكترونياً؟ فالكل أصبح يرى اسمه مطبوعاً، وأحيانا مذيلاً بقرصنة من طه حسين أو الكواكبي أو زكريا تامر، لتضيع الفواصل والوهدان والوديان بين ملك العبارة المنفلوطية والجملة الشوارعية في سباق محموم لضخ إعلامي لا يسمح بالتقاط الأنفاس النخبوية والثقافية والتأمل الفكري.

في الحالة العبثية هذه، لا نمو للثقافة ولا للنخبوية. إننا في عصر النخبوية "الماكدونالدية" التي تلتهم دقائق الحياة ولحظاتها الإبداعية كالتهام "الهامبرغر". إنه الزمن الذي لا يرى مثقفاً فوق "غوغل" أو"الآي فون". وغير موجود ذاك الذي يمكن أن يؤثر أكثر من "الفيسبوك" أو "تويتر".

هناك آلاف الكتب الأشد خطراً بآلاف المرات على الإسلام ونبيّه من رسم كاريكاتوري فاشل لفنان بائس في مطبوعة منسية. إلا أن وسائط التواصل الاجتماعي جعلت الأخير يهز الكرة الأرضية سبع عشرة مرة.

لقد تغيّر الزمن؛ إنه الزمن الأميركي حيث التناغم بين "الفاست فود" و"الفاست ثقافة"؛ الزمن الذي يدفع مثقفاً نخبوياً عبقرياً كـ"تشومسكي" جانبا، ويجعل من "أوباما أو كيري أو لافروف أو بوتين" يحددون بـ"عبقريتهم" عدوّ العالم. كل ذلك رغم أنك قد تجد ألف "كيري أو أوباما أو بوتين" كل يوم؛ ولكن تشومسكي ممكن أن يظهر مرة في كل قرن.

في الحالة السورية، بعد حكم عثماني دام أربعة قرون، وانتداب فرنسي لربع قرن، شهدت سوريا "المستقلة" ومضات بسيطة من الاستقرار الوطني؛ لتعيش بعده فترة عقد من الزمن في قلق شديد، حيث كانت تنام على انقلاب لتصحو على آخر.

كان لا بد من أن يهدأ غلیانها، ولكن ليس كدولة تنمو وتنتعش وتنهض وتسود فيها الحرية والمدنية والعدالة، بل لتُحكم بالحديد والنار من قبل سلطة تبطّحت على صدرها لأربعة عقود من الاستعباد المطلق والألوهية لرأس الدولة الذي اختصر سوريا باسمه، واسمه بالدولة.

أضحت أيّ منارة أو شعلة نخبوية أو ثقافية أو تعليمية أو عمرانية أو صحية أو فنية برعاية "الحركة التصحيحية المجيدة" وقائدها الملهم. فأيّ منجز إن لم يكن أسدياً مصيره العزل والنفي والإقصاء: الولادة برعاية الحركة التصحيحية، وديوان الشعر يُهدى للأب القائد، وجائزة التفوق لراعي العلم والعلماء، والرواية تهدى للقائد الملهم، والبحث العلمي من عطاءات صاحب نظرية التطوير والتحديث، والتحفة المعمارية يوحي بها الفكر المتوقد لقائد الأمة الذي يجب أن يقود العالم (برأي عضو مجلس شعب سوري).

على المرء في حال كهذه أن يترحّم على العلم والعلماء والثقافة والمثقفين والنخبة والنخبويين.

كهف الاستبداد

أضف إلى ذلك أن هناك مفارقة عجيبة حدثت في سوريا خلال عقود حكم الأسد؛ جذّرها استدراك النظام لتركيبة سوريا الإثنية؛ حيث تُشكّل الغالبية المسلمة ثلاثة أرباع السكان، وتميل بحكم وجودها ومنشئها للتدين.

فما كان من النظام إلا أن لعب على هذا الوتر الحساس بكثير من الخبث والدهاء. شهدت سوريا إشادة أكبر عدد من المساجد من أيّ دولة إسلامية؛ وانتشرت عملية تحفيظ القرآن الكريم بشكل منقطع النظير. ولكن من قام على تلك الجوامع كان من صناعة المخابرات الأسدية؛ وعمليات التحفيظ كانت بصمية دون شروحات أو تفسير أو بثّ لروح الإسلام المتسامح الرحب الإنساني. يكفي أن تفكر بـ"رجل دين" كـ"حسون" ليعرف المرء ما فعله النظام.

مع غياب العدو الشيوعي السوفيتي للعالم، ومع بحوث "هنتنغتون" و"لويس ، ومع اختيار الإسلام كعدوّ جديد للعالم الغربي؛ ركب النظام الموجة، وبدأ بتصديره حالات الإرهاب؛ وكانت البداية من العراق؛ ثم أطلقه على السوريين، وهدد به العالم؛ ونفّذ.

في ظل وضع كهذا، كيف يمكن للمرء أن يستمر بالحديث عن نخب فشلت؛ كيف لن تفشل أيّ قوة نخبوية أم غير ذلك في ظل يد حديدية نارية خبيثة كهذه؟ كيف يمكن أن تنشأ في ظل سقف وطن ارتفاعه معدة الإنسان؟ أوليس حتى بروز ظاهرة كـ"محمد الماغوط" أو "زكريا تامر" غريبة.

الواقع والفكر

في سوريا، عندما خرجت الأصوات المنادية بالحرية ونبذ الاستبداد والفساد، توقّع كثيرون انتفاضة نخبوية موازية وقائدة لهذه الصرخة. للأسف لم يحدث ذلك، والعذر واضح فيما سبق. يضاف إلى ذلك تغيّر الأزمان والأدوات والوسائل والملهمين والنخبة أيضاً.

لقد كانت بطلة الساحة وسائل التواصل الاجتماعي وما حملت. وكانت مرجعيات الثورة السورية ورعايتها اللاحقة حالة سليقية لا علاقة لها بالكتب أو المسرحيات أو الشروحات أو التنظيرات. لقد كان

> في ظل وضع كهذا، كيف يمكن للمرء أن يستمر بالحديث عن نخب فشلت؛ كيف لن تفشل أي قوة نخبوية أم غير ذلك في ظل يد حديدية نارية خبيثة كهذه

صبر أهل الثورة واستيعابهم، بأنّ من ثاروا عليه- وقد سخّر فكر الكثيرين من المستأجرين ليبطش بهم ويقصفهم بالسلاح الكيميائي ويساوم محتل الأرض على البقاء- أقوى من أيّ نخبة أو فكر.

وهنا بالذات تحوّل صبرهم إلى المرجعيات الثقافية والمنارات الفكرية التي تعلّم العالم دروساً في هزيمة الدكتاتورية والظلم.

أما بخصوص تغيّر الأدوات، فإن كانت معادلة النخبة والمثقفين تُقاس بعدد الذين يتبعون فكرهم ورؤاهم وتنظيراتهم، فالنتيجة ستكون حتماً لصالح أبطال وسائل التواصل الحديثة. إن كان عدد من اطّلع على الكواكبي يصل إلى مئة مليون إنسان، فإن من يتبعونه لا يزيد على المليون. بمقياس زمننا سيكون فيصل القاسم، الذي يتبعه مئة مليون، وبجدارة، بطل الزمن الحاضر وملهماً للثورة السورية. لا يستقيم أن نسقط معايير زمن على زمن آخر. إن جزئيات الثقافة عند الآلاف تشكل الظاهرة. الثورة السورية لم تقدم فيها النخبة أو المثقفون منارة الهداية؛ وهم بدورهم -إن وُجدوا- لم يوفّروا القيادة اللازمة. لقد تُرك الناس نهباً للمنظومة القمعية وليس للفكر الصحيح.

لقد كانت بوصلة البقاء -بأي ثمن- هي القرار؛ وأول الأهداف زوال الآخر. والآخر بدوره ينشد البقاء ويريد زوال النظام. لقد كانت المعادلة صفرية؛ وهنا غاب تأثير أيّ نخبوي أو تنويري.

النخبة والضياع

أخيراً، مهما ارتقت عصارة أفكار النخبة، ومهما سمت في تألقها وجوهرها؛ إلا أن أيّ منتج فكري أو ثقافي يبقى قاصراً عن التضحية بالنفس أو بالغالي في وجه الطغيان والاستبداد. لقد حسبتها النخبة التي توفرت، فضاعت بين (الجمود أو الصمت أو الانسحاب) وبين (تقديم ما بدا هزيلاً غير مقنع أمام العملاق والهرم الذي صرخ في وجه المستبد القاتل والظلم المتكلس والفساد المستشري) وبين (الهجوم على بدائية حراك أو انتفاضة أو ثورة بلا فلسفة)... وها هنا ترى الأنامل النخبوية الفكرية الثقافية قد آثرت الاختباء في الظل الآمن العفن على الانكشاف والسقوط الأكبر والنهائي؛ فأي محاولة للقفز فوق الفعل الشعبي العفوي الثوري وأدوات تعبيره البسيطة الجبارة -لغة ومسلكاً- محفوفة بنهاية فجائعية أدبياً أو فلسفياً أو فنياً أو فكرياً. لا ندري أهو ضياع النخبة؟ أم نخبة الضياع؟

* كاتب من سوريا
مقيم في عمان

* تخطيط: ساي سرحان

النخبة الثقافية والديمقراطية الغائبة

المثقف عاجز والنخبوية تزيف الوعي

خالد قطب

❑ يوجه دعاة الاستبداد السياسي والديني أفكارهم وآراءهم إلى البسطاء الذين لم يطّلعوا علي أيّ تجارب إنسانية أخرى في العالم، مصورين لهم أن تجربتهم السياسية أو الدينية هي الحق وما دون الحق هو الباطل.

لعل أول تقرير في العصر الحديث، لتوطيد دعائمالنخبوية كفكر يمارس من قبل بعض الأشخاص، جاء من خرافة كتبها فرنسيس بيكون في قصته الخيالية التي أطلق عليها "أطلانتس الجديدة" والتي نشرها عام 1627، تلك القصة التي تقول إن كارثة قد وقعت لمجموعة من راكبي سفينة عصفت بها الرياح العاتية نحو جزيرة تدعى بن سالم، وكان سكان هذه الجزيرة على قدر كبير من الحكمة والتسامح والعدل والكرم وأيضا الثقافة والعلم، وكان بهذه الجزيرة مؤسسة تدعى "بيت سليمان" كانت وظيفتها تقديم المعرفة التي بموجبها تستطيع هذه المؤسسة أن تسيطر على واقع الجزيرة. كانت تمثل هذه المؤسسة النخبة الحاكمة في تلك الجزيرة، هذه النخبة لم تأت عن طريق تنافس حزبي أو صراع سياسي، أو أيّ شكل من أشكال الديمقراطية، بل تم فرضها قسرا على سكان الجزيرة. لقد أعلنت هذه المؤسسة هدفها وعممته علي الجزيرة مدعية أن النخبة لديها الآليات التي تجعل حياة الإنسان أكثر سعادة. ولهذا وضعت النخبة مجموعة من الأولويات والتفضيلات التي ينبغي على سكان الجزيرة السير وفقا لها كما وضعت، في الوقت ذاته، العقوبات التي تنال كل من يخرج على الخطوط التي وضعتها النخبة.

ولا يقتصر دور النخبة الثقافية والحاكمة في هذه الجزيرة على العمل المحلي، أي على واقع الجزيرة ذاته، بل هناك مهام أخرى تقوم بها، وهي أن هناك مجموعة منهم تكون مهمتهم الذهاب إلى بلدان أخرى بأسماء مستعارة للتجسس والعودة بالأدوات والعينات والنماذج والملاحظات والتجارب المختلفة للاستفادة منها في دولهم. ومن ثمة يسود في هذه المؤسسة نوع من سرية المعلومات التي تملكها النخبة في هذه المؤسسة حتى تظل النخبة متحكمة في المعلومات التي تبثها لسكان الجزيرة بالقدر الذي تحدده والتوقيت الذي يناسبها وما يتفق مع توجهاتها المحددة مسبقا. لقد أسس فرنسيس بيكون لنخبوية معرفية وثقافية أصبحت مصدر إلهام للعديد من المؤسسات الثقافية والسياسية في العصر الحديث، هذه النخبوية تسعى لممارسة نوع من تزييف وعي المواطنين عبر تشكيل نوع المعرفة السائدة في مجتمع ما من المجتمعات لتحقيق مصالحها الخاصة بغض النظر عن الصالح العام.

وإذا حاولنا أن نكشف هذا الاتجاه النخبوي في واقعنا الثقافي العربي، فإننا يمكننا القول إن بعض المثقفين (النخبويين) في واقعنا العربي يبدي تكلفا مصطنعا، فهو يتحدث لغة غير مفهومة ويستخدمها في المناسبات وأمام شاشات القنوات الفضائية، يستخدم لغة التعميمات المبالغ فيها، ويحتمي وراء أقوال مأثورة تارة من حكيم، وتارة أخرى من فقيه، وتارة ثالثة من سياسي وهكذا، ويسلك سلوكا طقوسيا مملا في أحيان كثيرة، يظهر بوجه متجهم متعاليا على الواقع المعيش. ولعل أخطر النتائج المترتبة على سيادة هذا التكلف المصطنع هو ما نجده اليوم من تناقض بين الفكر والواقع، بين اللغة التي يتحدث بها السياسي والمثقف والفقيه (النخبة) وبين الواقع الفعلي المعيش، بين الأفكار التي تطرحها النخبة السياسية والثقافية والدينية، وبين المشكلات التي يعاني منها الواقع الاجتماعي. ففي كثير من الأحيان نلاحظ أن النخبة تقول ما هو مخالف للحقيقة، وهذا لا يكون اعتباطيا دون قصد، بل هو متعمد ومقصود لخداع الجماهير سواء كانوا مشاهدين أو مستمعين أو قراء، حيث يعتقد، من يعتبرون أنفسهم نخبة، أن الجماهير ليس لديها الوعي الكافي والنضج العقلي الذي يجعلها تميز بين التفكير الواعي والتفكير الزائف، وهذا ما يفسر رغبة النخبة في حضور حلقات برامج النقاش أو ما يسمي بـ"التوك شو" حتى يدافعوا عن قضايا تتفق مع الاتجاه السياسي أو الديني المهيمن، أو ليدافعوا عن قضايا تتناقض مع هذا الاتجاه السياسي أو الديني، فيستخدمون عبارات تدغدغ مشاعر الجماهير لتحريف الوقائع حيث تخدم في النهاية مصالح هذه النخبة وسياساتها وفقا لتوجهاتها المختلفة، فيصبح الكذب وسيلة شرعية للمعارك السياسية والثقافية والدينية، وتغيب القضايا الحقيقية التي تهم الجماهير.

المثقف النرجسي

إن الخطورة التي تنبع من المثقفين والمفكرين ورجال السياسة والدين (النخبة) المتحيزين لأفكارهم وآرائهم لدرجة تصل إلى الهوس، هي أنهم يعبّرون عن أفكارهم ومعتقداتهم في صورة تبدو منطقية وعقلانية وشرعية، كأن يسترشد المثقف أو السياسي، على سبيل المثال، ببعض الآيات من الكتاب المقدس الذي يؤمن به لتدعيم حجته، أو يسترشد بما يحدث في دول أخرى، أو يلجأ إلى التاريخ لينتقي منه الأحداث التي تدعم تحيزه وتستنكر على مخالفيه تحيزهم. والمشكلة الحقيقية هي أن الكثير منا يرتاب في مصداقية الأفكار والآراء الصادرة عن النخبة المثقفة والأكاديمية، وذلك لطرح هذه النخبة أفكارها وقيمها في صورة معلبة جاهزة للتطبيق، فيحدث الانفصال بينها وبين الشارع، أو بينها وبين النشاط الإنساني الفعلي، السياسي والاجتماعي والديني، ويتناسى الكثير من النخب المثقفة أن الأفكار ليست شعارات ترفع للدفاع عنها والموت في سبيلها، بل هي أداة لفهم الواقع أولا، ثم تغييره ثانيا، ومن ثمة عندما تتغير أفكارنا يتغير الواقع من حولنا، ولكن الأزمة التي نعاني منها الآن أن الأفكار المطروحة من خلال مشاريع النهضة العربية والإسلامية أصبحت مجرد معلومات تطرح بشكل متعال ونرجسية فوقية بعيدة عن الواقع الفعلي الحي والمعيش، لذا ترددت كثيرا مقولات أن المثقف العربي أصبح عاجزا عن القيام بدوره الأساسي وهو تنوير الناس، لأنه ببساطة يحتاج إلى تنوير، أو إلى تربية عقله تربية نقدية تؤهله إلى قراءة واقعه قراءة صحيحة.

النخبة المستبدة

كما يرتاب الكثير منا أيضا في مصداقية النخبة دعاة الاستبداد السياسي والديني الذين يرغبون في بقاء الأوضاع كما هي عليه والرضا بالأمر الواقع، فيلجأون إلى تزييف وعينا وتنويم عقولنا حتى يمارسوا استبدادهم دون إزعاج من عقل يطرح تساؤلات تمهيدا لمساءلة النخبة الثقافية والسياسية والدينية. لذا نسمع دعوات كثيرة لا تنقطع من النخبة دعاة الاستبداد السياسي والديني بعدم الإسراف في استعمال العقل أو طرح التساؤلات أو التناول التحليلي النقدي للأفكار والآراء، زاعمين أن العقل له حدود لا ينبغي تخطيها أو التعدي عليها، ومن ثمة ينبغي التصديق والتسليم بكل ما يقوله دعاة الاستبداد الثقافي والسياسي والديني. إن من يرغبون في توطيد دعائم الاستبداد السياسي والديني في بلادنا العربية والإسلامية ينزعون من الدين ما يخدم فكرتهم المسبقة في عدم التسامح وقبول الآخر المختلف في العقيدة والمذهب والنوع، وتفريغ أجهزة الدولة الإدارية من كفاءات الكوادر البشرية واختيار من لهم ولاء وانصياع لينفذوا الأوامر والتعليمات دون النظر فيها أو طرح سؤال، ويوهمونهم بأن كثرة السؤال تؤدي إلى المهالك، وتدخل في باب البدع التي قد تؤدي بالمتسائل إلى النار، لذا يوجه دعاة الاستبداد السياسي والديني أفكارهم وآراءهم إلى البسطاء من الناس الذين لم يطلعوا على أي تجارب إنسانية أخرى في العالم، فيصورون لهم أن تجربتهم السياسية أو الدينية هي الحق وما دون الحق هو الباطل، وأن أي خروج عن هذا الحق المزعوم يعد كفرا وفسوقا وعصيانا وخروجا على الطريق المستقيم.

عملية التجديد

إن تهميش دور المواطنين في أيّ مجتمع في تحديد ما هو جدير بالاعتبار والاتباع هو أمر ضد الديمقراطية التي ننشدها، وإذا كان هدف بعض المؤسسات الثقافية هو تحقيق أكبر قدر ممكن من السيطرة على عقول مواطنيها ليسهل عليها إدارة مصالحها الخاصة، فإن هذا يعوق ممارسة الديمقراطية التي تقوم على مشاركة المواطنين في تحديد أولوياتهم المعرفية. إن أيّ شكل من أشكال الديمقراطية يسعى في الأساس إلى خدمة الصالح العام. بعبارة أخرى، إن ترك الأمر في أيدي النخبة ومدراء المؤسسات الثقافية والمختصة بالبحث العلمي لاتخاذ قرارات بشأن نوعية المعرفة السائدة وأولويات البحث العلمي وخاصة ما يتعلق بصحة الإنسان، من شأنه أن يقف في وجه الاحتياجات الفعلية للقاعدة الجماهيرية، وأن استئثار مجتمع النخبة باتخاذ القرارات نيابة عن الجماهير يجعلهم ينجرفون بعيدا عن هذه الاحتياجات. إن دور المؤسسات هو توفير أفضل السبل لتحقيق تلك الاحتياجات، لهذا كان من الضروري نبذ النخبوية المسيطرة على مؤسساتنا ومجتمعاتنا الثقافية والعلمية، تلك النخبوية التي تبرر ما يخدم مصالح رؤسائهم ومتخذي القرار السياسي.

والتعليم هو البوابة الرئيسية للديمقراطية المستنيرة، فقد ورد في كتاب جون ديوي "الديمقراطية والتعليم" الذي نشره في العام 1916 أن التقدم في الحياة يأتي عن طريق التجديد المستمر. بعبارة أخرى، فإن الحياة هي عملية تجديد مستمر للذات، وهذا التجديد يتم عن طريق التعليم. فإذا كانت الذات تتجدد فسيولوجيا عن طريق التغذية والتكاثر والنمو، فإنها تتجدد اجتماعيا عن طريق التعليم، فضلا عن أن التعليم يحدث عن طريق الاتصال المتبادل بين الخبرات المختلفة للتمكن من العيش المشترك، فالتعليم يغير من نوعية الحياة التي يعيشها المجتمع.

> المثقف العربي أصبح عاجزا عن القيام بدوره الأساسي وهو تنوير الناس، لأنه ببساطة يحتاج إلى تنوير، أو إلى تربية عقله تربية نقدية تؤهله إلى قراءة واقعه قراءة صحيحة

إن السعي إلى تطوير استراتيجيات وأساليب جديدة في التعليم يجعل هذا الأخير مسؤولية اجتماعية يسعى لتحقيق الصالح العام وبالتالي يكون أكثر ديمقراطية مما هو عليه، لذا فإن الديمقراطية اللانخبوية المنشودة أوسع بكثير من المعني المتداول لها في السياسة والذي يذهب إلى تطبيق القوانين من قبل الحكومات وإجراء اقتراع شعبي لمجموعة من الناخبين الذين يمثلون دوائر انتخابية ما، بل الديمقراطية اللانخبوية وسيلة لتحقيق غايات تقوم علي نطاق أوسع من العلاقات الإنسانية، فضلا عن دور الديمقراطية اللانخبوية في تنمية الشخصية الإنسانية عن طريق المشاركة في الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها المتعددة. إن جعل الديمقراطية أسلوب حياة ومصدرا لتشكيل قيم المجتمع، يعني نبذ ممارسات النخبة، وأن فكرة الاقتراع العام الذي تمارسه السياسة تحت مسمى تطبيق الديمقراطية إنما هي فكرة ساذجة للغاية وتستخف بالعقل الإنساني. ففكرة وجود شخص أو مجموعة من الأشخاص المنتخبين عن طريق الاقتراع تكون لديهم القدرة على اتخاذ القرارات دون موافقة القاعدة الشعبية العريضة في المجتمع هي فكرة ديكتاتورية في الأساس. إن استبعاد السواد الأعظم من الشعب في المشاركة في اتخاذ القرارات التي تخص المجتمع هو نوع من القمع الذي تمارسه المؤسسة السياسية القائمة على النخبوية الثقافية والسياسية والدينية، هذا القمع يمنع إعطاء الفرصة لاتخاذ القرارات بشأن ما هو جيد بالنسبة إلى الشعب ذاته.

* أستاذ الفلسفة بكلية الآداب– جامعة الفيوم

* تخطيط: ساي سرحان

ثقافة الحوار

الفريضة الغائبة في العالم العربي

إبراهيم سعدي

❑ يعتبر الحوار ظاهرة اجتماعية بامتياز، سواء على أساس أنه يتطلب وجود ذاتين أو أكثر لوجوده، أو على أساس أنه نتاج كون الإنسان، كما يقول أرسطو، حيوانا اجتماعيا، إذ أن الميل الفطري إلى العيش في جماعة أو في مجتمع تنتج عنه أيضا علاقات لا تتسم بالضرورة بالوئام والتفاهم بين الناس، وهذا ليس فقط داخل الجماعة الواحدة أو المجتمع الواحد، بل أيضا على نطاق يتجاوزهما. وعليه فإن الحوار هو أداة ناشئة عن الاجتماع الإنساني لحل ما يعتريه من حالات تنازع وتدافع واختلاف أو سوء تفاهم. وبالنظر إلى طابعه المتميز بالسلم وإلى ما يقتضيه من حسن إرادة، فهو إذن أداة راقية لحل مختلف الإشكالات التي لا مندوحة منها في العلاقات بين البشر، نظرا لاختلاف الناس في المصالح والثقافات والمعتقدات وما إلى ذلك. وهو أداة راقية، كما سبق القول، لأن غياب الحوار في ظل وجود خلاف، سواء على مستوى اجتماعي ثنائي الأطراف أو متعدّده، في مجتمع واحد أو ما بين مجتمعات، من شأنه أن ينجر عنه التجافي وعدم الانسجام الاجتماعي في أخف الحالات ضررا أو الصراع والحرب واعتماد القوة لحل موضوع الخلاف، في أسوأ الأحوال، كما يجري اليوم مثلا في منطقة العالم العربي، وبالضبط في سوريا والعراق واليمن وليبيا. وعليه فإن الحوار هو بديل عن اعتماد قانون القوة والغلبة المبني على الجبروت والقدرة على القهر وإخضاع الآخر.

فالحوار يعني التحادث مع شخص أو أكثر بشأن مسألة مشتركة بينهما أو بينهم، تشكل في ذات الوقت موضوع خلاف أو لبس أو نحو ذلك، قصد الوصول إلى حل يرضي الطرفين المتحاورين، أو الأطراف المتحاورة.

يتميز الحوار إذن بالنزوع إلى البحث عن أرضية مشتركة بين المتنازعين؛ عن منطقة يتوافقان عليها في نهاية المطاف، مما يعني ضمنيا أن منطق الحوار يفترض من الذات المتحاورة نوعا من التعاون مع الذات الأخرى، المقابلة، من أجل الوصول إلى هذه الأرضية المشتركة، إلى كلمة سواء، ذلك أنه، وكما يقول هابرماس بشأن متطلبات الحوار، فإن "المعايير الوحيدة القابلة للصلاحية هي تلك التي يمكنها نيل قبول كل المعنيين بوصفهم مشاركين في مناقشة (حوار) عملية". ففي الحوار لا يسعى المتحاور فقط إلى تبليغ آرائه ومطالبه وانشغالاته وما إلى ذلك إلى الطرف الآخر، بل ينفتح أيضا على ذاته، مصغيا إليها ومستعدا للنظر في رؤيتها للإشكال المشترك بينهما أو بينهم. من هنا يتبين لنا أن الحوار يفترض اعترافا قبليا بوجود الآخر وبأهليته لأن يكون متحاورا وشريكا بشأن حل موضوع الإشكال المشترك بينهما. كما يتطلب احتراما للحق في الاختلاف ومرونة في الرأي والموقف والتفكير. وهو الشيء الذي يعني أن منطق الحوار يتعارض مع منطق التطرف والغلو والدوغمائية والتعصب والعنف والإقصاء والاستئصال والخضوع، إذ أن الحوار يقوم على الانفتاح على الآخر، على الغيرية، على مجهود تقوم به الذات على ذاتيتها من أجل لقاء ذات الآخر، وأيضا على امتلاك سلطة التحاور والتمثيل، وكذا المساواة بين المتحاورين، فلا حوار يمكن أن ينشأ بين العبد والسيد. مثلما يقوم أيضا على مبدأ النسبية، لكن ليس بالمعنى العدمي الذي نجده عند السفسطائيين الذين يجعلون الفرد مقياسا لكل شيء، لأن مثل هذه النسبية تترك الباب مفتوحا على مصراعيه أمام مختلف أشكال سوء النية، حتى أنه يروى بأن الفيلسوف السوفسطائي بروتاغوراس "كان يتبجح بقدرته على أن يجعل الحجة الضعيفة تبدو قوية وسليمة". فالنسبية التي يفترضها منطق الحوار الذي يهمنا هنا يعني الانفتاح على الرأي الآخر والاقتناع بعدم احتكار "الحقيقة". إنها النسبية التي يمكن أن يلخصها المبدأ المعروف في الثقافة الإسلامية المتمثل في القول التالي: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

ثقافة الغلبة

وإذا ما نظرنا إلى العالم العربي من خلال هذه الرؤية، من السهولة بمكان أن نلاحظ أن هذه المنطقة المشتعلة من العالم لا تمثل أرض حوار،

> هذه المنطقة المشتعلة من العالم لا تمثل أرض حوار، بل أرض صراع واقتتال، كما يدل على ذلك ما حدث ولا يزال، في سوريا والعراق وليبيا واليمن ومصر، وقبل ذلك في الجزائر

بل أرض صراع واقتتال، كما يدل على ذلك ما حدث ولا يزال، في سوريا والعراق وليبيا واليمن ومصر، وقبل ذلك في الجزائر، إبان تسعينات القرن الماضي، الفترة المعروفة بالعشرية السوداء. فلماذا غابت في هذه المنطقة من العالم ثقافة الحوار وسادت بدلا من ذلك ثقافة الصراع والغلبة؟ قبل محاولة الإجابة عن السؤال، خليق بنا أن نشير إلى أهمية المنطقة عالميا من حيث الثروات الباطنية والموقع الجيواستراتيجي، وإلى عامل الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي الذي لا ينبغي تجاهله. كما يتعين التأكيد على ما تتميز به المنطقة من تعقيد من حيث تركيبتها البشرية على الصعيد الديني والثقافي واللغوي والقبلي والإرث التاريخي. وهي كلها عوامل يمكن لها أن تشكل أرضية خصبة لنشأة ثقافة الحوار والتعايش والتبادل، أي لـ"التذاوت" بمفهوم هابرماس، يعني للعيش سويا وفق تعبير المفكر التونسي فتحي التريكي، مثلما يمكن أن تكون أرضية حبلى بالنزاعات والصراعات. فلماذا اتخذت لها الوجهة الأخيرة؟

لعل أحد أسباب ذلك يعود إلى طبيعة الأنظمة السياسية التي عرفتها هذه المنطقة، أنظمة تقوم بصورة عامة على نظام الحكم الفردي المُتسيِّد الذي يفرض نفسه على المجتمع بالقوة. من ضمنها تلك التي تستند إلى القبيلة أو العشيرة أو الطائفة، الشيء الذي يشكل مناخا ملائما لإنماء الشعور بالتهميش لدى فئة أو فئات الشعب المقصاة هكذا بسبب ما يكون لديها من خصوصية دينية أو لغوية أو نحو ذلك، مما يسهم في تشديد تمسكها بهويتها الفرعية، على حساب الهوية الكلية، أي الوطنية. ففي ظل نظام يستند إلى القوة بمعناه التعسفي وغير الشرعي، يتعذر ظهور بيئة مناسبة تؤسس لثقافة الحوار، خصوصا وأن المجتمع يعيد إنتاج أشكال صغرى ودنيا من التسيد وتكرارها، كالزمر والعصب والولاءات وغير ذلك، مما يجعل المجتمع قائما في جوهره على علاقات القوة على مختلف مستوياته، ابتداء من العائلة. ويتحقق ذلك كما يؤكد أركون بشأن هذه الخلية الاجتماعية الأساسية "عن طريق المحرمات العديدة التي تحيط بالمرأة، وعبر إخضاعها إلى مكانة أدنى وإبقائها فيها، وأيضا من خلال الامتيازات والسلطات الموكلة للرجل من قبل القانون" الديني" (...) و أيضا عن طريق الطاعة المباشرة التي يقدمها الابن للأب، أو البنت للأخ أو للأب، أو المرأة للزوج أو الصغير للكبير..." (مع بعض التصرف). كل ذلك يسهم، بسبب اعتماد مبدأ عدم المساواة بين الذكر والأنثى، والاستناد هكذا على مبدأ القوة، في الحيلولة دون ظهور ثقافة الحوار داخل العائلة وتبلورها، ومن ثمة في المجتمع، إذ أن المساواة، كما سبق وأن أشرنا، تمثل أحد مقومات ثقافة الحوار.

احتكار الحقيقة

وبالرغم من أننا نجد هنا، وفق أركون، تأثير القانون"الديني"، كما يسميه، إلا أن دور هذا العامل، ممثلا من قبل من يصفهم ماكس فيبر بـ"مسيّري أملاك الخلاص"، يبدو أكثر وضوحا ومباشرة فيما يخص دعم المحظورات المتعلقة بالتفكير في موضوع الدين وإعادة إنتاجها. وهكذا تقوم "المؤسسة الدينية" التي يمكن أن يشملها أيضا مفهوم السلطة الرمزية بمفهوم بورديو، بالرغم من أن هذه الأخيرة، في الحالة التي تعنينا هنا، ليست دائما مستقلة عن السلطة السياسية، بإعادة تكريس مبدأ مجاف لمنطق الحوار: احتكار الحقيقة. وذلك في مسألة ذات أهمية جوهرية على مختلف الصعد، في المجتمعات العربية– الإسلامية، ألا وهي المسألة الدينية. ويمكن أن نتذكر بهذا الصدد تجربة نصر حامد أبو زيد في مصر، أو أركون في الجزائر، في ملتقى من ملتقيات الفكر الإسلامي. إن الحوار لا يعني بالضرورة الجلوس حول طاولة واحدة، بل يمكن أن يجري عن بعد، من خلال ضمان حق الآخر في التعبير عن وجهة نظره أو عن قراءته دون أن يتعرض لخطر التكفير أو لفتوى تبيح هدر دمه. وإذ أن مثل هذا المنع من التفكير يجعل هذا الدين "غير مفكر فيه تاريخيا" بالمعنى الذي نجده عند أركون، فإن ذلك يسهم في إبقاء الشعوب الإسلامية، بهذه المنطقة، أسيرة تناقضات ماضيها الديني، تعيد إنتاجه بمفرداته وعنفه وممارساته الإقصائية للشريك في الوطن ولكنه المغاير في ذات الوقت بسبب ما قد يكون لديه من بعض الخصوصية الدينية أو نحوها. إذن يشكل استمرار هيمنة الماضي وتناقضاته، على تفاصيل الحاضر العربي أحد معوقات انتشار ثقافة الحوار، لأنه يفرز الإقصاء والعنف. وعليه يمكن أن نعتبر الماضي داء العرب المزمن. غير أنه لا يمكن إرجاع سبب هذه المشكلة إلى مجرد عدم قراءة الدين على ضوء المنهجية التاريخية، إذ لا يجب أن ننسى دور نظام الحكم العربي، كما سبق وأن أشرنا، في عدم حصول الشفاء من تناقضات الماضي وآلامه وذكرياته.

إقصاء متبادل

والمنع من التفكير في الموضوع الذي سبقت الإشارة إليه ليس في الحقيقة من جانب واحد. إنه منع متبادل. وهنا نصل إلى ما يميز النخب العربية المثقفة من عجز عن التحاور وإلى ما يعرف في الأدبيات الإعلامية بـ"الاستئصال" أو "الاجتثاث". ذلك النوع من المنع عن الوجود الأيديولوجي والسياسي للآخر. إنه المعادل الموضوعي للتكفير أو التكفير المضاد. فالآخر متهم هنا بالكفر بـ"الحداثة". لهذا تحدث إدوارد سعيد في كتابه المعنون بالفرنسية " Des intellectuels et du pouvoir » عن "بؤس اليسار العربي" ومحمد أركون في " الفكر الإسلامي . نقد واجتهاد" عن العلمنة الدوغماتية أو المتعصبة قائلا بأنها "خطرة من الناحية العقلية والثقافية". وهذا النوع من "التكفير" يؤدي إلى نفس النتائج التي يؤدي إليها التكفير التقليدي: "الإفتاء" بهدر الدم أو السجن. فمشاهد القتل الجماعي والمتبادل التي شهدتها بعض البلدان العربية ولا تزال منذ 2011، وكذا ما سبق وأن عاشته الجزائر خلال ما يعرف بالعشرية السوداء، ليست غريبة لا عن هذا "التكفير الحداثي" ولا عن "التكفير التقليدي".

إن الصراعات الأيديولوجية لا تقل ضراوة عن الصراعات الدينية، ذلك أن الأيديولوجيا تكاد تكون دينا، والحقيقة أن الصراع الأيديولوجي بين النخب العربية "العلمانية" و"الإسلامية" يمثل أحد معوقات الانتقال إلى مجتمع الحوار. ولعل هذه الظاهرة تشي عن وجود ثقافة قاعدية واحدة لا واعية تتجاوز حدود التقسيم إلى "حداثي" و"إسلاموي"، تم استبطانها جيلا بعد جيل، لتنتج وتعيد إنتاج الإقصاء والأحادية كيفما كان نوع الأيديولوجية المعلنة، الشيء الذي قد يفسر تعذر ظهور ثقافة الحوار بالمعنى الذي سبق وأن أشرنا إلى بعض قواعده العامة. ومع ذلك فإن الثقافة الإسلامية لا تخلو من مبادئ خليقة بأن تؤسس لثقافة الحوار، فقد وردت في القرآن آيات تحض عليه: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"؛ "لا إكراه في الدين"؛ "لكم دينكم ولي دين".

كما أن الحضارة الإسلامية وإن كانت لا تخلو من أمثلة تدل على الاضطهاد الفكري، وذلك تارة باسم الحفاظ على الدين، كما حدث مع إحراق كتب الفيلسوف ابن رشد، أو باسم العقل كما فعل المعتزلة في محنة الإمام ابن حنبل، مما يؤشر إلى أن الإقصاء وما يجره من عنف كان ثقافة مشتركة، يتخذ تارة لبوس الدين وتارة لبوس العقل، كما اليوم، من خلال لبوس الإسلاموية" أو لبوس "العلمانية"، إلا أن هذه الحضارة شهدت أيضا مظاهر للنقاش الحر، تتضمن بعض قيم ثقافة الحوار، كالمناظرات التي كانت تجري بين المسيحيين والمسلمين زمن الأمويين الأولين، وخصوصا بعد ذلك في عصر المأمون الذي كانت تقام في حضرته مناظرات دينية من هذه القبيل. وإذا ما شئنا ألا نحصر مفهوم ثقافة الحوار في حدود ضيقة، يمكن القول بأن الحضارة الإسلامية كانت حضارة حوار، إذ تحاورت مع الحضارة اليونانية ومع غيرها من الحضارات والثقافات، من خلال الترجمة إلى العربية من مختلف اللغات السائدة في تلك الأيام، والتفاعل معها نقدا وشرحا وإضافة. فالحضارات تتحاور دائما، على خلاف البشر في كثير من الأحيان.

الشرعية السياسية

ولأن المساواة بين المتحاورين من متطلبات الحوار، فإن ما يميز العالم العربي من تبعية بسبب التخلف وعدم حل مسألة الشرعية السياسية، لا سيما في موضوع الحكم، وذلك في جل بلدان المنطقة، أمر يسهم بدوره في إضعاف مبدأ الحوار، فالتابعون لا يستطيعون التحاور. وذلك سواء فيما بينهم أو مع الآخر. ففي الحالة الأولى هناك العائق المتمثل في غياب الاستقلالية، وفي الحالة الثانية هناك العائق المتمثل في غياب التكافؤ مع الآخر. لهذا نفهم عجز القمم العربية، مثلا، على اتخاذ قرارات تنبع عن إرادة حرة، أو التأثير على الآخر في قضايا عربية مصيرية، كقضية فلسطين مثلا. مما يفسر وجود المقاومة، باعتبار أن السلاح هو سبيل الضعيف الذي يريد إسماع صوته، مثلما يفسر أيضا كون قرار "الحوار" أو الحرب في هذه المنطقة رهن إلى حد كبير بإرادة الآخرين، الإقليميين منهم والبعيدين. فالتابعون يتحاربون بالوكالة و"يتحاورون" بالوكالة.

* تخطيط: ساي سرحان

الداخلة المغربية سياحة النسيم العليل والشمس الدافئة

قلب الصحراء المغربية عاصمة دولية لسياحة التزحلق على الأمواج

عشاق المغامرات يبحثون دائما عن المثير الذي يضيف لهم مسحة من التحدي، فعشاق الرياضات البحرية التي تعتمد الأشرعة والرياح والأمواج وجدوا في المغرب ظالتهم على سواحل المحيط وتحديدا في مدينة الداخلة الصحراوية بعد أن نجحت في أن تصبح محطة أساسية من المحطات العالمية التي تحتضن منافسات بطولة العالم في "الكايت سورف"

❏ **الداخلة (المغرب)** – أضحت مدينة الداخلة جنوب الصحراء المغربية وجهة ذات بعد دولي لأبطال وهواة رياضة التزحلق على الماء من شتى بلدان العالم.

وتتميز المدينة التي تمتد بمساحة 40 كيلومترا في المحيط الأطلسي بطقسها المعتدل على مدار العام والريح المساعدة للمتسابقين في رياضة ركوب الأمواج "الكايت بورد" و"الكايت سورف" التي تعتمد على دفع الريح.

واستطاع المغرب تنظيم سباقات بالمعايير الدولية تتوفر فيها كافة شروط الأمن المطلوبة، وأعطت للمدينة هوية خاصة، حيث صنفت من بين أفضل الوجهات العالمية في الرياضات البحرية، لاسيما بفضاءاتها التي تعطي فيها المدينة للأطلسي أفقا مغايرا تميزه الأصالة والتفرد في غنى وتنوع مكونات المجال.

> المغرب استطاع تنظيم سباقات بالمعايير الدولية في الرياضات المائية تتوفر فيها كافة شروط الأمن المطلوبة، وأعطت لمدينة الداخلة هوية خاصة، حيث صنفت من بين أفضل الوجهات العالمية في الرياضات البحرية

وتحولت مياه خليج الداخلة إلى فضاء حالم يستهوي ممارسي الرياضة المائية من مختلف القارات، بعد أن نجحت في أن تصبح محطة أساسية من المحطات العالمية التي تحتضن منافسات بطولة العالم في "الكايت سورف"، لتشكل المحطة الأولى في بطولة العالم للألواح الشراعية.

وسبق أن عاشت منطقة "الداخلة أتيتود"، الواقعة بخليج الداخلة على بعد حوالي 30 كلم شمال شرق المدينة وشاطئ فم لبوير بمياه المحيط، على إيقاع عروض مائية بواسطة الألواح الشراعية، أبدع في أدائها ممارسون لهذه الرياضة قدموا من مختلف بقاع العالم للمشاركة في هذه البطولة، في نشاط سياحي يتكرر سنويا.

واجتمعت في المكان ثنائية الأزرق والأخضر، التي توشحت بها مياه الخليج، واللون الترابي الأبيض والأحمر لرمال الفضاء الذي يحتضن البطولة، والتشكيلات الهندسية البديعة لبيوت القرية السياحية الرياضية "الداخلة أتيتود"، وألوان الطيف التي تشكلها الألواح الشراعية الطائرة وأقمصة الفرسان "السابحين الطائرين".

واعتبر عدد من الممارسين لهذه الرياضة أن الداخلة بهذه "الجمالية الطبيعية" وبهذه "القدرة على الإبهار"، بما تمتاز به من مؤهلات طبيعية ساحرة وفضاءات لممارسة الرياضات المائية، أصبحت عاصمة عالمية لهذه الرياضات، وقبلة مفضلة لعشاقها الذين أصبحوا يتسابقون على فضاءاتها، وطريقا للسواح من مختلف أرجاء العالم.

وشهدت حركة توافد السياح على مطار الداخلة خلال السنتين الأخيرتين ارتفاعا مضطردا بنسبة تفوق 43 بالمئة، لاسيما بسبب افتتاح خطوط ربط جديدة لتعزيز جاذبية المنطقة وربطها داخليا مع باقي جهات مدن المغرب. وحسب إحصائيات صادرة عن إدارة المطار التي أوضحت أنه تمت معاينة هذا الارتفاع على مستوى الوصول والانطلاق، ما أدى إلى ارتفاع حركة مرور المسافرين بنسبة 35.7 بالمئة.

وسبق وأن أثارت مدينة الدخلة فضول الباحثين والسياح في مختلف أنحاء العالم بعد اكتشاف حطام سفينة ألمانية تحمل اسم "القيصر فيلهيلم" ليحول المنطقة إلى وجهة سياحية أثرية عالمية.

وقال رئيس جمعية السلام لحماية البيئة والتنمية المستدامة بالداخلة محمد المامي بزيد، إن العمل على صعيد التسويق السياحي الأثري سيعود بالنفع على المنطقة ككل، مضيفا إن الجمعية تعتزم الاتصال بعائلات الأشخاص الذين سبق وأن أقلتهم هذه السفينة على متنها، بغية الترويج أكثر لهذا الحدث.

وذكر بزيد أن السفينة التي كانت تقل على متنها ذخائر وأسلحة بعدما تحولت إلى سفينة عسكرية مع بدء الحرب العالمية الأولى، كانت مصممة للخدمة المدنية وتعرضت للغرق في 26 أغسطس 1914 بعد معركة مع إحدى السفن البريطانية وذلك على بعد ما بين 3.5 إلى 5 كلمترات من الشواطئ القريبة من الداخلة.

وأضاف أن السفينة قبل هذا التحول، كانت تؤمن نقل المسافرين والمهاجرين من أوروبا إلى الولايات المتحدة على غرار سفينة "تيتانيك" الشهيرة، مشيرا إلى أن المصادر التاريخية تذكر أن سيطرة بريطانيا في بداية القرن الماضي على قناة السويس جعلت الأطلسي المتنفس الوحيد للبحرية الألمانية.

وذكرت الجمعية أن الاكتشاف تم في دائرة مائية قطرها 400 متر، وعرضت هذه العملية طاقمها للخطر بالنظر إلى وجود حطام السفينة في منطقة خطرة.

■ للسياح آراء

مايوركا الأسبانية جزيرة الطبيعة المتنوعة

❏ **بالما (أسبانيا)** – تقع جزيرة مايوركا في البحر الأبيض المتوسط وهي أكبر جزر أرخبيل البليار في أسبانيا، وعاصمتها بالما. ويقصد مايوركا الأثرياء والمشاهير ومنهم العائلة المالكة الأسبانية وبعض الممثلين العالميين. وتشتهر الجزيرة بالمناظر الطبيعية الخلابة، وتتنوع الأماكن السياحية في مايوركا، فهناك الجبال والوديان والشواطئ والمياه والغابات الكثيفة.

ويمكن للسائح أن يستمتع بالطبيعة الجميلة في مايوركا، وأكثر ما يلفت الانتباه أشجار اللوز التي تبدأ إزهارها في نهاية شهر يناير، وتنتشر في الجزيرة بشكل كبير. ويقصدها الرسامون والفنانون لمشاهدة هذه المناظر الطبيعية والتي أصبحت من أكثر الخصائص التي تميز مايوركا.

كما أن عشاق الطبيعة يمكنهم مراقبة الطيور من خلال المركز في لاغولا والذي يعطيهم معلومات عن أنواع الطيور وأماكن المراقبة. وزيارة الحديقة النباتية التي تحوي نباتات تستوطن في منطقة البحر الأبيض المتوسط وأزهار برية.

وهناك جبال لاسيرا التي تغطي ثلث جزيرة مايوركا وهي من أكثر الأماكن التي تجذب محبي السياحة الطبيعية والمكونة من سلسلة جبلية وأودية خصبة.

وقد عرفت مايوركا بأنها جزيرة الهدوء فهي توفر جميع سبل الراحة والاستجمام كما تشجع مناظرها على الاستمتاع برياضة المشي ولعب الغولف حيث تكثر فيها ملاعب الغولف.

● **فلافيا من ساوباولو:** في جزيرة مايوركا لا يستمتع السائح بسحر الطبيعة فقط بل هناك موروث تاريخي غزير حيث تكثر فيها معالم أثرية تركتها الشعوب التي سكنتها ومنها الكنائس والمعابد ومنها دير ليوك في ايسكوركا حيث، يعد مركز الجزيرة الروحي، ويجذب المكان السياح لوقوعه في منطقة جبلية تتميز بطبيعة جميلة، مليئة بغابات الصنوبر. كما تكثر في مايوركا الكهوف، وتوجد فيها مائتا كهف.

● **سيدريك من مرسيليا:** تعتبر بالما من أهم المدن السياحية، وتشتهر بكاتدرائيتها الشهيرة و بالعديد من المباني والآثار التاريخية التي تعود إلى فترات تاريخية متعددة.

ومن أهم الآثار أيضا في مايوركا قصر المواديانا الذي كان مكان الإقامة لجميع الملوك الذين عاشوا فيها خلال نهاية القرن الثالث عشر، ويوجد بجوار القصر متحف مايوركا وفيه مجموعة من الآثار التي استخرجت من أرض الجزيرة.

● **داميان من ميلانو:** في مايوركا توجد أشياء كثيرة يمكن للسائح أن يستمتع بزيارتها منها الشواطئ والخلجان والشواطئ الذهبية، حيث توجد عليها أجمل المنتجعات السياحية والفنادق والمطاعم لكل الفئات ومن أشهرها وأكبرها منتجع وخليج الكوديا الذي يقع في شمال الجزيرة وهو من أهم المنتجعات السياحية الفخمة في مايوركا.

وهناك أيضا حديقة البوفيرا التي توفر متنفسا رائعا ومزارا للسياح حيث تتواجد فيها الطيور والعصافير والزهور والورود الطبيعية وهي على شكل غابة، وتشعرك بالهدوء والراحة.

■ أين تذهب

مدينة الحمامات فردوس السياحة التونسية

❏ **تونس** – تقع مدينة الحمامات في مفترق الطريق بين تونس العاصمة و مدينة سوسة فلا تفصلها عن سوسة الا 80 كم وهي نفس المسافة التي تفصلها عن العاصمة.

وتحولت مدينة الحمامات النائمة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، في بضع سنوات إلى "باقة من المتعة" كما يسميها التونسيون. إذ صارت هذه المدينة الصغيرة قطباً سياحياً عالمياً يستقطب ملايين السياح سنوياً، بينهم أشهر الشخصيات العالمية الباحثة عن المتعة وسحر الطبيعة. وقد زاد المدينة جمالاً إنشاء المنتجع السياحي "ياسمين الحمامات"، الذي جمع بين فخامة البناء وعراقة التاريخ العربي الإسلامي. وقد استمد هذا المنتجع السياحي اسمه من زهرة الياسمين الأسطورية الفواحة، التي تعتبر من أبرز وأجمل رموز البلاد التونسية.

في مدينة الحمامات المتكاملة والمطلة على البحر الأبيض المتوسط يمكن للمرء أن يفعل ما يشاء، يسكن، يأكل، يلهو، يخلد للراحة، ويتمتع بالاستجمام والعلاج الطبيعي. فمن الساحات والأسواق إلى الفنادق، ومن الحمامات المعدنية إلى الفناءات، ومن الأسوار إلى الديار والحدائق، يمارس رواد هذه المدينة حياة جديدة كلها متعة وفرح، يجمع بين الطابع المهرجاني الاحتفالي، والتعايش والتعارف، وبين الرفاهية والصفاء.

ففي مدينة الحمامات، تترامى قرون وعجائب من الموروث الحضاري العربي والإنساني، والعادات والتقاليد، والفلكلور، واللوحات الشعبية الخالدة.

وتتوزع فيها فنادق فخمة يصل عددها إلى 54 فندقاً، تمثل أحد أهم الأقطاب الفندقية في تونس.

ويجد الزائر لمدينة الحمامات جميع الأشكال والتصورات الهندسية للبلاد التونسية وللحضارات الإنسانية الأخرى الأوروبية واليابانية والصينية، في شكل فسيفسائي، يجمع كل إبداعات الإنسان جنباً إلى جنب.

كما يجد الزائر أيضاً في المنتجع السياحي "ياسمين الحمامات" جميع أصناف الفنادق، فنادق فاخرة وأخرى متوسطة، نوادي وشقق وحمامات، تقدم آخر ما استجدّ في ميدان التداوي بمياه البحر، والتداوي بالحمامات البخارية، بالإضافة إلى مفاجآت لمحبي التزلج على الجليد وملاعب الغولف.

ويستطيع لاعبو كرة الصولجان ممارسة هذه الرياضة ضمن مسارات ممتازة، بين الروابي المزروعة بأشجار الزيتون، والمطلة على بحر ازرق يعكس سحره على منازل الحمامات ذات البياض الناصع.

■ مواعيد سياحية

◄ مشروع الفندق العائم في دبي

■ ينتظر أن تنطلق الأشغال في مشروع الفندق العائم تحت الماء في دبي على شواطئ الجميرا في النصف الثاني من عام 2015. ويتألف الفندق العائم من عدة وحدات دائرية التصميم، إحداها تحت الماء بعمق يتراوح بين 10 إلى 30 متراً، والوحدات الأخرى فوق سطح البحر، ممّا سيسمح بالاستمتاع بالمناظر الخلابة.

◄ أكوا بارك بشرم الشيخ

■ في استجابة سريعة لتنفيذ المشروعات التي تم طرحها وتأكيدا على لنجاح المؤتمر الاقتصادي بشرم الشيخ، عرض أحد المستثمرين مشروع إنشاء أكوا بارك عالمية عائلية، لاحتياج المدينة لهذا المشروع للعائلات، ولجذب السائحين العرب والمصريين. وسيتم الانتهاء من المشروع قبل المؤتمر الاقتصادي العام القادم.

◄ المهرجان الدولي للمناطيد في تونس

■ تختتم فعاليات مهرجان المناطيد في تونس الاثنين في مدينة الحمامات الساحلية بعد أن انطلقت في مدينة سوسة. ويهدف المهرجان إلى إعطاء صورة أخرى عن تونس وخاصة استقطاب السياح لأن هواة المناطيد في العالم هم كثيرون والسنة القادمة سوف تكون المشاركة أوسع وعدد المناطيد أكبر وقد تصل بين 50 و80 منطادًا مشاركًا.

◄ هونغ كونغ تنتظر70 مليون سائح

■ تتوقع هونغ كونغ، استقبال 70 مليون زائر في عام 2017، فيما تخطط للوصول بأعداد البوابات الإلكترونية ذات الاستخدامات المتعددة إلى 600 بوابة في عام 2016، وتحويل البوابات الإلكترونية العاملة حالياً إلى بوابات ذات استخدامات متعددة لتصبح قادرة على خدمة سكان هونغ كونغ وزوارها من مختلف الجنسيات في جميع الأوقات.

◄ فندق شفاف يكشف زواره على المارة

■ يقدم موقع سياحي بريطاني فرصة لقضاء ليلة داخل غرفة فندقية فريدة من نوعها توفر كافة تجهيزات الراحة للمقيمين فيها، إلا أن الخصوصية تنعدم فيها بشكل كامل، وسيتحول أول زوجين يحجزان الغرفة الفندقية الشفافة في شارع ساوث غيت الأكثر ازدحاماً في مدينة سومر سيت الأثرية، إلى محط أنظار الجميع.

انتشار الإنترنت في حياتنا يفتح نوافذ القرصنة

«نيست» تهيئ نفسها لتصبح منصة رئيسية لأنظمة المنزل الذكية

القرصنة لم تعد تقتصر على الحواسيب وأجهزة الهاتف النقال، بل وصلت إلى كل الأجهزة التي يتحكم فيها أصحابها عن طريق الإنترنت، واصبح الجيل الجديد من القراصنة يستهدف أدق الأسرار الشخصية والعائلية بعد اند كانت القرصنة تستهدف المؤسسات الرسمية، و البنوك والشركات العالمية.

❏ **كاليفورنيا** – تستعرض شركة البحوث المتعلقة بالأمان "تراب إكس" كيف يمكن استغلال منظم الحرارة الموصول بالإنترنت "نيست" والمملوك لشركة غوغل، من أجل التحكم بالأجهزة الأخرى في منزلك.

ويمثل هذا البحث حول المخاطر التي يمكن أن نتعرض لها في خضم انتشار الإنترنت ودخولها إلى مناحي حياتنا كافة، ومن بينها المنزل. لكن ينبغي الإشارة أيضا إلى أن جهاز "نيست" لم يتعرض للاختراق من قبل، وفقا للشركة. وفي الحقيقة، يعد واحدا من أكثر الأجهزة أمانا في مجال الذكاء المنزلي، وفقا للباحثين في أنظمة الأمان.

ولاختراقه، يتوجب على الهاكرز الدخول إلى الجهاز فعليا، وهذا يقلل من احتمالية حدوث مثل هذا الأمر.

وتزعم "تراب إكس" بأن هذا قد يحدث إذا اشترى أحدهم جهاز "نيست" مستعمل عبر مواقع إلكترونية مثل "إي باي". وتبني "تراب إكس" موقفها على أساس بحث نشر العام الماضي من جامعة "سنترال فلوريدا" بقيادة البروفيسور يير جن، كشف فيه مبدئيا عن إمكانية التحكم ببرنامج التشغيل "لينوكس" الخاص بهذا الجهاز، أثناء إعادة التشغيل وتحميل البرمجية المخصصة، حيث يتم الدخول إليه عبر منفذ ناقل البيانات "يو إس بي".

كما أظهر الباحثون كيف يمكن لتحميل هذه البرمجية على الجهاز، أن يوقف إعادة إرسال بيانات منظم الحرارة إلى خوادم "نيست". ويرى جن أن المشكلة تكمن في الطريقة التي صنع بها الجهاز، وأن "نيست" لا يمكنها إصلاح الخلل. وتبدأ "تراب إكس" بحثها انطلاقا من ناقل البيانات وبرمجية التحميل المخصصة على رقاقة معالج "إيه آر إم7" الموجود في "نيست"، والتي صنعتها "تكساس إنسترومنتس".

وبمجرد الدخول إليه، يمكن لـ"تراب إكس" الحصول على كلمة السر لشبكة الإنترنت اللاسلكية التي تتصل بها "نيست". ويبدأ المهاجم باستقبال المعلومات سواء كانت في المنزل أو خارجه، فالبيانات المخزنة على الجهاز ليست مشفرة. ثم باستخدام أداة بروتوكول تحليل العناوين التي تخدع الأجهزة الأخرى للتواصل مع جهاز "نيست" المخترَق، يمكن للمهاجم استقبال البيانات الصادرة عن الأجهزة الأخرى المتصلة بشبكة الإنترنت اللاسلكي. وكانت "تراب إكس" قادرة خلال الاختبارات على البحث خلال الجهاز المخترق، لاستغلال نقاط ضعف البرمجية الموجودة في أجهزة عدة، مثل: جهاز مراقبة الأطفال، أو حاسوب شخصي قديم يحتوي على نظام تشغيل غير محمي، وهذا للسيطرة عليها.

وقال كارل رايت، النائب التنفيذي للرئيس والمدير العام في "تراب إكس" "بمجرد الدخول إلى الشبكة، يصبح من السهل تصعيد العمليات. كما أن هناك العديد من الأجهزة المنزلية التي يمكننا اختراقها". لكن لدينا محددات لهذا الهجوم، بعيدا عن حقيقة أن المهاجم يحتاج للدخول إلى المنظم نفسه، ليبدأ عملية القرصنة. كذلك لا يمكن تطبيق طريقة "تراب إكس" في أي بيئة مؤسسية، لأن المؤسسات لديها "بروتوكول تحليل العناوين" لكشف الاحتيال. كما أن الشركة لن تتمكن من استقبال البيانات التي يمكن استخدامها من الأجهزة التي تستخدم هذا البروتوكول، إذا ما أرسلت عبر قناة مشفرة.

وفي حين أن مسألة الأمان تعد مهمة جدا لشركة "نيست"، فهي تهيّئ نفسها لتصبح منصة رئيسة لأنظمة المنزل الذكية. ثم إن عملها مع برنامج "العمل مع نيست" يتيح لصناع الأجهزة الذكية الأخرى، دمج منتجاتهم مع "نيست" في السحابة الإلكترونية. فأجهزة مثل المصابيح الكهربائية أو الغسالات قد تتم مزامنتها مع منظم "نيست" الحراري، أو كاشف الدخان.

وعلق المتحدث الرسمي لشركة "نيست" قائلا "جميع الأجهزة، بدءا من الحواسيب المحمولة إلى الهواتف الذكية، معرضة للقرصنة عند الوصول إليها. وهذا يدعى أحيانا اقتحام، وهو يصف كذلك الطريقة التي نفذتها "تراب إكس". والاقتحام لا يعرض أمان خوادمنا أو التوصيلات بين أجهزتنا للخطر، لكننا في كل الأحوال، نعمل دائما على تحسين أمن أجهزتنا وحماية زبائننا".

وللإشارة فإن الشركة تتمتع ببعض الوسائل لتحديد ما إذا كان أحد الأجهزة قد تعرض للاختراق، فعند تحديث البرمجية من خادم الشركة، يمكن التعرف على أي خطأ في نظام التشغيل. كما يلاحظ أن الحاسوب أو الهاتف الذكي الذي يتعرض للاختراق، قد يكون طريقة أكثر فعالية للهجوم على الشبكة المنزلية، لكن مع الاستمرار في تقديم المزيد من الأجهزة الموصولة بالإنترنت واستخدامها في حياتنا، فإن تأمين هذه الأجهزة سيصبح مصدر اهتمام أكبر.

سامسونغ تعد تلفزيونا ذكيا سهل الاستخدام

❏ **سيول** – يصل عدد التلفزيونات المتصلة بالإنترنت في العام 2020 إلى 965 مليون تلفزيون. ويشكل هذا الرقم دخولا إلى عصر جديد من التلفزيونات الذكية.

ومن بين الأسباب التي تدفع المستخدم إلى عدم تفعيل الإعدادات الذكية، جهاز التحكم عن بُعد "المُعقّد الاستعمال"، مما يُصعّب على المستخدم عملية تصفح الإنترنت واستخدام جميع إعدادات التلفاز الذكي. لكن هناك جهاز تحكم واحد يعمل بأسلوب مختلف، فمن خلال التلويح البسيط باليد بواسطة جهاز التحكم الذكي من سامسونغ، يمكن للمستخدم الآن تصفح الـ"سمارت هاب" وتقريب الصورة وحتى اختيار القناة التي يرغب بمشاهدتها، بالإضافة إلى تفعيل مختلف التطبيقات. وبمقدور المستخدم التكلم عبر المايكروفون المدمج في جهاز التحكم الذكي، فيتمكن بذلك من تصفح الإنترنت وتفعيل التطبيقات وحتى تشغيل وتوقيف جهاز التلفاز.

ويعد البطء عند الاستخدام أحد العوائق التي تشعر مستخدم التلفزيون الذكي بالملل لأن أجهزة الاستقبال والتلفزيونات تكون بطيئة عند استخدام المعالج، إضافة إلى عملية التقطع أثناء مشاهدة الفيلم المفضل أو إيقاف الشاشة أثناء فترة العرض مرارا وتكرارا. وللتغلب على هذا البطء تقدّم تلفزيونات سامسونغ الذكية والمزودة بمعالج رباعي النواة المجهزة عملية تحميل سريعة ودخول أسرع إلى الإعدادات الذكية، الأمر الذي يؤمّن للمشاهد فرصة استخدام متعدد وسهل. ويختبر المشاهد بنفسه تجربة سهولة التنقل بين التطبيقات وسلاسة تصفح الإنترنت ومشاهدة الفيديوهات. ويقوم تلفزيون سامسونغ الذكي بتمكينكم من الوصول إلى

> **تلفزيونات سامسونغ تقدم والمزودة بمعالج رباعي النواة المجهزة عملية تحميل سريعة ودخول أسرع إلى الإعدادات الذكية**

المحتوى المفضل لديكم بسهولة وذكاء تام.

ولا تتسم كل متاجر التطبيقات بالخصائص الشاملة ذاتها، فالعديد من متاجر تطبيقات التلفزيون الذكي فقيرة المحتوى، توفر بضع تطبيقات من الألعاب المعروفة. وهذا على عكس متجر تطبيقات سامسونغ الذي يضم مختلف التطبيقات من اللياقة البدنية، والطقس، والأخبار، والرياضة، والترفيه.

متجر سامسونغ الـ"سمارت هاب" سهل الاستخدام، بالإضافة إلى تطبيقاته، فهو يقدم إمكانية مشاهدة قنوات التلفزيون والأفلام حسب الطلب وبث الفيديوهات والمحتوى، مما يسمح للمستخدم بالتحكم التام في تجربة الترفيه الخاصة به.

تجدر الإشارة أن التلفزيون الذكي يعمل على توفير إمكانيات أكثر لتأمين تجربة واكتشافات جديدة لم نحلم بها من قبل. تتراوح بين أجهزة التحكم عن بعد والتي بإمكان المستخدم التكلم من خلالها، والدخول السهل إلى التطبيقات المفضلة والأداء المتميز. وهاهي التلفزيونات الذكية في أهم مراحل ابتكاراتها.

الموظف الافتراضي حل جذري للشركات لا يخلو من سلبيات

❏ **لندن** – قضاء العمل يشكل عائقا كبيرا بالنسبة إلى الشركات الصغيرة التي لا تستطيع تحمل كلفته، أو الشركات التي تتطلب طاقما ضخما لخدمة العملاء أو الدعم الفني، وكذلك الشركات التي ينطوي عملها على تلقي مكالمات هاتفية ورسائل إلكترونية طوال اليوم، من عملاء فعليين أو محتملين أو من يودون الاستفسار عن معلومة أو يطلبون بعض البيانات الخاصة بالشركة أو الخدمات التي تقدمها، أو غير ذلك من الأعمال.

وهذه الصعوبة تعود إلى أسباب عديدة منها تأثيث مكاتب مخصصة للعمل وما يتبعها من تجهيزات باهظة الثمن ودفع فواتير ونفقات، لذلك يصبح بدء العمل عن بعد أو العمل الافتراضي في الظهور.

والموظفون الافتراضيون يؤدون عملهم من منازلهم أو شركات وسيطة وهم يقدرون اليوم في سوق العمل بما لا يقل عن 35 ألفا يعملون مع شركات تمتد بامتداد خارطة

العالم، ويقدمون حلولا إدارية لمختلف أنواع الأعمال. وعند توظيف مساعد افتراضي، فالشركة لا تكون ملزمة بدفع النفقات الإضافية الخاصة بالتوظيف مثل الضرائب والتأمين أو الامتيازات الأخرى، فالمساعدون الافتراضيون يعملون على نفقتهم، ويعتبر العمل معهم مثله مثل أي صفقة تعاقدية.

وتتميز خدمات الموظف الافتراضي بالمرونة، ويمكن أن يتم تخصيصها وفقا لاحتياجات الشركة بشكل دقيق. لكن لا يمثل الموظفون الافتراضيون المعجزة التي ستحل كل مشاكل الشركة بالطبع، وهي مسألة ذات حدين. فعلى الجانب الآخر هناك عدد من الاحتمالات غير السارة والتي تستوجب الاستعداد والجاهزية للتعامل معها، إن برزت على السطح.

فإن كانت معرفة المساعد الافتراضي بخط الإنتاج والمعلومات الأساسية الخاصة بالشركة ضعيفة، فسينعكس هذا الضعف بشكل عام على الشركة.

وقد يكون من الصعب التواصل مع المتعاقدين عن بعد بشكل منتظم. ومعظم المتعاقدين يفضلون الرسالة الإلكترونية والمكالمات الهاتفية الجماعية "المؤتمر الهاتفي" على الاجتماعات الشخصية.

وقد يكون المساعد الافتراضي هو الثغرة التي يتسرب عبرها شيء قليل أو كثير من المعلومات شديدة الحساسية المتعلقة بشركتك، حال لم يتم الاتفاق على مبدأ سرية المعلومات المتداولة بغرض العمل.

جديد التكنولوجيا

❏ فيسبوك تعلن عن ميزة جديدة في تطبيق المحادثات بين مستخدمي شبكتها الاجتماعية، ماسنجر، تتيح إرسال واستقبال الأموال بين الأصدقاء. وأشارت فيسبوك إلى أن علامة الدولار الأميركي ($) ستظهر أعلى لوحة المفاتيح في تطبيق ماسنجر، وعند الضغط عليها سيتاح لمستخدمي التطبيق إرسال الأموال من حساباتهم البنكية إلى أصدقائهم.

❏ غوغل تبدأ تشديد الرقابة في المتجر التابع لها مُشكّلة فريقا خاصا لفحص التطبيقات الجديدة للبحث عن الخبيث منها والتي تحتوي على مواد جنسية صريحة، كما عززت نظام التقييم على أساس العمر الخاص بها. ويُعد التغيير الذي يجلبه غوغل بلاي، وهو سوق للألعاب الرقمية وتطبيقات التواصل الاجتماعي وبرامج الترفيه، قريبا من الرقابة المشددة التي تفرضها أبل على المتجر الخاص بها، لكن غوغل لا تتبنى ممارسة أبل التي توافق فقط على التطبيقات التي تلبي معايير الجودة الصارمة التي تفرضها.

❏ شركة "أدوبي" تزيح الستار عن "دوكيومنت كلاود"، وهي خدمة جديدة لتخزين ومشاركة وإدارة المستندات. ومن المقرر طرح خدمة دوكيومنت كلاود المدفوعة في غضون الأيام المقبلة.ووفقا لأدوبي، تمثل الخدمة الجديدة ثالث استثمار رئيسي لها في الحوسبة السحابية، بع خدمة كريتيف كلاود، وتطبيقات للتصميم، وخدمات "ماركتينغ كلاود".

❏ تويتر تطلق نسخة جديدة من تطبيق إنشاء ومشاركة مقاطع الفيديو القصيرة "فاين"، وتتميز هذه النسخة بعدة تحسينات في الأداء خاصة على مستوى سرعة تشغيل المقاطع. وقال مطورو فاين، عبر مدونة التطبيق الرسمية، إن مستخدمي النسخة الجديدة سيلاحظون تغيرا كبيرا في سرعة تشغيل مقاطع الفيديو، سواء كانوا يملكون اتصالا سريعا أو بطيئا بالإنترنت.

❏ هواوي تبدأ في إرسال دعوات لمؤتمر صحفي تعقده الشهر المقبل، والمزمع أن تكشف فيه عن هاتفها الذكي الجديد "هواوي بي 8"، الذي ستنافس به ضمن فئة الهواتف عالية المواصفات. وأوضحت الشركة خلال دعوتها أن الحدث سيقام في العاصمة الإنكليزية لندن، خلال الخامس عشر من أبريل المقبل، وهي الدعوات التي اكتفت الشركة بكتابة جملة "إنه قادم" على رأسها دون أن تؤكد من خلالها ما سيتم الكشف عنه خلال الحدث.

وتعد سلسلة "بي"، سلسلة الهواتف الذكية عالية المواصفات الرئيسية لدى شركة هواوي، والتي تطلقها لمنافسة بقية الهواتف.

ممارسة الرياضة خلال الدورة الشهرية تخفف من آلامها

المشي يساعد على تعديل المزاج وتخفيف انتفاخ البطن

اختلفت آراء الباحثين حول ضرورة ممارسة الرياضة من عدمها أثناء الدورة الشهرية، حيث دعت بعض الدراسات إلى الخلود إلى الراحة في فترة الحيض، بينما حث البعض الآخر على القيام ببعض النشاطات البدنية لما لذلك من تأثير إيجابي على وضع المرأة الصحي والنفسي.

□ **برلين** – أكد علماء ألمان أنّ ممارسة الرياضة أثناء فترة الحيض تسهم في تخفيف المتاعب البسيطة التي تنتاب المرأة قبل وأثناء الحيض، إذ تساعد على التخلص من تقلصات العضلات وتخفف من حدّة الاضطرابات المزاجيّة المصاحبة للمرأة خلال هذه الفترة، نتيجة التغيّرات الهورمونيّة الطارئة عليها.

وحذر الخبراء المرأة من ممارسة الرياضة على نحو مكثف أثناء الحيض، لأن ذلك قد يتسبب في اضطراب نزوله وربما يؤدي إلى انقطاعه تماما، وشددوا على ضرورة وجود الاستعداد البدني للقيام بأي نشاط رياضي قبل الشروع فيه.

كشف الأستاذ بالجامعة الرياضيّة الألمانيّة بمدينة كولونيا، البروفيسور الألماني إنغو فروبزوه، أنّ المرأة تكون قادرة على ممارسة الرياضة خلال فترات الطمث بنفس معدلات الأداء في الأوقات الأخرى، وربما أكثر، مستندا في ذلك إلى نتائج دراسات حديثة أثبتت أنّ أكثر من ثلثي النساء اللائي خضعن للفحص يتمتعن بنفس معدلات الأداء أو أكثر أثناء فترة الحيض، بينما تراجعت هذه المعدلات بنسبة قليلة للغاية لدى أقل من الثلث.

وأردف فروبوزه، أنّه عادة ما تتمتع المرأة بأفضل معدلات الأداء بعد انتهاء هذه الفترة.

وتوصي الكثير من الدراسات النساء بممارسة الرياضة قبل العادة الشهرية، حيث أظهرت الأبحاث أنهنّ يحرقن 30 بالمئة إضافية من الدهون، عندما يمارسن الرياضة خلال الأسبوعين اللذين يسبقان فترة الطمث. فخلال هذه الفترة ترتفع معدلات هرموني الأستروجين والبروجسترون، وهما يحثان الجسم على استخدام الدهون لتزويده بالطاقة.

يذكر أن الشهية تزداد عند المرأة، قبل الدورة بأسبوعين تقريبا، بسبب تغيير نسبة الأستروجين الذي بدوره يسبب تغييرات كيميائية في الدماغ. فتزداد الشهيّة عندها على الأطعمة الغنية بالوحدات الحرارية، الدهون، السكريات والملح. ولكن الإفراط بتناول هذه المأكولات يزيد من العوارض قبل الدورة بسبب عدم استقرار مستوى السكّر في الدم وأثبتت الدراسات أن من يمارسن الرياضة بانتظام تقلّ عندهنّ الشهية بسبب إفرازات مادة الإندورفين، المعروف بهرمون السعادة.

وقالت دراسات أخرى إن ممارسة التمارين الرياضية خلال العادة الشهرية تحديدا تساعد على تحسين الحالة المزاجية و تقلل الشعور بالألم المصاحب للحيض.

ومن بين الرياضات المحبذة خلال هذه الفترة الحساسة، المشي الذي يمنح إحساسا بالراحة ويساعد على حرق الدهون. ولا يمانع الأطباء من الجري أو الركض البطيء لأنه يخفف من الآلام ويزيد من إفراز مادة الإندروفين، لكن يشددون على الانتظام في شرب الماء طوال المسافة المقطوعة، لأن الباحثين يؤكدون أن المرأة تشعر بالجفاف أثناء الدورة الشهرية أكثر من الأيام العادية.

وتعتبر رياضة اليوغا من الرياضات المميزة للغاية والتي تعتمد علي دفع الطاقة السلبية من الجسم والشعور بالراحة، غير أن وضعياتها المعروفة ليست جميعها ملائمة لطبيعة جسم المرأة أثناء فترة الحيض، فالأوضاع المعكوسة غير محبذ ممارستها أثناء هذه الفترة، مثل قلب الجسم والارتكاز على الرأس، ولكن يمكن لها ممارسة تمرين الوقوف مشدودة القوام مع فتح الأرجل قليلا ورفع الذراعين للأعلى.

ويذكر أن الأيروبيكس والرقص أشبه بممارسة الحركات الرياضية، فالحركات الراقصة تمنح إحساسا بالانطلاق والحيوية مع قدرتها الفائقة على حرق الدهون. وبالتالي فإن أداء هذه الحركات يكون اختيارا جيدا، لمن لا ترغب في ممارسة التمارين الرياضية العادية، خاصة أثناء الدورة الشهرية لأن المرأة في تلك الفترة تشعر بحاجة لقليل من الحركة للتخلص من آلام البطن وانتفاخها. هذا إضافة إلى جو المرح الذي يضفيه الرقص على الحالة النفسية التي تتأثر بشدة في وقت الحيض.

> ممارسة الرياضة على نحو مكثف أثناء الحيض قد تتسبب في انقطاعه تماما

أظهرت بعض البحوث أن وقت الدورة الشهرية هو الوقت الذي ترغب فيه المرأة بشدة في الاسترخاء والمكوث في المنزل لمتابعة التلفزيون أو مشاهدة الأفلام. ومع ذلك حثت على استغلال ذلك في ممارسة الرياضة في المنزل دون اللجوء إلى قاعات الرياضة أو المناطق الخارجية المخصصة لهذا الغرض.

قال الباحث موئيل سيرز: لقد أظهر البحث الذي أجريناه على المدى البعيد أن النساء اللاتي يبدأن ممارسة التمارين الرياضية داخل أجوائهن المنزلية، كون ذلك يناسبهن، يكن أكثر احتمالا للاستمرار ببرنامج التمارين والمحافظة على خفة الوزن من اللاتي يتجهن إلى الأندية الرياضية. وقد تناولت الدراسة التي أجراها الباحثون في جامعة فلوريدا 49 امرأة بدينة وغير نشطة بحدود 190 رطلا و49 سنة من العمر. وطلب منهنّ ممارسة المشي المعتدل لمدة ساعة كل يوم ولـ5 أيام في الأسبوع. وقدمت لهنّ مشورة حول تخفيف الوزن وخطة للحمية الغذائية مع التشجيع على المواظبة على التمارين. وتم في الدراسة تقسيم النساء المشاركات إلى مجموعتين. تمرن أعضاء المجموعة الأولى على أجهزة المشي في أحد الأندية. فيما مارس أعضاء المجموعة الثانية المشي في الطرق. وبعد 6 أشهر كانت نسبة تخفيف الوزن متساوية تقريبا بين المجموعتين، وكذلك نسبة المشاركة في التمارين والحالة الصحية العامة، ولكن بعد مضي سنة كاملة كانت المجموعة التي تمارس التمارين في المنزل متقدمة كثيرا. وبعد 15 شهرا كان أعضاء هذه المجموعة قد فقدوا وزنا أكثر بكثير مما فقده أعضاء الفريق الآخر، حيث بلغ متوسط الخسارة 25 رطلا في المجموعة الأولى و15 رطلا في الثانية. وبعد 12 شهرا انسحب 7 أعضاء من ممارسة التمارين في المقابل انسحبت امرأة واحدة من مجموعة التمارين المنزلية.

وقال الخبير الفيزيولوجي ريتشارد كوتن، الناطق باسم المجلس الأميركي للتمارين، إن المغزى الكبير من الدراسة هو أن ممارسة التمارين في المنزل لها قيمتها فعلا وأن الذهاب إلى ناد رياضي يجده الكثيرون غير مناسب.

النشاط المنتظم يقلل الشهية والنهم

وأظهرت دراسة أن ممارسة التمارين الرياضية في المنزل قد يكون أكثر فائدة من التمرين في ناد رياضي. وقد اكتشف الباحثون أن النساء اللواتي يمارسن الرياضة في المنزل يفقدن وزنا أكثر ويصبح شكلهن أحسن من اللواتي يمارسن التمارين في النوادي الخاصة. وجاء في الدراسة التي نشرت في مجلة "الاستشارات"، التي تصدر عن الجمعية الأميركية لعلم النفس أن النساء البدينات الخاملات بوسعهن تنفيذ برنامج للتمارين في المنزل.

وأكد استفتاء أميركي أجري في 6 ولايات أن 34 بالمئة من الفتيات والنساء لا يفضلن ممارسة الرياضة بشكل منتظم اعتقادا منهن أنها تؤثر على أنوثتهن. وتؤكد التقارير الصحية أن أعمال المنزل العادية أفضل أنواع الرياضة التي تناسب تكوين المرأة.

وتساعد المشاركة في الأعمال المنزلية و لو بنسبة قليلة في التقليل من القلق والضغوطات النفسية وتحسن المزاج العام.

وتصّنف رياضة الأعمال المنزلية أنها من الرياضات متوسطة الشدة، وذلك بناء على مقدار السعرات الحرارية التي يتم حرقها أثناء ممارستها، فمقارنة بالمشي لمدة ساعة الذي يحرق حوالي 287 سعرة حرارية، فإن استعمال المكنسة الكهربائية للكنس مثلا لمدة ساعة يحرق حوالي 193 سعرة حرارية ومسح الأرضيات يحرق حوالي 193 سعرة حرارية والكي يحرق 113 سعرة حرارية وتنسيق الحديقة المنزلية يحرق 287 سعرة حرارية.

أجريت دراسة في 9 دول أوروبية وشملت أكثر من 200.000 امرأة، واستمرت لأكثر من 6 سنوات، كان الغرض منها معرفة مدى تأثير ممارسة الرياضة على الإصابة بسرطان الثدي. وأفرزت نتائج الدراسة أن النساء اللاتي يمارسن الأعمال المنزلية قلت احتمالية إصابتهن بسرطان الثدي بنسبة 30 بالمئة.

وأظهرت دراسة أخرى أن احتمالية الإصابة بسرطان بطانة الرحم تقل بنسبة 52 بالمئة عند النساء اللاتي يمارسن الأعمال المنزلية، بينما تقل بنسبة 34 بالمئة عند اللاتي يمارسن أنواعا أخرى من الرياضة.

الشوكولاتة تحفز الرغبة الجنسية عند الرجل والمرأة

□ **لندن** – أظهرت الدراسات أن تناول الشوكولاتة بانتظام يوميا يحفز الرغبة الجنسية لدى النساء والرجال على حد سواء.

أوضح أخصائيو التغذية والسمنة وعلاج الألم أن سر الإحساس بالابتهاج والراحة النفسية بعد تناول الشوكولاتة يرجع إلى مادة الكافيين الموجودة فيها التي تعتبر منشطا فعالا للجهاز العصبي وعاملا مهما يخلصه من التعب والإجهاد، فيتولد على الفور إحساس بالراحة والهدوء والسعادة.

> مادة «الفينيل-تيلامين» الموجودة في الشوكولاتة تساهم في إنتاج هرمون الأندروفين المهدئ الطبيعي للأعصاب

هذا وتحتوي الشوكولاتة على نسبة من السكر تساعد على رفع مستويات هرمون السيروتونين المنظم لمزاج الإنسان.

وأكدت دراسة إيطالية أن النساء اللاتي يتناولن الشوكولاتة بشكل يومي أكثر سعادة في حياتهن الجنسية وتزداد لديهن الرغبة فيها. فهي تحتوي على مواد كيميائية تسبب الاسترخاء والشعور بالنشوة والمتعة، إذ أن مادة "الفينيل-تيلامين" الموجودة فيها تساهم في إنتاج هرمون الأندروفين المهدئ الطبيعي للأعصاب، بالإضافة إلى ذلك فإن الكاكاو يحمل فوائد صحية لاحتوائه على مضادات للأكسدة. ووفقا للدراسة الإيطالية المنشورة في مجلة "الصحة الجنسية"، فإن الشوكولاتة يمكن أن توفر تعزيزا للرغبة والمتعة الجنسية بين الزوجين. ووجد الدكتور أندريا سالونيا وفريق بحثه أن النساء اللاتي تناولن الشوكولاتة كن أكثر رغبة في مباشرة العلاقة الزوجية من اللاتي لم يتناولنها. وثمة دراسة أخرى أجريت في جامعة ستراثكلايد البريطانية أكدت أن الشوكولاتة مفيدة جدا لزيادة الرغبة الجنسية عند الرجال والنساء، حيث أشار العالم الغاني روبرت أفواكوا الذي أجرى البحث إلى أنها تحتوي على الفينيل إيثيل أمين وهو ناقل عصبي له أثر منشط وأيضا السيروتونين وهما مركبان يساعدان في تحسين الحالة المزاجية وزيادة الرغبة الجنسية.

الشوكولاتة الداكنة تحتوي على مواد كيميائية تسبب الشعور بالنشوة

وقالت دراسة مقتضبة لجامعة مكسيكو الأميركية إن الهستيريا النسائية التي يسمونها بتحرر المرأة في ستينات القرن الماضي كان وراءها الاستهلاك المفرط للشوكولاتة التي تعتبر من المواد الدسمة التي تمنح نشاطا للدماغ ليشعر الإنسان بالسعادة أحيانا والإثارة أحيانا أخرى.

وأضافت الدراسة الأميركية أن أطباء القرن الـ20 كانوا يعتقدون بأن انتشار الحلويات بأنواعها على نطاق واسع قد سبب الهستيريا النسائية، ولكن استطلاعا للرأي بين أطباء القرن الـ21 (أطباء اليوم) أظهر أن الشوكولاتة بالتحديد من كان وراء هذه الهستيريا وليست الحلويات الأخرى.

وأوضحت الدراسة أن المرأة في الغرب على وجه الخصوص أدمنت الشوكولاتة الأمر الذي سبب لديها نوعا من هستيريا البحث عن الحرية والاستقلالية لأن مادة الكاكاو الموجودة فيها تحرض الدماغ على الاندفاع وراء نشاط ما بشكل مبالغ فيه إن كان من حيث الشعور بالسعادة أو التهور في اتخاذ مواقف متطرفة أحيانا، وبخاصة إذا كان هناك إدمان على هذه الحلوى الأكثر أناقة في عالم الحلويات.

الحركة النسائية المغربية: المآل والآمال

المرأة قوة أساسية في بناء المشروع الحداثي الديمقراطي المغربي

أدركت المرأة المغربية منذ عقود أن وضعها الاجتماعي المتردي يرجع بدرجة أولىٰ إلىٰ غياب التشريعات والقوانين التي تكفل حقها في مختلف المجالات، فسارعت مجموعة من رائدات الحركة النسائية المغربية المتعلمات والحقوقيات إلىٰ خوض معركة كسب الحقوق. ومثلت القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية وقوانين الأسرة أولىٰ جولات المعركة التي ناضلت من أجلها المغربيات لتصطدم بجدار صد يأبىٰ الاعتراف بأبسط حقوقها الاجتماعية تمثل في الأطراف المتشددة في الحكومة وفي فصائل الإسلام السياسي.

سعيد ناشيد

نشأت الكثير من التنظيمات النسائية وتوحدت حول شعار محوري «من أجل تغيير شامل وجوهري لمدونة الأحوال الشخصية»

❏ كانت سنوات الـ80 من القرن الماضي في المغرب عصرا ذهبيا للحركة النسائية، وكان الأمر أشبه ما يكون بربيع نسائي ازدهرت فيه الحركة الاحتجاجية النسائية جراء عاملين أساسيين: أولا، أجواء النضال الديمقراطي التي أفضت إلىٰ إعلان ميلاد الكتلة الديمقراطية يوم 17 مايو 1992، وصولا في الأخير إلىٰ ما يسمّىٰ بتجربة حكومة التناوب بقيادة رئيس الوزراء الأسبق عبدالرحمان اليوسفي في 14 مارس 1998، وثانيا، الدينامية التي مثلتها رائدات الكفاح النسائي المغربي المنحدرات من تقاليد يسار سنوات الـ70، أمثال لطيفة جبابدي وعائشة الخماس وزهور العلوي، واللواتي أسسن في فبراير 1983 أول تنظيم نسائي بالمغرب، اتحاد العمل النسائي، ثم أصدرن بعدها صحيفة "8 مارس ، التي لعبت دورا كبيرا في تجميع الناشطات والمثقفات والمناضلات الحقوقيات واليساريات وكل من امتلك وعيا مبكرا بأهمية قضايا المرأة في بناء المشروع الحداثي الديمقراطي. ساهمت صحيفة "8 مارس في بلورة وعي نسائي نقدي، لا سيما بعد أن نشرت استطلاعات صادمة حول مسألة الطلاق، أطلقت علىٰ أثرها "حملة وضع الطلاق بيد القضاء" وكرست لها الأعداد 27، 28 و29 (8 مارس - أبريل - مايو 86)، فخلفت الجريدة بذلك حركية غير مسبوقة وسط المجتمع المدني المغربي.

في أواخر العقد الثامن من القرن الـ20 قام اتحاد العمل النسائي، والذي كان جزءا من اليسار الجذري، بإطلاق العديد من المبادرات بغاية المطالبة بتغيير مدونة الأحوال الشخصية (قانون الأسرة)، فانعقدت محاكمة رمزية شهيرة لبنود مدونة الأحوال الشخصية تبعتها مبادرة حملة المليون توقيع، والتي انطلقت يوم 8 مارس من عام 1992 ومكنت المناضلات والمناضلين من التواصل المفتوح مع المواطنين في مختلف شوارع العاصمة الرباط وبعض المدن الأخرى. فضلا عن فتح ملفات كانت إلىٰ وقت قريب تبدو حساسة، مثل تجريم التحرش الجنسي وحقوق خادمات البيوت. وهو ما أفضىٰ في الأخير إلىٰ انطلاق صيرورة لتغيير مدونة الأحوال الشخصية، سرعان ما انخرطت فيها كافة الأحزاب -باستثناء فصائل الإسلام السياسي- ثم قبلتها الدولة في الأخير.

سرعان ما انفصل اتحاد العمل النسائي عن اليسار الجذري الذي نشأ فيه وانخرط في دينامية النسق السياسي العام.

وتلك تجربة الكثير من مبادرات اليسار الجذري في المجتمعات الغربية بالنظر إلىٰ الموضوعات غير الانتخابية (المرأة، الأقليات، الإجهاض، المثلية إلخ).

في تلك الأثناء نشأت الكثير من التنظيمات النسائية وتوحدت حول شعار محوري "من أجل تغيير شامل وجوهري لمدونة الأحوال الشخصية"، مع التركيز علىٰ المطالب الأساسية التي تشكل العمود الفقري للتغيير المنشود:

إشراك المرأة في صياغة قانون الأسرة، رفع سن الزواج إلىٰ 18 سنة، جعل الطلاق بيد القضاء، رفع الولاية عن المرأة الراشدة، إلغاء أحكام بيت الطاعة، منع تعدد الزوجات، التنصيص علىٰ المسؤولية المشتركة للزوجين علىٰ الأطفال، خلق صندوق لتغطية النفقة مباشرة بعد الطلاق، التنصيص علىٰ اقتسام الممتلكات المتراكمة أثناء الزواج بعد الطلاق، الاعتراف بحق إثبات النسب بالطرق العلمية الحديثة (ADN) لحماية حقوق الأطفال.

مع بدء ما يسمىٰ بحكومة التناوب عام 1998، والتي منحت للمجتمع المدني شحنة قوية، عقدت الحركة النسائية أملها علىٰ حكومة السيد عبدالرحمان اليوسفي في شخص كاتب الدولة وقتها السيد سعيد السعدي حول مشروع خطة للنهوض بأوضاع النساء، فتكلل الجهد بوثيقة اعتبرت مجرّد حد أدنىٰ توصلت إليه الحكومة والحركة النسائية تحت عنوان "مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية". ورغم أن المشروع إياه لم يستجب لكل المطالب النسائية، إلا أنّ أغلب التنظيمات اعتبرته خطوة إيجابية في انتظار خطوات أخرى، لكنه للأسف اصطدم باعتراض الإسلام السياسي ومعه بعض العقليات الأصولية المتغلغلة في دواليب الدولة. وبدا الأمر كما لو أنه خذلان من داخل حكومة التناوب عندما حرض وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المجالس العلمية للتصدي للمشروع. ثم انهالت بيانات المجالس العلمية لغاية تسفيه وتتفيه مطالب الحركة النسائية، وانضمت إلىٰ الأبواق المعادية كافة فصائل الإسلام السياسي وعلىٰ رأسها حزب العدالة والتنمية، لا سيما جناحه الدعوي المتمثل في حركة الإصلاح والتوحيد، هذا الأخير الذي قاد هجوما مضادا وأخرج مسيرات واحتجاجات ضد تغيير مدونة الأسرة بدعوى عدم المساس بالشريعة، وبدأت شعارات التكفير تعلو في الأجواء وقد اتّسمت تدخلات أعضاء حزب العدالة والتنمية وقتها في البرلمان بمحاولات تشويه وتسفيه المطالب النسائية، وكثيرا ما حاولوا صرف الانتباه وتوجيه الأنظار إلىٰ قضايا جانبية من قبيل "منع بيع الخمور في الطائرات"، و"وقف جلسات البرلمان أثناء أوقات الصلاة" إلخ.

أمام تلك الحملة المعادية عملت الحركة النسائية علىٰ تطوير أدائها، فأفرزت هذه المرحلة تنسيقين مهمين: الجبهة من أجل حقوق المرأة وشبكة دعم خطة إدماج المرأة في التنمية. وأصبح الفرز واضحا بين مشروعين مجتمعيين :

– المشروع الحداثي الديمقراطي الذي يروم أفق التنوير: الحرية، الكرامة، المساواة، السلام.

– المشروع الأصولي الماضوي الذي يخترق المجتمع والدولة ويروج لفكرة أن ليس بالإمكان أفضل مما كان.

في تلك الأجواء من الاصطفاف لم تعول الحركة النسائية علىٰ الارتجال، وإنما جندت كل طاقاتها التنظيمية والفكرية والإعلامية والتواصلية واستعانت بالمتخصصين في مجال الفقه من العلماء المتنورين وبعض الباحثين وعلماء الاجتماع والقضاة والمحامين، وفي وقت قياسي أنجزت الدراسات التحليلية والبحوث الميدانية التي دحضت الأسس الفقهية التي يعتمدها الإسلام السياسي.

لقد ظهرت الفجوة واسعة والشرخ كبيرا بين مختلف فصائل الحداثة ومختلف فصائل الإسلام السياسي بخصوص قضايا المرأة أكثر ما ظهر بخصوص أي ملف آخر وهو ما عكسه الحراك الاجتماعي ليوم 12 مارس من عام 2000، حيث سارت مسيرتان ضخمتان في نفس اليوم: الأولىٰ، مسيرة الحركة النسائية بالرباط تطالب بتغيير قانون الأسرة حتىٰ يرقىٰ إلىٰ مستوى القوانين الحديثة، والثانية، مسيرة الإسلام السياسي في الدار البيضاء تطالب بالحفاظ علىٰ نفس المدونة باعتبارها من ثوابت الشريعة الإسلامية. علىٰ أثر ذلك الانقسام الاجتماعي الحاد أعلن العاهل المغربي عن تشكيل اللجنة الملكية لتعديل مدونة الأسرة وهي اللجنة التي ضمت علماء متنورين وزعماء سياسيين وخبراء فنيين في محاولة منه لإخراج النقاش حول هذه الموضوعات الحساسة من دائرة الشارع والمزايدات الشعبوية. وهو ما تفاعلت معه الحركة النسائية بإيجابية.

عموما، لقد حققت الحركة النسائية إنجازا هاما في مستوى مدونة الأحوال الشخصية. وهذا ما تكشفه التعديلات الأخيرة، من قبيل:

الإقرار بمبدأ المساواة في المسؤولية المشتركة علىٰ الأسرة، رفع الولاية علىٰ الراشدة، رفع سن الزواج إلىٰ 18 سنة، الطلاق الاتفاقي، التخلي عن مبدأ القوامة والطاعة مقابل الإنفاق، تقسيم الممتلكات المتراكمة أثناء الزواج بعد الطلاق، الحرص علىٰ حماية حقوق الأطفال، جعل بيت الزوجية من حق الأطفال والحاضن..

وأهم إنجاز تم هو جعل مدونة الأسرة قانونا ضمن سائر القوانين الوضعية الأخرى من اختصاص البرلمان مناقشته. وبهذا النحو يكتمل رفع القداسة عنها؟ وبفضل نزع القداسة تلك أصبح بإمكان البرلمان مناقشة قضايا أخرى كانت إلىٰ وقت قريب ضمن المقدسات، مثل قضية تقنين الإجهاض المثارة في هذه الأيام.

لقد أكدت التجربة بالملموس أن الحركة النسائية بالمغرب شكلت الجبهة الأكثر استماتة في مواجهة الإسلام السياسي بشقيه المعارض والمخزني. لكن هناك مسألة أخرى كشفتها التجربة المغربية، ما هي؟ خلال مداولات اللجان البرلمانية حول مشاريع ومقترحات القوانين، لا يحضر أعضاء الإسلام السياسي بكثافة إلا حين يتعلق الأمر بالمواضيع ذات العلاقة بالحريات الفردية والمساواة الجنسية

> ليس أمام الحركة النسائية المغربية سوى أن تواصل الطريق وهي اليوم أمام معارك إصلاحية كبرى لا تتعلق بقانون الأسرة وحسب، وإنما ثمة الكثير من القضايا التي تتعلق بالقانون الجنائي

وبهدف إشهار فيتو الشريعة في الوقت المناسب، لكنهم أيضا سرعان ما يتوقفون عن نقد القانون عندما يصبح القانون ساريا، فينتظرون المعركة القادمة. إنها نفس الحلقة المفرغة في غالبية الدول الإسلامية.

ليس أمام الحركة النسائية المغربية سوى أن تواصل الطريق وهي اليوم أمام معارك إصلاحية كبرى لا تتعلق بقانون الأسرة وحسب، وإنما ثمة الكثير من القضايا التي تتعلق بالقانون الجنائي، مثل الإجهاض والعلاقات الجنسية الإرادية بين الأشخاص الراشدين والتحرش، وثمة قضايا تتعلق بصورة المرأة في مناهج التعليم، لا سيما بالنسبة للمواد الدينية، وهي مواضيع ليست سهلة، لا سيما في واقع تتلبد به غيوم الردة إلىٰ عصور وسطىٰ جديدة. وفي كل الأحوال فقد كانت الحركة النسائية المغربية وستبقىٰ قوة دفع أساسية في بناء المشروع الحداثي الديمقراطي. ولذلك السبب فإنها ستبقىٰ أيضا هدفا لضربات القوى الأصولية والمحافظة سواء أكانت هذه القوى داخل الدولة أم داخل المجتمع.

> أهم إنجاز تم هو جعل مدونة الأسرة قانونا ضمن سائر القوانين الوضعية الأخرى من اختصاص البرلمان مناقشته ومناقشة قضايا أخرى كانت إلى وقت قريب ضمن المقدسات

احذرن الرجل الودود صاحب الابتسامة العريضة

شهامة الرجال تبطن تحيزهم ضد النساء

الرجال الذين يفتحون الأبواب أمام النساء ويبتسمون لهنّ هم في الواقع متحيزون ضد المرأة وعنصريون بشكل غير ظاهر للعلن، وفق ما أكدته دراسة حديثة.

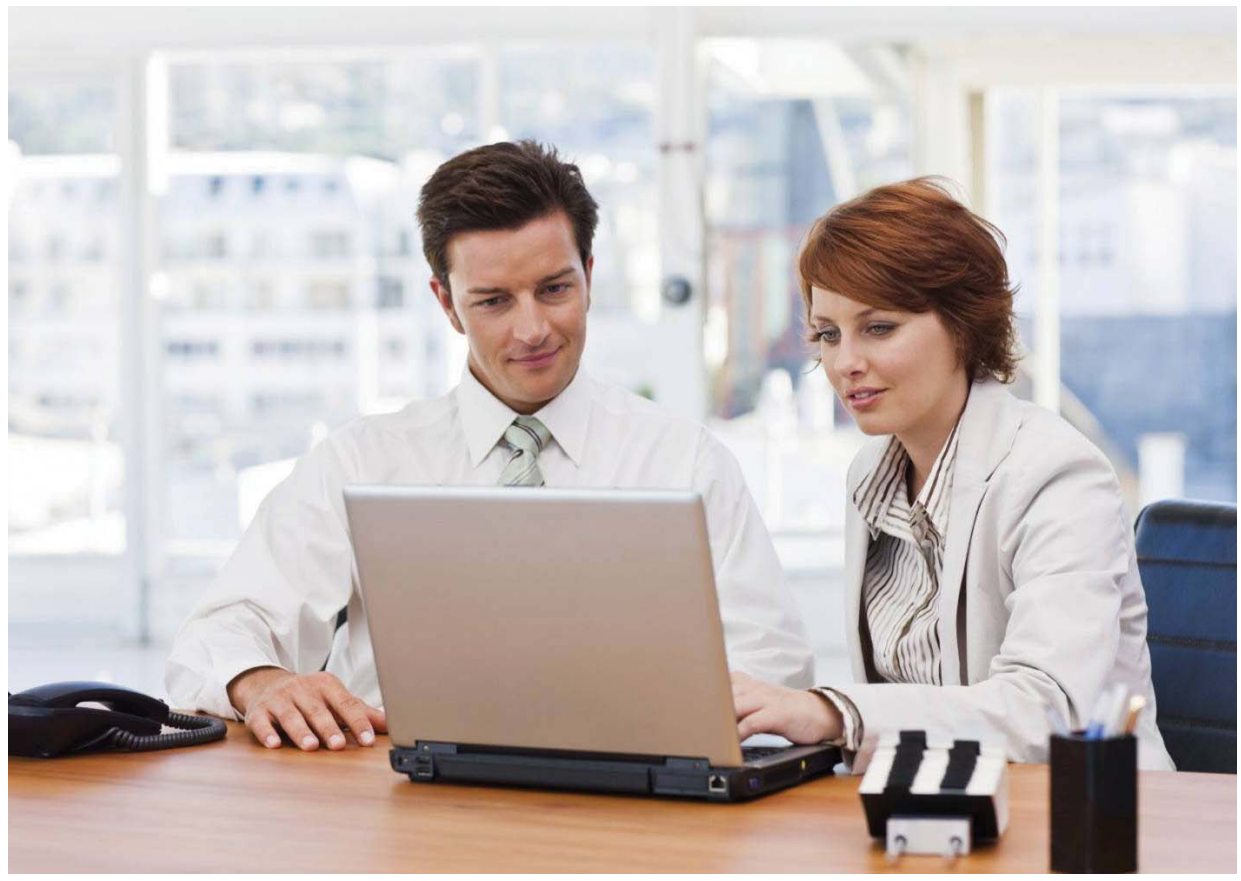

تمجيد النساء يوحي ضمنيا بأنهن ضعيفات والأنسب لهن هي الأدوار التقليدية

□ **واشنطن ـ** قالت دراسة أميركية أنجزت مؤخرا: "إذا كنت من نوع الرجال الذين يفتحون الباب للسيدات أو كنت من النساء اللاتي تتوقع ذلك منهم فكن حذرات"، إذ قد تكون أعمال الشهامة هذه مجرد تمييز جنسي خير، ولكن بشكل مموه.

وكشف الباحثون الأميركيون أن هذا النوع من التمييز على أساس الجنس هو أصعب من "التمييز العدائي على أساس الجنس ، لأنه غالبا ما يغير الرجل شكله ليصبح أكثر شهامة ويتجسد ذلك من خلال السلوك الودود وابتسامات التشجيع أثناء فتح الأبواب.

وأوضحوا أنه في حين أن النساء قد تستمتع بذلك الاهتمام، إلا أنَّ التحيز الجنسي الخير يعد "غدرا" والرجال الذين تثبت إدانتهم بذلك يرون أن النساء كائنات غير كفء ويحتجن إلى حمايتهم.

وبين جوديث هول أستاذ جامعة "نورث إيسترن" في بوسطن أنّ "التحيز الجنسي الخير يشبه الذئب في ثياب الحمل الوديع الذي ينشر دعم مساواة الجنسين بين النساء ويفترض أن تعزي هذه الإيماءات حسن النية لقبول الوضع الراهن في المجتمع، حيث يبدو التمييز على أساس الجنس مرحبا به وجذابا وغير ضار بالنسبة إلى النساء".

ونظم الأستاذ هول بين 27 رجلا ونساء لم يلتقوا بهنّ قط من قبل مسابقة للعب ووقت للدردشة بعد ذلك وبيّن أنّ إجابات الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 18 إلى 22، تهدف إلى الكشف عن المواقف المتحيزة ضد المرأة.

وتشمل أمثلة التمييز العدائي على أساس الجنس الاتفاق على أنّ المرأة تميل إلى التهويل من مشاكل العمل في حين أن الشخص الذي لديه تحيز جنسي خير سيعتقد بأنّه ينبغي إنقاذ النساء قبل الرجال من السفينة الغارقة.

> من مواصفات التمييز الجنسي العدائي أن الرجل يمنع المرأة من ممارسة الرياضة في النوادي ودائم الصراخ في وجهها ويترك أعمال المنزل لزوجته ويعتقد بأن المرأة التي تطالب بالمساواة تحتاج لمعاملة خاصة

وكشفت نتيجة الاستطلاع أنّ الرجال الذين جاءت إجاباتهم لتصنفهم كمنحازين خيرين هم الذين كانوا يبتسمون ويدردشون مع النساء طوال الوقت.

وقال باحثون لمجلة "أحكام الجنسا" إنّ مثل هذا السلوك قد يكون حسن النية ولا يعني هذا أنه ليس ضارا، لا سيما أنّ الرجال الذين ثبتت إدانتهم بالتمييز الخير على أساس الجنس يرون المرأة على أنها دافئة ونقية، ولكن بلا حول ولا قوة وغير كفء.

وذكر الباحث المشارك في الدراسة، جين جوه، أنّ "الرجال الذين لديهم تمييز جنسي خير لديهم قابلية أكثر للتضحية بأنفسهم لإنقاذ وحماية المرأة، إذ ينظرون للمرأة على أنها المخلوق الأضعف في الوقت نفسه". وأضاف أنه إذا لم يتم فهم التمييز على أساس الجنس بنوعيه الخير والعدائي سيظل التمييز الجنسي الخير واحدا من الدوافع القوية وراء عدم المساواة بين الجنسين، ولكن يزعم النقاد بأنّه لا توجد مشكلة مع الرجال الذين يحاولون حماية النساء، خصوصا أنهم الجنس الأقوى جسديا.

وأكدت دراسة سابقة أن إرسال رسائل عن التمييز على أساس الجنس يمكن أن يحسن من رفاهية النساء لأنه يسمح لهن بالتعبير عن أنفسهن بطرق مريحة لهن ويمكن أن تحدث فرقا كبيرا.

وقالت ميندي فوستر من جامعة ويلفريد لوريه، كندا، "نحن نعرف أن النساء يمكن أن يتضررن كثيرا عند التعرض لحادثة من التمييز على أساس الجنس والتي يمكن أن يكون الرد عليها أمرا مرهقا وخطرا".

وتابعت فوستر قائلة "ومع ذلك، توضح هذه الدراسة كيف أن التغريد علناً لديه القدرة على تحسين رفاهية المرأة".

ولإنجاز الدراسة تم اختيار 93 طالبة من المرحلة الجامعية بشكل عشوائي للقيام بواحد من 3 شروط متعلقة بالتغريد على توتير خلال فترة تستغرق 3 أيام.

وتلقت جميع المشاركات معلومات على مدى 3 أيام بشأن قضايا الساعة حول التمييز على أساس الجنس في السياسة، وسائل الإعلام والجامعات ليغردن عنها. وطلب من المجموعة الأولى أن تغرد علنا والثانية أن تغرد عبر الرسائل الخاصة، بينما لم تغرد المجموعة الثالثة إطلاقا.

ثم أكملت جميع المشاركات استبيانات حول المزاج والرفاهية بشكل عام بعد التغريد.

وكشف التحليل أن مجموعة النساء اللاتي غردن علنا كن الأكثر سعادة ورضا في اليوم الثالث. ولم تظهر لدى المجموعتين الأخريين أي تغييرات في مستوى السعادة أو الرفاهية.

وذكر كاتب السياسة الاجتماعية، جيل كيربي، أنّ هناك أوقاتا يجب أن تشعر المرأة فيها بالحماية من الرجل ويجب أن نقبل ذلك ولا نسعى إلى القضاء على تلك الغريزة الجيدة.

وظهر أنّ من مواصفات التمييز الجنسي العدائي أنّ الرجل يمنع المرأة من ممارسة الرياضة في النوادي ودائم الصراخ في وجهها ويترك أعمال المنزل لزوجته ويعتقد بأنّ المرأة التي تطالب بالمساواة تحتاج لمعاملة خاصة، كما يقول إنّ معظم ملاحظاتها البريئة هي تمييز جنسي.

وحدد مواصفات التمييز الجنسي الخير، مشيرا إلى أنّ الرجال يفتحون الأبواب للسيدات وينادونهن بـ"عزيزتي" أو "محبوبتي" ويدفعون الفواتير ويعرضون سترتهم إذا شعرت المرأة بالبرد، كما يقولون إنّ المرأة الجيدة يجب أن يصنع لها تمثال ويقولون إنّ الرجال يجب أن تضحي من أجل حماية النساء.

وأشارت الدراسات إلى أن التحيز الخيّر يكشف أن بعض أشكال التحيز الجنسي بالنسبة للجاني خيّرة ذاتيا تسم النساء بأنهن مخلوقات نقية ينبغي حمايتهن، دعمهن، وعشقهن وأن حبهن للرجل ضروري لجعله كاملا. إلا أن هذا التمجيد للنساء يوحي ضمنيا أنهن ضعيفات والأنسب لهن هي الأدوار التقليدية بين الجنسين، والرجل الذي يفعل ذلك على الأرجح يفسره على أساس أنه إعزاز، بدلا عن تقييد لها وقد توافقنه الكثيرات في ذلك.

وأكدت أنه على الرغم من أن التحيز الجنسي الخيّر يحظى بقبول اجتماعي أكبر، إلا أنه يتكامل بصورة مصيرية مع التحيز العدائي، حيث يساعد على تهدئة مقاومة النساء ضد عدم المساواة بين الجنسين في المجتمع.

الأحذية المسطحة تتربع على عرش الموضة في ربيع 2015

□ **برلين** – تتربع الأحذية المسطحة على عرش الموضة النسائية في ربيع/صيف 2015 لتمنح المرأة إحساسا بالراحة والخفة. فهي تخطف الأنظار إليها هذا الموسم بألوانها الزاهية والمعدنية ونقوشها الجذابة المستوحاة من الطبيعة.

وقالت خبيرة الأحذية الألمانية كلاوديا شولتس إن الحذاء بلا رباط (Slip-on) يشهد رواجا كبيرا هذا الموسم، موضحة أنه يشبه الحذاء الرياضي، ولكنه يشتمل على لسان بدلا من الأربطة. ويعد هذا الموديل مثاليا للمرأة كثيرة التنقل أو السفر.

وأضافت شولتس أن الاسبادريل يحظى بإقبال كبير هذا الموسم أيضا، موضحة أنه يتمتع بنعل نحيف وخفيف ويصنع عادة من الكتان أو القطن، لذا فإنه يعد خيارا مثاليا في ذروة الصيف بصفة خاصة.

بديل أنيق

ومن جانبها قالت خبيرة الموضة الألمانية إنيس مايروزه إن اللوفر يعد البديل الأنيق للموديلين السابقين، موضحة أنه يأتي هذا الموسم بقصّة واسعة ومقدمة مدببة ما يكسب الأقدام مظهرا أطول. وأضافت مايروزه أن هذه الأحذية المسطحة تتناغم مع التنانير والفساتين أو سراويل الجينز الضيقة والملتصقة بالجسم "سكيني" أو سراويل البرمودا.

وأشارت شولتس إلى أن الأحذية الرياضية تطل هذا الموسم بتصاميم جذابة ذات ألوان زاهية، إلى جانب التصاميم البسيطة المستوحاة من أحذية لاعبي التنس، وإن بدت كما لو كانت منحوتة.

وبالنسبة للصنادل يشهد هذا الموسم عودة قوية لصندل الرومان، الذي يمتاز بأربطته، التي تزين الساق حتى الركبة، إلى جانب الموديل (T-Strap)، والذي يمتاز برباط يلتف حول ظهر القدم ليطوّق الكاحل بشكل مستدير.

ألوان زاهية

وتزهو الأحذية المسطحة هذا الموسم بدرجات الأزرق والأحمر مثل التركواز والوردي والفوشيا. كما تتلألأ بعض الموديلات بالألوان المعدنية، لا سيما الذهبي المائل للوردي والنحاسي مع الألوان الشفافة. ومن ترغب في إطلالة أكثر هدوء وبساطة فستجد ضالتها في الموديلات ذات الألوان الطبيعية الفاتحة مثل الأبيض والبيج والرمادي الفاتح والدرجات الرملية.

نقوش تستلهم الطبيعة

كما تزدان الأحذية المسطحة هذا الموسم بنقوش مستوحاة من الطبيعة، لا سيما نقوش جلود الحيوانات مثل نقوش الثعابين والأبقار والحمار الوحشي، والتي تمنح المرأة إطلالة جريئة لافتة للأنظار.

ومن ترغب في إطلالة أكثر رقة وأنوثة فستجد ضالتها في الموديلات المزدانة بنقوش الزهور، إلى جانب توليفات الأبيض والأسود الكلاسيكية، والتي تزدان بالخطوط والكاروه والأشكال الهندسية العصرية.

وإلى جانب النقوش المستوحاة من الطبيعة تزدان بعض موديلات الأحذية المسطحة بالفتحات، التي تحيط بالحذاء من المقدمة إلى الكعب من أجل توفير تهوية جيدة، بالإضافة إلى بعض حليات الزينة كالأهداب واللآلئ والمظهر الشبكي.

وأشارت مستشارة المظهر الألمانية زيلكه غيرلوف إلى أنه على الرغم من الطابع الرياضي السائد هذا الموسم، إلا أن بعض موديلات الأحذية المسطحة تأتي بنعل مخروطي أو سميك لتستلهم روح السبعينات.

طبق اليوم

لحم الضأن مع صلصة البيستو

المقادير:

- 400 غرام شريحة فيليه الضأن
- ملعقة صغيرة ملح وفلفل أسود
- ملعقة كبيرة زعتر مجفف
- 500 غرام من الجزر الصغير
- حبة بصل
- 50 غرام زبدة
- كوب ماء
- ملعقة كبيرة سكر أو عسل
- ملعقة كبيرة خل
- ملعقة كبيرة زيت بذور العنب
- 80 غرام من الفستق الحلبي
- 100 مللتر زيت الزيتون
- فص ثوم

طريقة الإعداد:

- يتبل لحم الضأن بالملح والفلفل والزعتر ويترك في الثلاجة بدون غطاء أثناء الليل.
- يخرج الضأن من الثلاجة قبل الطهي بـ30 دقيقة.
- تسخن مقلاة من الحديد الصلب ويضاف إليها زيت بذور العنب ويحمّر الضأن من كل الجهات على نار عالية.

يترك اللحم جانبا لمدة 15 دقيقة في مكان دافئ.

- يقطع الجزر قطعا متساوية ويوضع في مقلاة كبيرة.
- يضاف الملح والسكر والزبدة والبصل وتسكب كمية من الماء وتكون كافية لتغطيتهم.
- يتم غلي المزيج وعندما يتبخر الماء يضاف الخل ويغطى المزيج.
- لتحضير صلصة البيستو يوضع كوب الجزر المقطع مع الفستق الحلبي والثوم وزيت الزيتون والملح في الخلاط وتخلط المكونات.
- يتم تقطيع لحم الضأن ووضع الجزر إلى جانبه مع بعض الزينة من صلصة البيستو.

موضة

أزياء زهير مراد تجمع بين التجديد والتنوع

□ "ملكة الثلج" كانت مصدر وحي المصمّم اللبناني زهير مراد في مجموعة أزيائه الجاهزة لخريف وشتاء 2015 التي قدّمها مؤخرا خلال أسبوع باريس للموضة، حيث تركت بصماتها على تصاميمه من حيث الألوان والخامات والقصّات والتطريز.

وتجلّت الشفافية في الأزياء بكل مهارة في معظم الإطلالات واستعان المصمّم بالدانتيل كأحد الأقمشة الأساسيّة في أزيائه للخريف والشتاء المقبلين، ولكنّه أعاد تطريزه مضيفا عليه لمسات من الغنى والفخامة.

ولاحظ الحاضرون أن زهير مراد حرص على عنصري التجديد والتنويع في هذه المجموعة، بحيث اجتمعت فيها أكثر من فكرة عمل على تطويرها ببراعة، مثل الإطلالات التي تميّزت بأكمام على شكل "كاب" والتطريزات التي ابتعدت عن الورود متّجهة نحو تصميم كريات الثلج بزواياها الحادة، بالإضافة إلى استعمال القماش المطبّع في بعض الإطلالات.

وأكد خبراء الموضة على أن مجموعة مراد اقتربت من كونها أزياء راقية أكثر مما هي جاهزة مقارنة بالدور العالمية التي تناوبت على منصات العرض.

وتميزت بتطريز قوي وقماش راق في فساتين الكوكتيل. بالإضافة إلى مساحات من السلبيّة بألوان داكنة كالأسود والبنفسجي تداخلت مع أخرى إيجابية بالأبيض.

قائد المنتخب السعودي يعلن الاعتزال الدولي

المخضرم سعود كريري يسدل الستار على مسيرة دولية امتدت 14 سنة

أسدل لاعب الوسط المخضرم سعود كريري الستار على مسيرة دولية امتدت 14 سنة، لعب خلالها 133 مباراة دولية تحت إشراف 13 مدربا كان أولهم سلوبدان سانتراش وآخرهم الروماني أولاريو كوزمين.

□ **الرياض** – تلقت إدارة المنتخب السعودي الأول لكرة القدم خطابا من اللاعب الدولي وقائد المنتخب السعودي (الأخضر) سعود كريري أعلن فيه عن رغبته في اعتزال اللعب دوليا متمنيا التوفيق للأخضر في جميع الارتباطات القادمة. وقدمت إدارة المنتخب السعودي شكرها وتقديرها لهذا اللاعب على ما بذله وسطره طيلة مسيرته الكروية في خدمة الكرة السعودية والأخضر في العديد من المنافسات. وخاض كريري (35 عاما) 133 مباراة مع المنتخب السعودي وسجل للفريق 7 أهداف. وعلى مدار تمثيله للمنتخب السعودي لم يحصل على البطاقة الحمراء إطلاقا رغم مشاركته مع الفريق في 21 منافسة وبطولة. ويأتي إعلان اعتزاله اللعب الدولي قبل أيام قليلة من إعلان المدرب فيصل البدين لقائمة الأخضر السعودي الذي يستعد لإقامة معسكر قصير يخوض فيه مواجهة ودية أمام منتخب الأردن وذلك ضمن أيام فيفا الدولية تحضيرا لأقرب استحقاق ينتظر الأخضر السعودي وهو خوض التصفيات الأولية لبطولة كأس العالم 2018 المقرر إقامتها في روسيا. ظل سعود كريري صديقا للمدربين الذين تعاقبوا على تدريب المنتخب السعودي وذلك بحضوره الدائم في القائمة النهائية وسط تغيرات متعددة تحضر دائما عند إعلان كل تشكيلة إلا أنه نجح في الحفاظ على مركزه بعد سنوات قليلة منذ انضمامه للمرة الأولى ولا يبتعد عن القائمة الخضراء إلا بداعي الإصابة أو الإيقاف.

> على مدار تمثيله للمنتخب السعودي لم يحصل كريري على البطاقة الحمراء إطلاقا رغم مشاركته مع الفريق في 21 منافسة وبطولة

بداية المشوار

بدأ مشوار سعود كريري مع الأخضر السعودي منذ أن كان لاعبا في ناديه القادسية قبل أن ينتقل لفريق الاتحاد ويمثله لسنوات قليلة برز خلالها وسطع نجمه بصورة أكبر عن السابق وحتى بعد انتقاله الأخير لفريق الهلال ظل عنصرا ثابتا واسما مهما في قائمة الأخضر السعودي. منذ انضمامه لأول مرة في قائمة المنتخب السعودي وحتى المباراة الأخيرة التي خاضها بقميص هذا المنتخب أشرف على تدريب اللاعب 10 مدربين هم بدءا بالصربي سلوبودان سانتراش ثم الوطني ناصر الجوهر الذي أشرف على تدريب اللاعب في أكثر من مرة منذ 2002 وانتهاء بالبطولة الآسيوية في العاصمة القطرية الدوحة أما ثالث المدربين الذين أشرفوا على تدريبه في الأخضر السعودي فهو الهولندي فاندرليم قبل أن يعقبه الأرجنتيني كالديرون ثم البرازيلي باكيتا كخامس هؤلاء المدربين. وحضر البرازيلي آنغوس كسادس مدرب يشرف على تدريب كريري خلال تمثيله المنتخب السعودي يأتي بعده سابعا البرتغالي بيسيرو ثم الهولندي ريكارد ثامنا وتاسعا الأسباني لوبيز كارو ثم عاشرا الروماني كوزمين أولاريو الذي قاد الأخضر في فترة قصيرة خلال فترة البطولة الآسيوية التي أقيمت في أستراليا.

وخاض سعود كريري مع المنتخب السعودي 133 مباراة منها 107 مباريات خاضها كلاعب أساسي و26 مباراة شارك فيها كلاعب بديل وبلغ مجموع الدقائق التي لعبها هذا اللاعب 9533 دقيقة بحسب ذات الموقع الذي أشار إلى أن كريري تمكن من الحفاظ على سجله خاليا من أي بطاقة حمراء بعدما تحصل على 25 بطاقة صفراء. وسجل كريري الذي تسلم شارة القيادة في البطولة الآسيوية الأخيرة 7 أهداف في مسيرته الطويلة مع الأخضر السعودي، حيث كانت أهدافه في شباك سوريا وكوريا الجنوبية والبحرين وغانا وليبيا وتوغو وأخيرا قطر في البطولة الخليجية التي احتضنتها العاصمة السعودية الرياض وخسرها المنتخب السعودي بعدما بلغ المواجهة النهائية أمام نظيره القطري.

يعتبر كريري أحد أبرز من لعب للأخضر طيلة السنوات الماضية، بعد أن حافظ على مستواه وكذلك بسبب دوره الهام خارج وداخل المستطيل الأخضر. وحقق اللاعب مسيرة كروية مميزة، حيث حافظ نجم فريق الهلال على مكانته في تشكيلة المنتخب السعودي منذ أن شارك في أول لقاء ودي دولي ضد اليابان العام 2002. ويلعب دورا هاما جعل أي مدير فني يأتي سعوديا أو أجنبيا يضمه لقائمة المنتخب السعودي، فهو محور ارتكاز قوي يربط بين الدفاع والهجوم ولديه القدرة على قطع الكرات الخطرة وأيضا يمتلك قدم قوية يستخدمها في التسديد من خارج منطقة الجزاء ويمتلك القدرة على لعب الكرات بالرأس ويستخدمها أحيانا في تسجيل الأهداف.

أرقام للتاريخ

دافع تيغانا العرب صاحب الـ(35 عاما) عن ألوان الأخضر في 133 لقاء، حيث شارك كأساسي في 107 ولعب كبديل في 26 لقاء واستبدل في 33 مباراة ولعب 74 مباراة بشكل كامل، ولم يتلق طيلة مشواره أي بطاقة حمراء في حين تلقى 25 بطاقة صفراء. وتعد أهم محطات اللاعب مع عالم كرة القدم هي المشاركة في كأس العالم العام 2006 بألمانيا إلى جانب مشاركته في لقاءات تصفيات المونديال العام 2006 و2010، ولعب أيضا في كأس آسيا 2004 بالصين وكأس آسيا 2007، الذي أقيم في اندونيسيا وماليزيا وتايلاند وفيتنام، وكأس آسيا 2011 بقطر وشارك في العديد من دورات خليجي. ويتشابه دور وأداء قائد المنتخب السعودي مع نجم فرنسا الشهير في الثمانينات تيغانا ليلقب من قبل النقاد والرياضيين السعوديين بتيغانا العرب. وتعرض كريري أثناء مشاركته مع المنتخب السعودي لإصابة قوية في لقاء ودي أمام الأرجنتين أقيم على إستاد الملك فهد الدولي بالعاصمة الرياض وذلك بسبب حماسه الشديد بعدما حاول افتكاك الكرة من النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي لاعب برشلونة إلا أن يده اليمنى تعرضت لإصابة قوية.

> مشوار كريري الرياضي الحافل اتسم بالهدوء والانضباط داخل ملعبه وخارجه، حيث يجد الاحترام والقبول لدى كل لاعبي الأندية بمختلف ميولهم

وأعلن كريري الأربعاء الموافق 18 مارس الحالي من العام 2015 اعتزاله اللعب دوليا مع المنتخب السعودي ليفقد الأخضر أحد أهم عناصره داخل المستطيل وخارجه.

واعترف النجم المخضرم أنه قرر الاعتزال الدولي منذ فترة طويلة وذلك قبل أن يعلن اتحاد القدم السعودي انتهاء المسيرة. وقال "اتخذت قرار الاعتزال منذ فترة، والحقيقة أريد أن يأخذ اللاعبون الشباب فرصتهم باللعب" وأضاف "إدارة الاتحاد السعودي حاولت تغيير قراري، لكني كنت مصمما على ذلك". وبين الأخير أن أصعب اللحظات في مسيرته الدولية كانت "عندما خسرنا نهائي كأس آسيا 2007 وخسارة كأس الخليج الأخيرة في الرياض".

وأوضح لاعب القادسية والاتحاد السابق أنه مستمر باللعب مع الهلال، وتابع "عندما اعتزل محليا، سأبتعد عن الوسط الرياضي تماما". واتسم مشوار كريري الرياضي الحافل بالهدوء والانضباط داخل ملعبه وخارجه، حيث يجد الاحترام والقبول لدى كل لاعبي الأندية بمختلف ميولهم، له شخصية القائد داخل الميدان، يجيد التوجيه والشدة في أحيان من المباريات الصعبة والمهمة سواء في المنتخب أو الأندية التي مثلها. وسيتفرغ كريري المنتقل الموسم الماضي للهلال، قادما من منافسه التاريخي الاتحاد، للمشاركة مع الأخير في المنافسات المحلية والخارجية خلال الموسم الحالي، والذي ينافس فيه فريقه على التأهل لدور الـ16 بدوري أبطال آسيا والمنافسة على لقب الكأس للأندية الأبطال، والذي وصل فيه لدور الـ16، بينما ابتعد عن المنافسة على دوري السعودي للمحترفين.

السيتي يجتاز وست بروميتش بثلاثية ويضيق الخناق على تشيلسي

المدرب مانويل بيليغريني يتوج مباراته المئة بفوز ثمين

استعاد فريق مانشستر سيتي حامل اللقب توازنه، وفاز بسهولة على ضيفه وست بروميتش ألبيون بثلاثة أهداف نظيفة أمس السبت في المرحلة الثلاثين من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

فوز السيتي يضعه على بعد ثلاث نقاط من المتصدر

□ لندن – بعد الهزيمة أمام بيرنلي في الجولة الماضية من الدوري الممتاز والخروج من دوري أبطال أوروبا على يد برشلونة الأسباني، نجح سيتي أمس السبت في حصد الفوز بسهولة على وست بروميتش.

ورفع سيتي رصيده إلى 61 نقطة في المركز الثاني، بفارق ثلاث نقاط خلف تشيلسي المتصدر والذي يلتقي اليوم الأحد مع مضيفه هال سيتي. واحتفل السيتي بهذا الفوز الذي يتزامن مع المباراة رقم 100 للمدرب التشيلي مانويل بيليغريني مع الفريق. وعلى الجانب الآخر تجمد رصيد وست بروميتش عند 33 نقطة في المركز الثالث عشر.

وجاءت البداية أفضل مما كان يتمناه مانشستر سيتي، حيث أشهر الحكم البطاقة الحمراء في وجه جاريث مكاولي لاعب وست بروميتش بعد دقيقتين فقط، في قرار أثار غضب لاعبي بروميتش لأنه كان من المفترض أن يتم طرد كريج داوسون.

وسيطر السيتي بشكل كامل على مجريات اللعب منذ البداية، وحتى النهاية وكان بمقدوره أن يسجل أكثر من ثلاثة أهداف، لولا سوء الحظ والعارضة والقائمين.

وأنهى السيتي الشوط الأول متقدما بهدفين نظيفين، حيث افتتح المهاجم الإيفواري ويلفريد بوني التسجيل في الدقيقة 27، محرزا أول هدف له مع السيتي منذ انتقاله من سوانزي سيتي في يناير الماضي. ثم أضاف البرازيلي فرناندو الهدف الثاني في الدقيقة 40، محرزا الهدف رقم 1000 في تاريخ مانشستر سيتي. وفي الشوط الثاني أكمل الجناح الأسباني ديفيد سيلفا الثلاثية للسيتي في الدقيقة 77.

وبدأت المباراة بشكل كارثي بالنسبة إلى وست بروميتش، حيث تعرض جاريث مكاولي للطرد بعد مرور دقيقتين فقط، بعدما عرقل المهاجم الإيفواري لمانشستر سيتي ويلفريد بوني وهو في طريقه للانفراد بالمرمى، وشهدت الواقعة اعتراضا شديدا من جانب لاعبي الفريق الضيف، حيث أن كريج داوسون هو من ارتكب الخطأ وليس مكاولي.

وتسبب الطرد في انهيار معنويات لاعبي وست بروميتش في الوقت الذي أسفر عن زيادة الفاعلية الهجومية للسيتي، وأوشك الأسباني ديفيد سيلفا والأرجنتيني سيرجيو أغويرو أن يحرزا أكثر من هدف للفريق لولا سوء الحظ. وكاد سيلفا يحرز هدف السبق للسيتي في الدقيقة 23 عبر تصويبة صاروخية، ولكن بواز مايهيل الحارس الويلزي لوست بروميتش تصدى له ببراعة.

ووضع بوني فريقه مانشستر سيتي في المقدمة مع حلول الدقيقة 27، بعدما حاول زميله البرازيلي فرناندو التصويب على المرمى، ولكن الكرة ارتطمت بأقدام المدافعين ووصلت إلى المهاجم الإيفواري داخل منطقة الجزاء، ليستقبلها بشكل رائع ويسدد في سقف الشباك.

وبعد ثلاث دقائق فقط كاد الأسباني خيسوس نافاس يحرز ثاني أهداف السيتي عبر تسديدة قوية من خارج منطقة الجزاء، ولكن حارس وست بروميتش أبعد الكرة بأطراف أصابعه إلى ضربة ركنية.

وقبل خمس دقائق من نهاية الشوط الأول سجل فرناندو الهدف الثاني للسيتي، مستغلا خطأ فادحا من مدافع وست بروميتش في تشتيت ضربة ركنية من الناحية اليمنى.

وكاد أغويرو يحرز الهدف الثالث للسيتي في الثواني الأخيرة من الشوط الأول، ولكن مايهيل أنقذ مرماه من هدف محقق وتصدى للتسديدة القوية التي أطلقها النجم الأرجنتيني الدولي.

واستأنف السيتي نشاطه الهجومي مع بداية الشوط الثاني، وكاد بوني يسجل الهدف الثاني له والثالث لفريقه عبر تسديدة صاروخية من داخل منطقة الجزاء، ولكن الكرة مرت مباشرة بجوار القائم. وتصدى القائم والعارضة لهدفين محققين من أغويرو وبوني وسط سيطرة تامة من جانب مانشستر سيتي على مجريات اللعب.

وعلى عكس سير اللعب كاد سايدو بيراهينو أن يرد بهدف لوست بروميتش من ضربة رأس، ولكن العارضة وقفت له بالمرصاد.

ووضع سيلفا بصمته على المباراة وسجل الهدف الثالث للسيتي في الدقيقة 77، بعدما سدد المونتنيغري ستيفان يوفيتيتش كرة قوية من على حدود منطقة الجزاء، ليغير سيلفا اتجاه الكرة إلى داخل الشباك.

وتواصلت هيمنة السيتي على مجريات اللعب في آخر ربع ساعة، لكنه لم ينجح في تسجيل المزيد من الأهداف ليكتفي بالفوز بثلاثية نظيفة.

> البرازيلي فرناندو استطاع أن يضيف الهدف الثاني في الدقيقة 40، محرزا بذاك الهدف رقم ألف في تاريخ مانشستر سيتي

عبدالنور يشع نورا في سماء أوروبا

مراد البرهومي

❑ عهدته منذ سنوات لاعبا خجولا وخلوقا مع فريق النجم الساحلي التونسي، عهدته أيضا مدافعا صلبا في سن التاسعة عشرة من عمره، يحاول أن يفتك مكانا أساسيا ضمن الفريق الذي يضم آنذاك نخبة من أفضل المدافعين في تونس، عايشته وعهدته لاعبا مثابرا ومجتهدا وحساسا أيضا، ولن أنسى أبدا يوم أجهش بالبكاء بعد أن أطلقت في وجهه جماهير النجم الساحلي صفرّات الاستهجان والغضب، بسبب إضاعته الكرة بعد التحام مع أحد المنافسين.

هكذا نشأ أيمن عبدالنور وتعلم كرة القدم في فريقه الأم النجم الساحلي، ليسير بعد ذلك في طريق النجومية والتألق في عالم الاحتراف بأوروبا، ولعل ما يجب التأكيد عليه أن كل من عرف هذا اللاعب في سنواته الأولى مع الفريق الأول للنجم، أدرك أن هذا اللاعب سيكون له شأن كبير مستقبلا، وهو ما تحقق اليوم.

اليوم بلغ التونسي أيمن عبدالنور من العمر 25 عاما، وبلغ مع تقدم سنوات عمره ومسيرته الرياضية درجة عالية من النضج والتألق والنجومية في سماء الكرة الأوروبية، حيث جلب له الأنظار والإعجاب بعد مستواه الرائع مع فريقه الحالي نادي موناكو الفرنسي في منافسات دوري أبطال أوروبا، ويكفي للتأكيد على ذلك الإشارة إلى أنه اختير في أربع مناسبات، ضمن أفضل اللاعبين في منافسات هذه المسابقة هذا الموسم.

وتكفي أيضا الإشارة إلى أن عبدالنور بات محط اهتمام عدد كبير من الأندية القوية والعريقة في أوروبا، ومن بينها نادي أرسنال الذي بدأ فعلا يفكر في ضم هذا المدافع.

لقد تعب عبد النور كثيرا، ولم تكن طريقه مفروشة بالورود، ولكنه أثبت أن الدوريات العربية قادرة على تصدير لاعبين متميزين، ومثلما نجح المصري محمد صلاح نجم فيورنتينا الحالي بعد سنوات من التعلم والدروس خاصة مع نادي بازل السويسري، فإن عبدالنور ضحّى كثيرا وثابر واجتهد ليصل إلى هذه الدرجة من التألق والبروز.

في بداية مسيرته مع الفريق الأول للنجم، تلقى "صخرة" دفاع المنتخب التونسي عرضا من نادي فيردر بريمن الألماني، ليلعب لمدة ستة أشهر على سبيل الإعارة في الدوري الألماني موسم 2009.2010، بيد أن هذه التجربة لم تعمر طويلا، حيث لم يخض عددا كبيرا من المباريات وعاد من حيث أتى، أي إلى النجم الساحلي التونسي.

فشل تلك التجربة لم يحبط من عزائم هذا اللاعب، بل واصل المثابرة والعمل وتألق كأبهى ما يكون مع الفريق التونسي، لتفتح له أوروبا أبوابها من جديد، فكانت الوجهة فرنسية وتحديدا مع نادي تولوز سنة 2011.

ومن هنا انطلقت مسيرة الثبات والعطاء والبروز، حيث خاض عبدالنور حوالي 82 مباراة مع الفريق الفرنسي سجل خلالها ثلاثة أهداف رغم موقعه الدفاعي، وخلال هذه التجربة ثبّت النجم التونسي قدمه ضمن تشكيلة الأساسيين، وبات يعد من أبرز المدافعين في الدوري الفرنسي.

في بداية الموسم الماضي قرر نادي موناكو الذي يريد بناء فريق قوي ومتكامل ضم هذا النجم التونسي، ليلتحق بداية عام 2014 إلى الكتيبة القوية التي ضمت وقتها الثنائي الكولمبي فالكاو وخايمس رودريغاز، وكان مبلغ صفقة تحوله من تولوز إلى موناكو قياسيا فيما يتعلق باللاعبين العرب.

مع موناكو عانى قليلا في بداياته خاصة وأنه كان مصابا آنذاك، لكن عبدالنور نجح سريعا في افتكاك مكان ضمن الأساسيين، رغم حدة المنافسة في الدفاع بوجود المخضرم البرتغالي كارفالهو، وبات تبعا لذلك رقما مهما في تشكيلة فريق الإمارة.

واللافت إلى أن ما غيّر وضع اللاعب التونسي حاليا هو نجاحه الكبير وتألقه الكبير هذا الموسم في مسابقة دوري أبطال أوروبا، فساهم في صعود فريقه إلى الأدوار المتقدمة، قبل أن تكون المواجهة بين موناكو وأرسنال بوابة أخرى فتحت أمام عبدالنور آفاقا جديدة بما أنه كان من أفضل اللاعبين في هذه المواجهة، وخاصة في لقاء الذهاب في إنكلترا، حيث عانق الروعة واستطاع أن يشع تألقا ونورا في تلك المباراة، التي أعلن خلالها عن كونه صخرة الدفاع في الفريق الفرنسي وصمام الأمان أمام الهجمات القوية لأرسنال.

نجاح عبدالنور منذ فترة دفع إدارة فريقه إلى تمديد عقده إلى غاية يونيو 2019، بامتيازات مالية جديدة اعترافا منها بنجاح هذه الصفقة من جهة، وسعيا للمحافظة عليه في ظل كثرة العروض من جهة ثانية.

وفي انتظار المواجهة القادمة ضد يوفنتوس الإيطالي ضمن المسابقة الأوروبية، وهي فرصة جديدة لمزيد من التألق والبروز أمام هذا اللاعب، فإن مسألة بقاء عبدالنور مع موناكو باتت على طاولة النقاش، خاصة وأن كل المعطيات الراهنة تفيد بأن تواصل صعود نجم هذا اللاعب العربي، قد تؤدي به في نهاية المطاف إلى خوض تجربة جديدة يكون خلالها التحدي أكبر والطموحات أقوى.

الإمارات تتعهد بإبهار العالم في كأس العالم للأندية

ريال مدريد الأسباني حامل لقب آخر نسخة من البطولة

❑ أبوظبي – فازت دولة الإمارات العربية المتحدة بشرف تنظيم كأس العالم للأندية لعامي 2017 و2018، والتي يشارك فيها أبطال القارات حول العالم، إلى جانب حامل لقب الدوري المحلي في البلد المستضيف، وتقام في منتصف شهر ديسمبر من كل عام.

وأعربت الإمارات العربية المتحدة عن سعادتها لاختيارها من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم فيفا مجددا لتنظيم كأس العالم للأندية لعامي 2017 و2018، متعهدة بإبهار العالم.

وكان الاتحاد الدولي لكرة القدم الفيفا، قد أعلن أمس الأول الجمعة فوز الإمارات بتنظيم البطولة من مقره في زيورخ السويسرية، وبذلك يعود كأس العالم للأندية مرة أخرى إلى الإمارات، التي سبق لها تنظيمه قبل أربعة أعوام بمشاركة فريقي الأهلي والجزيرة كأبطال للدوري الإماراتي.

وتوج برشلونة الأسباني بنسخة 2009 بعد فوزه على أستوديانتيس لابلاتا الأرجنتيني 1–2 في المباراة النهائية، في حين توج أنتر ميلان الإيطالي بطل نسخة 2010 بتخطيه مازيمبي الكونغولي –3صفر.

كما أتت الاستضافة الجديدة بعد أسبوعين من إعلان الاتحاد الآسيوي لكرة القدم عن فوز ملف الإمارات بتنظيم كأس آسيا 2019.

واعتبر الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان الرئيس الفخري لاتحاد الكرة الإماراتي أن "فوز الإمارات باستضافة مونديال الأندية 2017 و2018 وكأس آسيا 2019، يجعلها على موعد دائم ومتجدد مع الأنشطة الكروية العالمية والقارية، بعد نجاحها السابق في استضافة هذه البطولات الكبرى".

وتابع الشيخ هزاع "الإمارات عقدت العزم على إبهار العالم في تنظيم هذه الأحداث الثلاثة، وهي مصممة على أن تأتي استثنائية وفوق كل التوقعات، ليضاف ذلك إلى سجل الإمارات في تحقيق المزيد من النجاح في كسب التحديات، باستقطاب أهم الأحداث العالمية على أرضها".

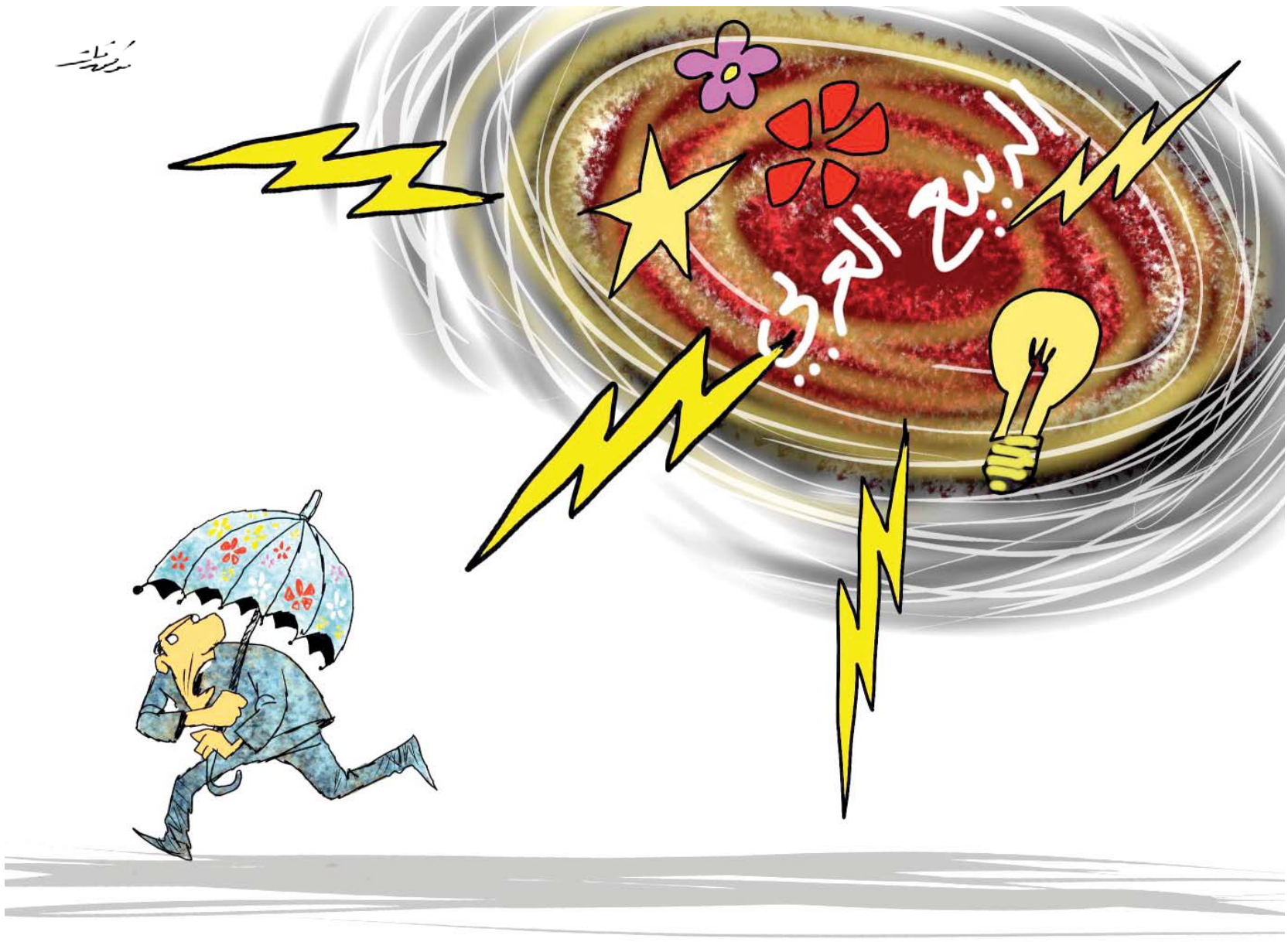

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

صفحة للحشاشين

❏ لم أكن أتصور يوما أن أجد على مواقع "الفيسبوك" حملة لترويج الحشيش والتوعية بفوائده، إلى أن رأيت صفحة للحشاشين مخصصة لإصلاح قانون تجريم الحشيش، الحشاش عقله غائب، غير أن هذا ما حدث في مصر عقب ارتفاع أسعار السجائر.

الغريب أن كثيرا من المصريين مقتنعون أن الحشيش ليس حراما، قالها نور الشريف في فيلم "العار" الشهير، عندما قال لزوجته في الفيلم الفنانة نورا "لو كان حرام إحنا بنحرقه، ولو حلال إحنا بنشربه"، غير أن غرابة هذه الصفحة أنها تهاجم القوانين المصرية.

الصفحة تقول إن الحكومة تبيع الخمور علنا في المحلات رغم أن هناك نصا صريحا في القرآن يحرمها، بينما يحاكم من يدخن مجرد سيجارة حشيش، المساطيل على صفحتهم أفتوا بأن تعديل القانون كفيل بإدخال عملة صعبة للبلاد.

زعموا أن سيجارة حشيش أرخص من السجائر، لأنها تعمل "دماغ" بسرعة، بينما يحتاج الأمر إلى ثلاث أو أربع علب سجائر لضبط "الجمجمة".

المصيبة أنهم يطالبون أن نكون كأوروبا وأميركا التي سمحت بتداول الحشيش، وكأننا سنتقدم إلى مصاف هذه الدول إذا قلدناهم في الحشيش فقط، ولأن كلام الحشاشين ليس عليه جمرك، لذلك يزعمون أنه يستخدم في علاج السرطان والمياه البيضاء والأرق وفقدان الشهية!

صفحة الحشاشين أكدت أن السجائر تدمر الرئة بينما الحشيش ينقيها، أما أغرب ما قيل فإن السجائر إدمان لنسبة النيكوتين بها، أما الحشيش فهو مزاج فقط.

في المقابل لا يخلو الأمر من طرافة، فالحشاشون يترحمون على أيام حبيب العادلي وزير الداخلية الأسبق، الذي كانت فترته أزهى عصور التحشيش وأجود الأصناف.

وهي الأيام التي يترحم عليها معظم الحشاشين الذين تأكدوا أن شعارات العيش والحرية والعدالة الاجتماعية، استهدفت كيانهم "التحشيشي" وقضت على أحلى دماغ بدأت معهم من أيام الرئيس الراحل أنور السادات، وظلت "بايته" معاهم إلى آخر أيام العادلي، الذي قرر وقتها القضاء على منابع دخول الحشيش "النظيف"، مما اضطر أهل الكيف للبحث في جداول الصيدليات عن "الترامادول" و"التامول" وغيرهما من المنشطات والمهدئات والمشعوذات.

وهنا تحول الكيف في الشارع إلى بلاهة وبلطجة وأفعال عشوائية غير مسؤولة، بفعل "الكيميا" التي سيطرت على عقول المدمنين الذين لم تعجبهم دماغ الحشيش المصاحب للثورة، وقرروا التحول إلى "البرشام".

خذ نفس كمان، وسوف تدرك مما تسمعه من أهل الكيف أن ثورة يناير قامت من أجل سيجارة حشيش مغشوش، أو أنها ثورة "الترامادول" الذي راحت بسببه آلاف العقول، أو ربما أنها ثورة ضد مباحث المخدرات بالداخلية لأنها "شدت" على "الحشاشين" حبتين!

المهم أنك في النهاية سوف تحتاج إلى فنجان قهوة سادة "تفصل" من هذه الدماغ الغريبة.

كلمة مطبوعة على ورقة للجنرال عون مقابل 150 ألف دولار

تحوّل حفل العشاء السنوي، الذي أقامه التيّار الوطني الحرّ، إلى مباراة في إغداق الثناء على الجنرال ميشال عون، وكان سمير صفير ملحّن نشيد القوّات اللبنانية، من أبرز المتسابقين على التقرّب من الجنرال.

شادي علاء الدين

❏ **بيروت** – أثار مشهد انحناء الملحّن اللبناني سمير صفير على يد الجنرال ميشال عون لتقبيلها، بعد أن أدّى له أغنية مفرطة الثناء، موجة من الانتقادات الساخرة. ورد صفير، المعروف بسلاطة لسانه، على منتقديه، قائلا "إذا بوسة جبين وإيد الجنرال أخذت من وقتكم هالقد، بس يطلع عالقصر الجمهوري شو رح يصير فيكن".

وحرص الملحن على تقديم تصوّره لدلالة التقبيل، فكتب شارحا "إنّ قبلتي لجبين ويد القائد ميشال عون هي قبلة الولد لأبيه (وأقصد هنا الأب الروحي)، لأنّ دولة الرئيس ميشال عون هو من علّمني ما معنى كلمة عيب وما معنى كلمة حرام".

واختتم صفير هجومه بالقول "أنا لست مستغربا ممّن انزعجوا من هذه القبلة، أولا لأنّهم لا يعلمون ماذا يقولون، وثانيا هم متعوّدون على تقبيل أشياء أخرى".

وامتاز حفل العشاء السنوي بمشاركة المطرب ملحم زين الذي واكب الجنرال غنائيا، منذ لحظة دخوله إلى القاعة حتى استوائه جالسا على طاولته.

وشارك المطرب معين شريف كذلك في الحفل عبر أغنية تعتبر الجنرال "رجّال غير كلّ الرجال".

وانطلقت قمة الإثارة في الحفل بافتتاح مزاد علني على هدايا ومقتنيات تعود إلى الجنرال ميشال عون، حيث تسابق الجمع على الفوز بما يمكنهم إهداؤه إلى زوجات مسؤولين ونوّاب من التيار، إلاّ أنّ النصر المبين كان من نصيب وزير التربية وزوج الفنانة جوليا بطرس إلياس أبو صعب الذي فاز بكلمة للجنرال مطبوعة على ورقة عملاقة مقابل 150 ألف دولار.

مراهقة تسمم أمها للاستيلاء على جهاز الآيفون الخاص بها

❏ **دنفر (الولايات المتحدة)** – قالت السلطات الأميركية إن الشرطة اعتقلت أمس الأول الجمعة فتاة في ولاية كولورادو الأميركية عمرها 12 عاما، اتهمت بمحاولة قتل أمها مرتين بتسميمها بمادة كيميائية تستخدم في تبييض الأقمشة، لأجل الاستيلاء على جهاز الآيفون الخاص بها.

وقالت هيدي برينتاب قائد شرطة مقاطعة بولدر في بيان إن الأم تناولت هذه المادة الكيميائية في إحدى المحاولتين اللتين حدثتا خلال الأسبوعين الأولين من هذا الشهر.

وقالت برينتاب إن الفتاة وضعت يوم 2 مارس الجاري، هذه المادة الكيميائية في عصير إفطار أعدته لأمها.

وقال بيان الشرطة "لاحظت الأم رائحة مادة كيميائية في المشروب، واعتقدت أن ابنتها نظفت الكوب بالمادة الكيميائية قبل إعداد المشروب ولم تزلها جيدا".

وتلقت المرأة التي لم تشر السلطات إلى اسمها العلاج في مستشفى محلي وسمح لها بالخروج. وبعد أربعة أيام قيل إن الفتاة سكبت المادة الكيميائية في إبريق مياه تضعه أمها في غرفة نومها. وعندما شمت الأم رائحة المادة الكيميائية اشتبهت وواجهت ابنتها.

وقالت الشرطة "هذا عندما علمت أن ابنتها أعدت خطة لقتلها لأخذها جهاز الآيفون".

وقالت برنتاب إن الأم أبلغت الشرطة عن الفتاة، وأن المحققين جمعوا دليلا كافيا لاعتقالها. ونقلت الفتاة إلى مرفق لاحتجاز الأحداث يوم الجمعة، حيث تحتجز هناك انتظارا لتوجيه اتهامات.

مصرية تطلق حملة لتزويج ابنها عبر «فيسبوك»

❏ **القاهرة** – "رحلة البحث عن أحفاد" تلخص هذه الجملة، هدف ورغبة أمّ مصرية كرست حياتها من أجل تحقيقها، وقررت أن تكون هدية عيد الأم لها من ابنها الوحيد أن تراه عريسا. ولأنها أم غير عادية قررت تدشين حملة خاصة على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، تدعو من خلالها أصدقاءه لإقناعه بسرعة الزواج.

"جواز حازم لازم" تحوّلت هذه الكلمات الثلاث إلى "هشتاغ" انتشر بين مستخدمي "فيسبوك" ليتحول زواج "حازم" مطلبا جماهيريا يحتاج إلى إنشاء "غروب" خاص يحدد آخر فرصة تعطيها الأم لزواجه، والتي تنتهي بنهاية شهر مارس الجاري.

وعن شغفها بتزويج ابنها في عمر لا يتعدى الـ22 عاما، تقول أمال مختار والدة الشاب حازم عبد الصمد "أنا تجوزت في عمر صغير لا يتعدى 20 سنة، لهذا السبب استطعت أن أرى ابني رجلا، وأتمتع بكل مراحل عمره، ولأن التجربة ناجحة أريد من ابني أن يمر بها، ويتجوز في عمر مبكر، كي يرزقه الله بأطفال وهو في عنفوانه".

قسم الولاء بالعربية يثير الاستياء في نيويورك

❏ **نيويورك** – أثار أداء قسم الولاء للولايات المتحدة باللغة العربية في مدرسة أميركية خلال احتفال مخصص للغات الأجنبية والتنوع، جدلا حادا في ولاية نيويورك.

وجرت هذه المبادرة في مدرسة باين بوش الثانوية في إطار الاحتفال على المستوى الوطني بـ"أسبوع اللغات الأجنبية".

ويقتضي الأمر أن يؤدي الطلاب قسم الولاء بلغة مختلفة كل يوم.

ورفض أهالي وطلاب إدخال دروس اللغة العربية معتبرين أن التلاميذ "سيتعلمون بذلك ثقافة الكراهية".

ويؤدي ملايين الطلاب في الولايات المتحدة يوميا قسم الولاء في الصف في بداية اليوم الدراسي، وهو إجباري في بعض الولايات.

لكن أداء قسم الولاء بالعربية لم يلق ترحيبا من قبل تلاميذ وآبائهم وسكان أو أقرباء أشخاص قتلوا في أفغانستان. فعندما قامت طالبة تتكلم العربية بأداء قسم الولاء، ووجهت باستياء ووصفت بالإرهابية، كما قال عريف الصف أندرو زينك (18 عاما) الذي كان قد وافق على هذه الخطوة.

وأوضح هذا الشاب الذي يدافع بشدة عن قراره، أنه تلقى تهديدات على تويتر.

واضطرت الإدارة التعليمية التي تشرف على المدارس في المنطقة لتقديم اعتذارات، مؤكدة أن أداء القسم لن يقام إلاّ باللغة الإنكليزية في المستقبل.

وأوضحت في بيان على موقعها الإلكتروني أن الهدف كان الاحتفال بأسبوع اللغات الأجنبية، و"الأعراق والثقافات والديانات العديدة التي تشكل هذا البلد العظيم ومنطقتنا".

ومع ذلك أثارت هذه الاعتذارات غضب زينك وآخرين، رأوا أن اللغة لا علاقة لها بحق المواطنة الأميركية. وقال زينك إن "كثيرين غضبوا بسبب القسم، لكن عددا مماثلا غضب أيضا بسبب الاعتذارات والآن الجميع غاضبون".

وقالت سعدية خالق الناطقة باسم فرع نيويورك في مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية أن هدف أسبوع اللغات هذا "ليس إظهار أن اللغة العربية منبوذة وتستخدم وسيلة لاستهداف المجموعات أو تثير خطاب كراهية".

وأكدت أن مبادرة مماثلة لأداء القسم بالعربية في ولاية كولورادو (غرب) في 2013 أدت إلى اتصالات هاتفية تنم عن كراهية وإطلاق تهديدات.

وفاة معمرة مكسيكية عن عمر يناهز 127 عاما

❏ **مكسيكو سيتي** – قالت وكالة حكومية إن امرأة توفيت عن عمر 127 عاما في غرب المكسيك. وقالت إدارة النظام الوطني للتنمية العائلية المتكاملة في المكسيك، والتي تحققت من عمر المرأة، إن ليندرا بيسيرا التي ولدت بولاية تامولیباس الواقعة على الحدود الشمالية للبلاد في 31 أغسطس 1887، توفيت صباح الخميس 19 مارس الجاري في منزلها في زابوبان بولاية خاليسكو في غرب المكسيك.

ولم تكن بيسيرا مدرجة على قوائم أكبر المعمرين في العالم، حيث لم يكن بحوزتها وثائق رسمية، ولم تقدم إدارة النظام الوطني للتنمية العائلية سببا للوفاة.

وقال حفيدها صمويل ألفير (70 عاما) إنها ببساطة توقفت عن التنفس، حيث واجهت مشاكل في رئتيها قبل أشهر قلائل.

وقال إنها اعتادت أن تمتعه بقصص عن الثورة المكسيكية، والتي بدأت عام 1910 عندما كانت تتولى إعداد الرقاق للجنود.

ميس حمدان مرشحة لجائزة «الموريكس دور»

❏ **عمّان (الأردن)** – أعلنت اللجنة المنظمة لجائزة "الموريكس دور" منذ أيام بدء التصويت على الجائزة لعام 2015، والتي رشحت الممثلة الأردنية ميس حمدان في فئة أفضل ممثلة عربية لتنافس العديد من الأسماء الكبيرة في عالم الدراما.

وجاء ترشيح ميس للجائزة عن دورها في مسلسل "عشق النساء" والذي عرض مؤخرا على قناتي "الحياة" و"أم بي سي 4" وحصل على نسب مشاهدة عالية في الوطن العربي.